المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

جورج بشنر

موت دانتون
ليونس ولينا
فويسك

الأعمال المسرحية الكاملة

ترجمة وتقديم: عبد الغفار مكاوى

تصدير: أحمد سخسوخ

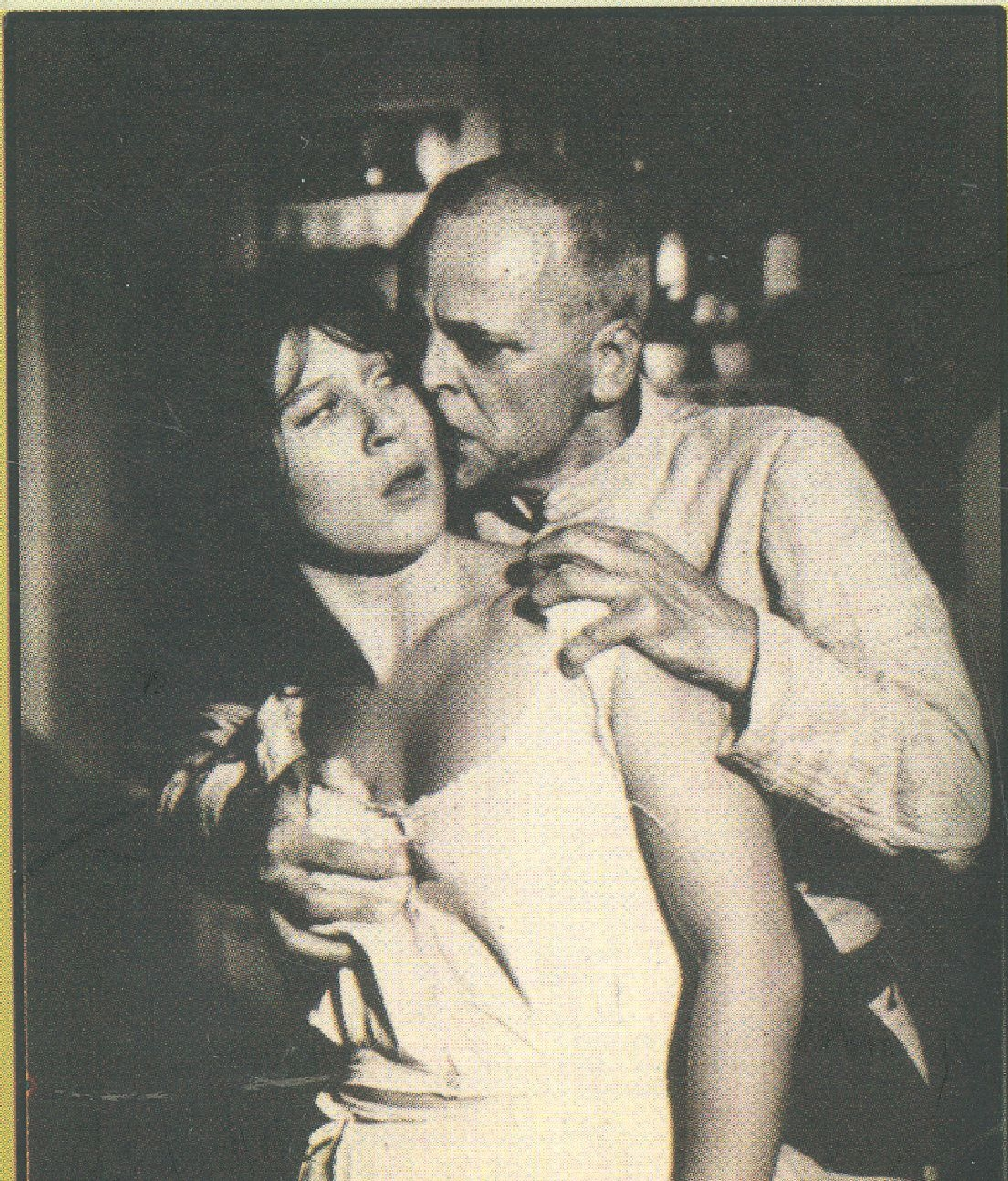

1298

روائع الدراما العالمية

كلاسيكيات الدراما العالمية

چورج بُشنر

الأعمال المسرحية الكاملة

المركز القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة روائع الدراما العالمية

المشرف على السلسلة : أحمد سخسوخ

- العدد : ١٢٩٨
- الأعمال المسرحية الكاملة
- چورج بُشنر
- عبد الغفار مكاوى
- أحمد سخسوخ
- ٢٠٠٩

هذه ترجمة الأعمال المسرحية الكاملة

لچورج بُشنر

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

چورچ بُشنر

الأعمال المسرحية الكاملة

- مـوت دانتـون
- ليـونس ولينا
- فـويسـك

تـألـيـف : چورچ بُشـنر

ترجمة وتقديم : عبد الغفار مكاوى

تـصـديـر : أحمد سخسوخ

٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بشنر ، چورج
الأعمـــال المســرحيــة الكـــاملة / تأليـــف : چـــورج بُشـــنر ؛
ترجمة وتقديم : عبد الغفار مكاوى ؛ تصدير : أحمد سخسوخ
القاهرة : المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩
٣٢٠ ص ؛ ٢٠ سم
١ - المسرحيات الإنجليزية
(أ) مكاوى ، عبد الغفار (مترجم ومقدم)
(ب) سخسوخ ؛ أحمد (تصدير)
(ج) العنـــوان ٨٢٢

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٢٢٥٦٧
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 501 - 7
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

تصدير

بقلم : أحمد سخسوخ

غادر العبقرى جيورج بوشنر Georg Buechner عالمنا قبل أن يكمل الرابعة والعشرين من عمره، وعلى الرغم من حياته القصيرة، فقد ترك لنا كنوزا أدبية ودرامية وعلمية عظيمة الأثر مهد بها الطريق إلى الدراما الحديثة كما يقول هاينر موللر Heiner Mueller ، وكان تأثيره مباشرا على الحركة التعبيرية التى ظهرت بعد رحيله بأكثر من ثلاثة أربا ع القرن - ظهرت فى ألمانيا عام ١٩١٠ - وقد ظهر هذا التأثير على وجه الخصوص جليا لدى فرانك ڤيدكند Frank Wedekind وبرتولت بريشت Bertolt Brecht ، كما استفاد من تقنياته فى الكتابة الدرامية كتاب السينما فيما بعد، ويعتبر جيورج بوشنر أول كاتب مسرحى فى التاريخ يجعل بطله الدرامى بروليتاريا قبل أن يكتب ماركس Karl Marx وإنجلز Friedrich Engels بيانهما الشيوعى بعشر سنوات، كما ينسب إليه ما يسمى بالشكل الدرامى المفتوح تمييزا له عن الطريقة الكلاسيكية أو الشكل الدرامى المغلق فى الدراما الألمانية والذى ارتبط بـ ليسنج Gotthold Ephraim Lessing وشيلر Friedrich Schiller

وجـوته Johann Wolfgang von Goethe وجـريل بـارتسـر Grill Parzer

ويعـتـمـد هذا البناء الدرامي لدى بوشنر على مـجـمـوعـة من المشـاهد القصيرة يدور الحدث فيها فى حلقات دائرية أو تصاعدية يتكشف فيـها الحدث، كما يعتمد على الأغانى الشـعبية (الفردية أو الجماعية) التى تتخلل الحدث الدرامي، ويبرز فى أعمـاله صـور التناقضـات التى تظهر العـالم على حـقيقـته وجـوهره دون زيف مـثل الجـحيم والجنة، الشـقـاء والسـعـادة، العـدل والظلم، الفـقـر والغنى، الصـقـيع والدفء، البـرودة والسـخونة وغير ذلك من المتناقضـات.. وتأتى جمله وتعبيـراته الدرامـية متقطعة وغير مكتملة تظهر الإنسـان - كما لدى شكسبير Shakespeare - فى عمـقه وجوهره دون حتى ورقـة توت تخفى عورته، إذ يظهره فى عريه خالصـا، وقد اعتمد بوشنر فى ذلك على المونولوجات الدرامية فى بناء الحدث، حـتى أصـبحت هذه الطريقة نموذجا تحـتذى به الحـركات الحديثـة فيمـا بـعد - مثل البـاتافيزيقـية Pataphysik والتـعبـيرية Der Impressionismus والسريالية Der Surrealismus

حياة قصيرة حافلة :

جـاء جيـورج بوشنر إلى العـالم من قـرية جـودلاو Goddelau فى تمام السـاعة الخامسة والنصف مسـاءً من يوم الأحد السابع عشر من أكـتـوبر عـام ١٨١٣، وجـودلاو قـرية صـغـيـرة تقع بين دارمـشـتـات Darmstadt وفورم Worm فى هيسن Hessen بألمانيا(١)، وكان جيورج

هو الطفل البكر لوالده أرنست كـارل بوشنر Ernst Karl Buechner الذي كان يعمل طبيبا فى جودلاو، وقد جاءها حديثا، وكان والده (جد جيورج الصغير) ياكوب كارل بوشنر Jakob Karl Buechner يعمل طبيبا أيضا.

كان أرنست والد جيورج يعمل فى جيوش نابليون Napoleon حتى حصل على ممتلكات كنسية مصادرة مكافأة له، بالإضافة إلى حصوله على لقب الدوق الكبير، وفى عام ١٨١٢ عاد إلى مدينة جيسن Giessen واستقر بها، ولكنه كان يعمل فى مستشفى هوف مايير بجودلاو(٢).

لقد كان الأب معجبا بنابليون، وكان يتقن الفرنسية ويعشق حضارتها، وكان دائم الحديث عن الثورة الفرنسية أمام ابنه البكر جيورج، حتى أصبح موضوع الثورة الفرنسية لدى الأخير مادة لمسرحيته الأولى موت دانتون Dantons Tod ، وقد شكل الأدب الفرنسى لجيورج وأخوته اهتماما كبيرا فى حياتهم، فقد عمل لودفيج Ludwig الأخ الثانى أستاذا للفلسفة فى فرنسا، وحصل شقيقه التالى ألكسندر Alexander على الجنسية الفرنسية وقد وصل إلى درجة الأستاذية فى تاريخ الأدب بجامعة Caēn ، أما الأخت لويزه Louise فقد تحققت ككاتبة رومانسية.

وعلى الرغم من تأثر جيورج بوشنر بالثورة الفرنسية، فقد كانت مثار خلاف بينه وبين والده، وقد انتهى الأمر بأن يترك جيورج منزل الأسرة على إثر نزاع مع الأب، وعلى العكس كانت الأم لويزه كارولينا

ريوس Louise Caroline Reuss مختلفة كثيرا عن والده، وكانت تحظى باهتمامات كل عالم بوشنر الابن، وكانت تعشق الشعر الألمانى، خاصة أشعار شيللر Schiller وأعماله مما أثر كثيرا على جيورج، وهنا تجد أن تأثير الأم على جيورج من الناحية الأدبية كان كبيرا، فى الوقت الذى كان فيه تأثير الأب عليه من الناحية السياسية والعسكرية لا بأس به.

البداية :

تبدأ علاقة جيورج بوشنر بالأدب فى سن الخامسة عشرة عام ١٨٢٨ حينما كتب مجموعة أشعار فى عيد ميلاد أمه، وفى العام نفسه، وهو فى هذه السن الصغيرة، انضم إلى حلقة دراسية تهتم بالثقافة والأدب بدارمشتات التى انتقل إليها على إثر ترقية والده بعد حصوله على درجة الدكتوراه فى الطب عام ١٨١٥، وقد أنجبت هذه المجموعة فريدريش تسيمرمان (١٨١٤-١٨٨٤) Friedrich Zimmermann ولودفيج فيلهلم لوك (١٨١٣-١٨٨١) Ludwig Wilhelm Luck وفى هذه المرحلة انكب جيورج على دراسة شكسبير وجوته وهوميروس Homer وأسخيلوس Aeschylos/Aischylos وسوفوكليس Sophocles/ Sophokles

وفى عام ١٨٣١ ، وعلى إثر حصوله على الثانوية العامة التحق بكلية طب جامعة ستراسبورج وهناك أقام لدى القس يوهان يعقوب

Louise Wilhelmine Jaegle والد إلويزا فيلهلمينا يجله Johann Jakob التى أصبحت عشيقته وخطيبته فيما بعد، وتعد رسائله إليها ذات قيمة كبيرة فى تاريخ الأدب الألمانى.

فى عام ١٨٣٣ انتقل جيورج بوشنر إلى جيسن لاستكمال دراسة الطب، وهناك ينخرط فى التجمعات الثورية، وينتهى من كتابة بيانه الثورى الذى سمى فيما بعد بـ رسول هيسن Der Hessische Landbote ثم ينتقل إلى ستراسبورج ليرتبط رسميا بمينايجله، وبعدها ينتقل إلى دارمشتات ليؤسس جماعة الدفاع عن حقوق الإنسان، ثم يعود - بعد شهر واحد - إلى جيسن لمواصلة دراسة الطب، وهناك يطبع بيانه السياسى (رسول هيسن).

فى نهاية عام ١٨٣٤ ينكب على دراسة الثورة الفرنسية لينتهى الأمر بكتابة مسرحيته الأولى (موت دانتون) تنشرها دار فرانكفورت بداية عام ١٨٣٥، يعبر فيها عن مأساة الثورة الفرنسية التى تخضبت أيديها بالدماء وهى التى جاءت لتحقق العدالة والحرية والمساواة.

وتتوالى أعماله الدرامية والأدبية فيكتب مسرحيته ليونس ولينا Leonce und Lena ومسرحية فوتيسك Woyzeck عام ١٨٣٧ ويترجم عملين إلى الألمانية للشاعر الفرنسى فيكتور هوجو Victor Hugo وهى لوكرتيا بورجيا Lucretia Borgia وماريا تودور Maria Tudor وفى هذه الأثناء، وفى عام ١٨٣٦ ، ودون أن يكمل الثالثة والعشرين من عمره

يحصل جيورج بوشنر على الدكتوراه فى الجهاز العصبى لسمك الباريا (وهو نوع من السمك يعيش فى المياه غير المالحة وسط أوروبا ويقترب طوله من المتر ويتراوح وزنه ما بين ٥ - ١٣ كيلو جرامًا)، وينتقل على أثر ذلك للعمل مدرسا بكلية الفلسفة بمدينة زيورخ Zuerich بسويسرا، وبعد فترة يشعر بالملل من تدريس مادة (مقارنات فى علم التشريح بين السمك والضفادع).

النهاية :

وفي بداية عام ١٨٣٧ يصاب جيورج بوشنر بمرض التيفوس، فاضطرت السيدة كارولينا شولتس Caroline Scholz وزوجها لرعايته في منزلهما بزيورخ، وفي ١٩ فبراير من هذا العام تصل خطيبته مينايجله إلى زيورخ، وكان جيورج في هذه اللحظة - كما تصفه السيدة كارولينا شولتس - يتنفس بصعوبة شديدة، وقد قطع الأطباء أى أمل له في الحياة، وهنا تقول السيدة كارولينا : «جلست أنا ومينا في حجرتنا، وكنا نعرف أنه على بعد خطوات منا يتمدد جسد ميت». وبعدها بيومين رحل جيورج بوشنر إلى عالم آخر غير عالم الأحياء.

دراما بوشنر .. والخلاف الأبدى :

يرى الدكتور عبد الغفار مكاوى فى مقدمة ترجماته المتميزة لأعمال جيورج بوشنر فى هذا الكتاب أن مسرحيته الأولى هى «الوحيدة التى أتمها قبل موته، وهى (موت دانتون)»، ثم يؤكد أن هذه المسرحية - يقصد موت دانتون - مسرحية «لا تسير إلى هدف أو خاتمة، سواء أكانت هذه الخاتمة نهاية سعيدة متخيلة، أم كارثة شاملة تحرر النفس وتطهرها. إن الفصل الرابع والأخير لا يأتى معه بالنهاية المنتظرة، فهو لا يزيد على أن يكون أحد المشاهد العديدة التى رأيناها تدور مع أرجوحة الأحداث»، وعبد الغفار مكاوى بذلك يميل إلى تقرير أن جميع أعمال جيورج بوشنر المسرحية - بما فيها موت دانتون - غير مكتملة، حيث - كما يقول - يتابع جيورج بوشنر «الكتابة كالمحموم فيؤلف مسرحيته الشعبية (فويتسك) أو ملهاته الباكية (ليونس ولينا) ورائعته القصصية (لنس) عن مأساة شاعر العاصفة والاندفاع ياكوب ميخائيل رينهولد لنس (١٧٥١-١٧٩٢) وقد بقيت كلها أعمالا ناقصة لم تتم».

وفى الواقع يؤكد بعض النقاد هذا الرأى حول أعمال جيورج بوشنر باعتبارها أعمالا ناقصة، وهو الرأى الذى تبناه الدكتور عبد الغفار مكاوى فى مقدمته لأعمال الكاتب، وإن كنت أميل إلى تبنى موقف مغاير يرى أن جميع أعمال جيورج بوشنر أعمال مكتملة وتامة غير ناقصة.

موت دانتون :

كتب جيورج بوشنر مسرحية (موت دانتون) فى أربعة فصول تحتوى فى مجملها على اثنين وثلاثين مشهدا دراميا قصيرا، وقد وضع بوشنر بطله الدرامى (دانتون) منذ اللحظة الأولى فى موقف مأساوى يرهص بكل ما سيأتى من أحداث مفجعة، إذ يبدأ بحديثه عن الوحدة والحب الذى يشبهه بالقبر، حتى يصل فى المشهد الأخير إلى ميدان الثورة، وقد نصبت المقصلة ليدفع الجلادون به ورفاقه لقطع رقابهم، وهنا يستدير دانتون إلى الجلاد الذى يفرقهم قائلا :

«أتريد أن تكون أكثر فظاعة من الموت، أتستطيع أن تمنع رؤوسنا لكى تقبل بعضها البعض وهى فى قاع السلة»(٢) .

وفى المسرحية يبدو تأثر جيورج بوشنر واضحا بشكسبير، خاصة فى رسمه لشخصية دانتون الذى رسمه فى حالة هاملتية مترددة - إلا فى لحظات نادرة كهاملت أيضا - تقعده عن العمل والفعل، حتى نهايته تحت المقصلة، ويصبح بذلك فى النهاية ضحية لتركيبته الهاملتية.

ليونس ولينا :

هى مسرحية مكتملة - أيضا - كتبها جيورج بوشنر خصيصا ليشترك بها فى إحدى المسابقات المسرحية، وقد كتبها فى ثلاثة فصول،

وتتكون فى مجموعها من أحد عشر مشهدا دراميا، وتدور المسرحية حول فكرة هروب الأمير ليونس Prinz Leonce مع خادمه نظرا لأن الأمير قد أعلنت خطبته على الأميرة لينا Prinzessin Lena من مملكة أخرى لأسباب سياسية دون أن يراها من قبل، وفى الوقت نفسه تهرب لينا مع خادمتها، ويلتقى ليونس مع لينا دون أن يعرف أحدهما الآخر، ثم يتفقا على الزواج، بعدها يعود الأمير إلى مملكته ومعه الأميرة لينا، ويضطر والده الملك أن يوافق على زواجهما، وبعد إزاحة الأقنعة يكتشف الملك أنهما ابنه وعروسه الذى كان قد قرر تزويجها لابنه، هنا يقرر أن يتنازل عن الحكم لولده حتى يتمكن من الانصراف إلى التفكير الفلسفى دون أن تزعجه أمور المملكة، وتنتهى المسرحية بذلك.

وقد كتب جيورج بوشنر هذه المسرحية بأسلوب مخالف عن أسلوبه السابق فى موت دانتون، إذ إنه يوصفها بالكوميديا، ويصور شخصياتها بشكل كاريكاتورى، ويتلاعب فيها بالألفاظ، والمسرحية تذكرنا – بشكل ما – بكوميديات شكسبير وشخصيات مهرجيه(٤). حيث يتجسد «فى جسد بوشنر روح شكسبير» كما يقول بـ أولينين P. Olenin عن بوشنر وأعماله دون أن يقصد عملاً واحداً، بل كل كتاباته.

لينز (٥) :

كتب بوشنر قصة لينز عن شاعر حركة العاصفة والاندفاع Sturm und Drang يعقوب ميخائيل رينهولد لينز Jakob Michael Reinhold

Lenz وكان تركيزه الأساسى على الناحية النفسية فى لينز الذى أصيب بحالة من الشيزوفرينيا وعاش «تعيسا ثم أصبح نصف مجنون» كما وصفه جيورج بوشنر فى إحدى رسائله إلى أسرته، وتغوص القصة فى شرح وتحليل التناقض والصراع النفسى والتمزق الداخلى فى نفس البطل حتى قاده ذلك إلى الجنون، وقد نشرت القصة لأول مرة عام ١٨٣٩ ، أى بعد رحيل جيورج بوشنر عن العالم بعامين، كما أعدت للمسرح ومثلت لأول مرة عام ١٨٨٥، وقد أعد فولفجانج زيهم Wolfgang Ziehm القصة إلى الأوبرا باسم (يعقوب لينز) وعرضت فى هامبورج عام ١٩٤٩.

فويتسك :

فى طبعة شتوتجارت – عام ١٩٧٨ – توجد نسختان لمسرحية فويتسك، إحداهما منقولة عن خط يد بوشنر، والأخرى منقحة للقارئ العادى، وتتكون النسخة المنقولة عن خط بوشنر من ثلاثة أجزاء، يحتوى الجزء الأول منها على سبعة عشر مشهدا قصيرا، ويبدأ هذا الجزء بمشهد الخلاء بين فويتسك Woyzeck وآندرز Andres ، وينتهى بمشهد المعسكر الذى يودع فيه الأول الثانى.

ويبدأ الجزء الثانى بالمشاهد من الثالث حتى السابع – (وربما يشير هذا إلى ضياع أو فقدان بعض المشاهد) – ، كما يبدأ الجزء

الثالث بمشاهد مرقمة ما بين ٤ حتى ١٠ - (بالطبع يشير هذا أيضا إلى ضياع أو فقدان بعض المشاهد) - حيث يبدأ المشهد الرابع بماريا Marie أمام منزلها مع الأطفال وينتهى بمشهد فويتسك أمام المستنقع وهو يرمي بالسكين فى الماء بعد قتله لماريا، ونجد المشاهد المرقمة فى هذا الجزء أرقام ٧ ، ٩ ، ١٠ مشطوبة بخط يد بوشنر وهذا فى الواقع ما جعل الناشرين يلجأون إلى إعداد نسخة من هذه المسرحية - مسرحية فويتسك فقط - للقراءة أو للتمثيل بترتيب خاص بالمشاهد - من وجهة نظرهم - مع إضافة بعضها أو حذف البعض الآخر، ومن هنا تختلف نسخ هذه المسرحية - فى ترتيب مشاهدها - من ناشر إلى آخر، ومن طبعة إلى أخرى، ويتركز هذا الاختلاف فى الواقع على ترتيب المشاهد وعلى حذف بعضها أو اعتماد المشطوب منها.

ويرجع هذا الاختلاف فى الواقع إلى اعتماد الناشرين على مسودة خطية لبوشنر فُقد أو ضاع بعض مشاهدها، وشطب بعض ما تبقى منها، بالإضافة إلى تغيير فى بعض الكلمات والجمل بالمسرحية، ونجد نهاية المسرحية رغم كل هذا مكتملة - إلا من مشهد أو اثنين فى بعض الطبعات كما يتضح فيما بعد - ، إذ تنتهى المسرحية - فى كل الطبعات - بقتل فويتسك لماريا وإلقائه للسكين التى قتلها بها إلى الماء، ثم ذهابه إلى المستنقع أو البحيرة بحثا عن السكين ليخفى أداة الجريمة، ثم اغتساله فى مياه المستنقع لإخفاء بقع الدم من على يديه وملابسه، وأثناء ذلك يمر شخصان من أمام المستنقع على بعد وقد

توقفا بعد سماعهما لأصوات إنسان يموت، وهى نهاية للمسرحية تتفق وتكنيك البناء الدرامى المفتوح الذى يطرح بعضا من الأسئلة بعد المشهد الأخير مثل هل سيموت فويتسك غرقا؟ هل سينقذه الرجلان؟! وإذا أمسكاه هل سيبلغان عنه أو يقدمانه إلى البوليس؟!.. إلى آخر هذه الأسئلة التى لا تغلق التفسيرات على نهاية المسرحية، وهو تكنيك يختلف عن تكنيك البناء الدرامى المغلق للأعمال الكلاسيكية للسابقين على جيورج بوشنر فى الدراما الألمانية مثل ليسنج وشيللر وجوته وجريل بارتسر وغيرهم.

وفى طبعة شتوتجارت - عام ١٩٨٥[٦] - ينهى الناشر المسرحية بفويتسك وهو يتحدث إلى مياه المستنقع، وفى الوقت نفسه يأتى شخصان تصل إلى أسماعهما من بعيد أصوات لإنسان يحتضر فى ظلمة الليل، ثم يتجهان إلى مصدر الصوت، بعدها يأتى مشهد قصير للأطفال - بضعة أسطر قليلة - وهم يقررون التوجه ناحية الجثة، ثم يأتى مشهد آخر من ثلاثة أسطر يتحدث فيه رجل البوليس عن «القتل الجميل». وأنه لم ير منذ زمن طويل قتلا جميلا بهذا الشكل[٧]. وبالطبع تنتهى المسرحية.

ولهذا ربما تبنى بعض النقاد الرأى الذى يرى أن أعمال جيورج بوشنر هى أعمال ناقصة وهو الرأى الذى ربما بنى على أساس اختلاف طبعات مسرحية فويتسك وحذف بعض مشاهدها وإعادة ترتيب هذه المشاهد وفقا لوجهة نظر الناشر.

إنك تجد - مثلا - أن المشهدين الأخيرين - مشهد الأطفال ومشهد رجل البوليس - ليسا فى نص فويتسك المترجم فى هذه النسخة من الكتاب، إذ اعتمد د. عبد الغفار مكاوى فى ترجمته من الألمانية على النص الذى حققه ونشره فرتز برجمان عام ١٩٥٨، وتتفق نهاية مسرحية فويتسك بالكتاب مع النص الألمانى للمسرحية فى طبعة الكلاسيكيين الكبار التى طبعت بسالزبورج عام ١٩٨٠(٨)، وهو ما جعل النقاد يختلفون حول بعض طبعات هذه المسرحية وحول تحليلاتهم لمسرحية لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الدراما الحديثة، خاصة الدراما الألمانية، وقد وصفها فريدريش دورينمات Friedrich Duerrenmatt بأنها «أكثر المسرحيات التى سحرتنى».

هوامش

(١) Vgl. Buechner : Die Grossen Klassiker Literatur der Welt, Bd 17, Andreas Verl. Salzburg 1980, s. 12 ff, und Hans Mayer : Georg Buechner und seine Zeit, Suhrkamp. Taschenbuch Verl. Frankfurt am Main 1972, S. 233 FF.

(٢) Vgl. Hans Mayer, ebenda, s. 33 FF.

(٣) Buechner : Die Grossen Klassiker, 2. 213

وقارن أيضا الترجمة المتميزة لموت دانتون للدكتور مكاوى فى هذا الكتاب.

(٤) قارن نهاية نص ليونس ولينا فى هذا الكتاب مع مقارنة نص :

Georg Buechner : Leonce und Lena, Phillipp Reclam Jun. Stuttgart, 1985 s. 61

وقارن نهاية المسرحية ذاتها فى طبعة :

Buechner : Die Grossen Klassiker, s. 243

(٥) Georg Buechner : Lenz, Der Hessische Landbote, Phillipp Reclam Jun. Stuttgart, 1957

(٦) Vgl. Georg Buechner : Woyzeck, Leonce und Lena, Hers. Von otto C. A, Phillipp Reclam Jun. Stuttgart, 1985

(٧) Vgl. Ebenda, s. 28

(٨) Buechner, Die Grossen Klassiker, s. 297

تقـــديم

جــورج بشـــنر

(١٨١٣ ـ ١٨٣٧)

كاتب ثائر وطبيب ، عبر عن صرخة الخليقة المعذبة من عبث الوجود وفنائه ، هذه الصرخة التى لانزال نسمع صداها فى الأدب العالمى حتى اليوم ·

ولد فى دارمشتات (مقاطعة هيسن فى المانيا) · كان أبوه طبيبا ريفيا عمل فترة فى حرس نابليون فتعلم كيف يقدر كل ماهو فرنسى ، وكانت امه التقية تجل الشاعر الكبير شيلر فوق كل شىء ، التحق بالمدرسة الثانوية فى دارمشتات ، وعرف بميله الى الفيزياء والرياضة ، كما درس الطب فى شتراسبورج وأفعم قلبه بالثورة والحرية والتمرد على الطغيان فى بلاده ، وتعـــرف على خطيبته مينايجله التى كتب اليها رسائل من اجمل ماعرف الأدب الألمانى · أكمل دراسة الطب فى مدينة جيسن (١٨٣٣) التى اقام فيها فى ظل حكم بوليسى متعنت جعله يعانى أول أزمات حياته ، ويشارك مشاركة

ايجابية فى الثورة ، فيؤلف بيانا يحرض فيه الفلاحين على الثورة على مستغليهم سماه « رسول هسن » (١٨٣٤) ٠

انه يعود فى أوائل عام ١٨٣٤ الى جيسن ليواصل دراسة الطب ، بعد أن أمضى فى بيت أبويه فى دارمشتات فترة استشفاء من التهاب فى المخ أصابه نتيجة أزمات نفسية متكررة ٠ كانت الظروف السياسية فى بلده لا تحتمل ٠ وقد كتب قبل عودته الى جيسن وهو على فراش مرضه الى صديقه أوجست شتوبر يقول : « ان الظروف السياسية تكاد تصيبني بالجنون ، ان الشعب المسكين يجر فى صبر العربة التى يمثل عليها الأمراء وأدعياء التحرر ملهاتهم » ٠ كانت الأسابيع القليلة التى قضاها فى بيت أبويه كافية ليعرف عن كثب جبروت الدولة البوليسية الحاكمة ٠ ولم يكن من الممكن بعد ذلك أن يبتعد بنفسه عن مجرى الأحداث ، ولا لعاطفته الجياشـة المتطلعة الى الحرية والعدل أن تقنع بمجلدات الطب والفلسفة والتاريخ التى كان يغرق نفسه فيها ليل نهار ٠

كانت البلاد الألمانية الممزقة ماتزال تئن تحت حكم أمراء يتمسكون بحقهم الالهى المطلق وكانت الوحدة الألمانية التى تمت بعد هزيمة نابليون وحدة فاسدة ، استطاعت حقاً أن تمنع الحروب بين الدويلات المتحدة ولكنها لم تستطع أن توطد دعائم السلام ٠ وكان الشباب يتوقون الى الحرية فى الداخل والخارج ، وشعارات الثورة الفرنسية لاتزال تصرخ فى آذانهم ٠ وشوقهم الى الحقوق المدنية وانصـاف الطبقات المظلومة يؤرق نومهم ٠ كان دستور امارة هسن الكبرى ـ ـ موطن بوشنر ـ الذى صدر فى عام ١٨٢٠ مجرد حبر على ورق ٠ لقد أوجد بالفعل مجلسا نيابيا ، ولكن حق الترشيح لعضوية هذا المجلس ظل مقصوراً على ألف شخص فحسب من بين ٧٠ ألفا من رعايا الامارة ! وكانت أغلبية هؤلاء الألف من كبار الموظفـين ،

والقادرين على دفع مائة « جولد » من الذهب على الأقل ضرائب كل عام ٠ وهكذا كان من حقهم أن يفرضوا الضرائب ، ولكن لم يكن ينتظر منهم أن يعفوا الشــعب منها ٠ ونشبت ثورة الفلاحين فى « سودل » من مقاطعة هسن العليا ، ولكنها سرعان ما أخمدت بقوة السلاح وتركت وراءها المرارة التى لا حد لها فى نفوس الشعب ٠ وسوف يشير بوشنر الى هذه الحادثة فى بيانه الثورى فيما بعد حيث يقول : « ان الجنود يخرسون بطبولهم تنهداتكم ، وببنادقهم يمزقون رؤوسكم ، حين تجسرون على التفكير فى أنكم بشر أحرار ٠ إنهم السفاحون الشرعيون ، الذين يحمون اللصوص الشرعيين ٠ تذكروا ســـودل ! ان أخــوتكم وأبنـــاءكم قد قتلوا هناك آباءهم واخوتهم »(١) ٠

كانت السنوات التى امتدت من ١٨١٥ الى ١٨٣٠ فى ألمانيا فى تلك الفترة التى تلت الحرب المريرة على نابليون ســـنوات جوع وحرمان وقهر لجموع الفلاحين والعمال اليدويين ٠ وكانوا يقفون فى جانب ، مثقلين بالضرائب ، مهددين بالعبودية والجوع ، بينما يقف الموظفون الأذلاء ورجال البلاط والعسكريون فى جانب آخر ، وكانت أخبار الظلم الذى يزداد عليهم يوما بعد يوم تصل الى بوشنر وهو يدرس فى شتراسبورج ثم وهو يواصل دراسته فى جيسن ٠ ولم يكن من الممكن فى نطاق المدينة الجامعية الصغيرة ، وعيون الجواسيس تحيط بالطلبة من كل جانب ، أن يخفى سخطه على الأوضاع الظالمة فى بلاده ، وتطلعه الى العدالة واحترام الانســـان فى ظل نظـام جمهورى حر ٠

---

(١) راجع ان شئت تفصيل هذا فى كتابى « البلد البعيد » ، دار الكاتب العربى بالقاهرة ، ١٩٦٧ ص ١٣٦ ــ ١٤٦ ، فى مقال بعنوان « الرسول الثائر » ٠

وبدأت شرارات الثورة تتجمع ، ثورة صـــغيرة بغير شك ، قوامها الطلبة والمتعلمون وبعض أساتذة المدارس والجامعات ، تقلق رجال البوليس أكثر مما تحرك مشاعر الشعب الذى كان لايكاد يعرف عنها شيئا • وكان بوشنر يشارك فى تمرد المثقفين دون أن يخفى سخطه عليهم وارتيابه فيهم • ذلك أنه لم يؤمن بثورة تاتى من أعلى ، وتردد شعارات الحرية والمساواة ، بينما الشعب محروم من حقوقه الأولية ، رازح تحت نير الجوع والظلم والوحشية • وكان لابد فى رأيه أن يرفع الحرمان المادى والظلم الاجتماعى عن الشعب قبل التفكير فى حقوقه الســياسية • وهاهو ذا يعبر عن ذلك فى بيانه الثورى فيقول : « ان الضغط المادى الذى ينوء به جزء كبير من الشعب الألمانى يبعث على السخط والحزن مثله مثل الضغط الروحى • وليس من المؤلم فى نظرى أن لا يسمح لهذا المثقف أو ذاك بالتعبير عن أفكاره بقدر ما يؤلم حقا أن نجد آلاف الأسر لا تملك أن تسوى بطاطسها » • لقد كان كل همه أن يجد الانســان يحترم فى وطن يحرره من الظلم والجوع والهوان •

كان يعيش بقلبه مع الجائعين من العمال والفلاحين ، وينظر نظرة الشك والحذر الى مناقشات الأساتذة والمثقفين • وكانت أهم وسيلة لديه للوصول الى هؤلاء الفـلاحين هى طبع المنشــورات وتوزيعها عليهم •

ويكتب بيانه الثورى « رســول هســن » فى مارس من عام ١٨٢٤ ، ويساعده أستاذ اللاهوت « فيدج » على طبعه فى مطبعته السرية وتوزيعه بمعرفة أصــدقائه ـ وان كان قد عدل فيه كثيرا ليخفف من لهجته الحادة ضد الأغنياء والمترفين ! • وألف فى الشهر نفسه جمعية سرية سماها « جمعية الحقوق الانسانية » ، مهمتها تنوير جماهير الشعب ورفع الحرمان المادى عنهم ، ولكن أنصار

الملكية وجماعات الطلبة ابتعدت عنها بل كادت تقاطعها حين طلب بوشنر أن يسمح لغير الجامعيين بالانضمام اليها • ولكنه أصـــر على طلبه ، ودخل في جمعيته السرية الخباز والترزى وصبى الجزار الى جانب الطالب والأستاذ الجامعى ، وفى نفس العام ألف فى مسقط رأسه « دارمشتات » فرعا آخر لهذه الجماعة من المتمردين كانوا يجتمعون سرا ، ليتدارسوا شئونهم ، وينظموا دعايتهم بين الفلاحين، ويتمرنون على استخدام السلاح تمهيداً للثورة الشعبية الشاملة • ووزع منشور بوشنر الثورى بعد أسابيع طويلة من العمل فيه فما أكثر المتحذلقين الذين راحوا يعدلون فى أسلوبه ويخففون من لهجته ! وراح أعضاء الجماعة السرية يوزعونه فى حذر على الفلاحين ، ويلقونه تحت أبواب البيوت • واعتبرت السلطات حيازة المنشور خيانة عظمى حتى بلغ الأمر بكل من وجد منشورا تحت بابه ان يسلمه فى فزع الى رجال البوليس ، خوفا من التشريد والتعذيب والحبس الانفرادى • ويقبض على أحد أصدقاء بوشنر (منيجوروده) ومعه عدد كبير من نسخ البيان الثورى الرائع ، ويسرع بوشنر فى شجاعة نادرة بالسفر الى فرانكفورت وأوفنباخ ليحذر زملاءه • وتفتش غرفته فى غيابه ، فلا يجد البوليس شيئا ينكر ، اللهم الا مجموعة من رسائل خطيبته اليه كتبتها بالفرنسية فأخذوها معهم من باب الاحتياط ! وينتهى الفصل الدراسى الصيفى فيعود الى بيت أبويه ، اللذين ينصحهما الناس بابقاء المتمرد الشاب تحت رقابتهما فى فصل الشتاء أيضا •

هكذا ضاع صدى البيان قبل أن يعلن صوته ، وتحطم السيف النارى قبل أن يثبت وجوده • لقد كان الضمير الاجتماعى فى ذلك العهد مايزال يغط فى نومه ، فبقى هذا الاحتجاج النبيل صرخة فى الفضاء ! وكان لدى الفلاحين من الصبر على الجوع أكثر مما كان يتوقع ، فلم يكن من المستطاع أن يعوا لغته المدعمة بالاحصاءات ،

وان فهموها فلم يكن من المستطاع أن يستجيبوا لها بالسرعة التى خيلها له حماس الشباب ٠

هاهو ذا يقول لهم : «اذهبوا يوما الى « دارمشتات » وانظروا كيف ينعم السادة هناك بأموالكم ، ثم احكوا لأطفالكم ونسائكم الجياع كيف يوزع خبزهم على بطون الأجانب ٠ احكوا لهم عن الثياب الجميلة التى صبغوها بعرقهم ، والأشرطة المزخرفة التى فصلوها بشقوق أيديهم المتعبة احكوا لهم عن القصور الرائعة التى بنيت من عظام الشعب ثم انزووا فى أكواخكم المدخنة ، وأحنوا ظهوركم فى حقولكم الجرداء ليستطيع أطفالكم ذات يوم أن يذهبوا الى هناك ، حيث يجتمع ولى عهد مع ولية عهد لينجبا ولى عهد آخر ، وينظروا من وراء النوافذ ليروا ما يأكله السادة ، ويشموا رائحة المصابيح التى يشعلونها بلحم الفلاحين » كلمات واضحة ما كان يمكن أن تلتبس فى ذهن الفلاحين لو كتب لها أن تصل اليهم : « ستة ملايين « جولد » تدفعونها فى الامارة لحفنة من الناس وضعت حياتكم وأملاككم تحت رحمتهم ، مثلكم مثل غيركم فى بقية أجزاء المانيا الممزقة ٠ لستم شيئا ولا تملكون شيئا ٠ حقوقكم سلبت منكم ٠ ان عليكم أن تعطوا مايطلبه منكم مستغلوكم الذين لا يشبعون ، وأن تحملوا مايلقونه على أكتافهم ٠ افتحوا أعينكم وعدوا حفنة المستغلين الذين لا يستمدون قوتهم الا من الدم الذى يمتصونه من عروقكم ، والأذرع التى تعيرونها لهم وأنتم مسلوبو الارادة » ٠٠

وهكذا ضاعت دعوة « السلام للأكواخ ، والحرب على القصور » وصودر البيان قبل أن يصل الى الأيدى وقمعت الحركة الثورية ، واستيقظت روح الفنان فى نفس بوشنر الذى فر الى بيت أبويه فى شتاء ١٨٣٤/١٨٣٥ هربا من القبض عليه حيث كتب هناك فى شهرى يناير وفبراير مسرحيته الوحيدة التى أتمها قبل موته وهى « موت

دانتون » – وقد اثبت الباحثون أن خمسها على الأقل منقول بنصه من تواريخ الثورة الفرنسية (تييرومنييه) – وما كان قصده أن يمجد هذه الثورة بل أن يعبر عن فزعه من جبرية التاريخ ، وعدمية الوجود ، وتمزق البطـــل · ثم هرب فى فبراير سنة ١٨٣٥ الى شتراسبورج ، قبل صدور الأمر بالقبض عليه بقليل · ويواصـــل دراسة الطب هناك ، وحصل على شهادة الدكتوراه برسالة « عن الجهاز العظمى للأسماك » ويتابع الكتابة كالمحموم فيؤلف مسرحيته الشـــعبية « فويســـك » وملهاته الباكية « ليونس ولينا » ورائعته القصصية « لنس » عن مأساة شاعر حركة العاصفة والاندفاع ياكوب ميخائيل رينهولد لنس (١٧٥١ – ١٧٩٢) وقد بقيت كلها أعمالا ناقصة لم تتم ·

* * *

يعد بوشنر المناهض الأول لمثالية الشاعر الكبير شيلر · ان صورة البطل المنتصر الذى يصارع عالم المادة من أجل تمجيد الفكرة المثالية لا اثر لها عنده فأبطاله يعانون مأساتهم ، وينحدرون الى هوة من العدم ، تحركهم كالدمى الذبيحة أو كخيالات الظل يد خفية باطشة ، ويسحقهم قدر قاس مجهول · و « موت دانتون » تتألف من مشاهد مسرحية تأثر فيها بوشنر بفن شكسبير وجعل موضوعها رجل الثورة الفرنسية المشهور دانتون ، بطل حوادث القتل المشهورة فى سبتمبر ١٧٩٢ الذى ساقه زميله روبسبيير الى المقصلة فى ٥ أبريل عام ١٧٩٤ · وتدور أحداثها فى يومين اثنين معبرة عن احتقار دانتون لرعب الثورة التى جاءت لتحقق الحرية والمساواة فاذا بها تخضب يديها فى بحر من الدماء · ان دانتون بطل الثورة لم يعد بطلا · انه ينظر بغير اكتراث الى روبسبيير وهو يدفع به الى المقصلة ويشمئز من مشهد الدمـــاء المسفوكة والرؤوس المتســـاقطة ويسأل

« ماهذا الذى يكذب فينا ، ويفجر ، ويسرق ، ويقتل ؟ ! » لقد صار هاملت جديداً يخنق فكره ارادته : « مانحن الا دمى ، تشد خيوطها قوى مجهولة ، مانحن الا عدم · لسنا نحن أنفسنا ، بل السيوف التى تتصارع بها الأشباح ، لكن المرء لايستطيع أن يرى الأيدى التى تحركها ، كما فى حكايات الأطفال » · انه لم يعد يعرف مايريد ، أو هو بالأحرى لم يعد يريد شيئا ، اللهم الا الراحة الحقيقية فى القبر : « جولى ، احبك كالقبر ، صدرك رمسى وقلبك تابوتى » ان الثورة عنده هى فوضى الجماهير ، وأبطالها هم السفاحون ، ويمر الزمن فتصبح الخدعة تاريخا · والمسرحية كلها تعبر عن مأساة الثورة ، كما تعبر عن خيبة أمل شاب حساس بعد اخفاق ثورته وثورة أمثاله فى تحطيم الطغيان الاقطاعى المستبد فى بلده ·

وأما قصته « لنس » فتشبه أن تكون دراسة سيكلوجية للعبقرى المجنون ، الذى أصبحت نفسه مسرحا تصطرع عليه قوى النور والظلام ، وتهوى على الدوام فى فراغ موحش يحيط بها من كل جانب ، وملل قاتل يسلبها كل معنى للحياة ، وعالم يضطرب لا تميز فيه الحلم من الحقيقة » · كان يقف الآن على حافة الهاوية ، تدفعه لذة مجنونة الى اعادة التطلع اليها مرة بعد مرة ، ومعاناة هذا العذاب من جديد » · ان العالم يضيق الخناق عليه حتى يكاد أن يختنق ويصرخ كالطفل المريض يريد أن يدفع بيديه جدران الأرض والسماء التى تكاد تسحقه ، ويبعد عنه أشباح القلق التى تكتم أنفاسه · » ·

ومقياس الصدق الفنى عند « بشنر » ليس هو الفكرة المثالية المجردة ، بل العاطفة والشعور · « ولنس » يعبر عن رأى بشنر الأدبى خير تعبير : « اننى أطلب من كل شىء الحياة وامكانية الوجود عندئذ أرضى عنها ، ليس لنا أن نسأل بعد ذلك ان كان

جميلا أو قبيحا • ان الشعور هو المقياس الوحيد فى مسائل الفن • غير أن هذا الشعور بالحياة يقابلنا نادرا ، اننا نجده عند شكسبير ، ونسمعه يتردد فى الأغاني الشعبية ، كما نلمسه فى بعض الأحيان عند جوته • وكل ماعدا ذلك نستطيع أن نلقى به فى النار • ان هؤلاء الناس يعجزون عن تصوير حظيرة كلاب • أرادوا أن يصوروا شـــخصيات مثالية ، ولكن كل ما أراه منها أمامى ليس الا دمى خشبية • هذه المثالية هى أخس احتقار للطبيعة الانسانية » • ان بشـــنر يطالب الفنان بأن يغوص فى كيان كل موجود ، أن يترك الشخصية تخرج بنفسها الى الحياة ، فلا يحاول أن يحشرها فى قالب أو ينسخها على صورة نموذج محدد من قبل ، لا يختلج فيه نبض ، ولا يتردد نفس • و « ليونس ولينا » هى ملهاته الوحيدة التى يغلفها جو صاف من المرح الحزين والسخرية المريرة • انها تعبر عن انتصار الحب على الملل القاتل والخوف المتسلط من الموت والفناء •

وقد كتبت « ليونس ولينا » على أثر مسابقة أعلن عنها الناشر «كوتا» فى الثالث من شهر فبراير عام١٨٣٦ « لأفضل ملهاة ألمانية» وحدد لها موعدا ينتهى فى اليوم الأول من شـــهر يولية من نفس العام • كان نجاح مسرحيته « موت دانتون » قد منحه الشجاعة ، كما أعانته ترجماته لبعض مسرحيات فيكتور هيجو (لوكرتســـيا بورجا ـ وماريا تودور) على فهم الكثير من أسرار المسرح ، أجمل الفنون وأصعبها جميعا • وانتهى من كتابة ملهاته فى أسابيعقليلة من فصل الربيع • غير أنه تأخر فى ارسالها الى الناشر ، فوصلت بعد انتهاء موعد المسابقة بيومين ، وأعيدت له المخطوطة دون ان تفتح !

كتب بوشنر ملهاته وفى خياله نموذج للملهاة الرومانتيكية هو مسرحية « فون برنتانو » « ليونس دى ليون » التى كان قد اشترك

بها فى نفس المسابقة منذ سنوات عديدة ، وسقطت فى المسابقة ٠ ومن يدرى ؟ لعله لم يكن أيضا يتوقع النجاح بقدر ما كان يريد أن يتحدى القدر !

والقراءة الأولى للمسرحية توحى بأنهـا مسرحية رومانتيكية تسيطر على فن الملهاة كما فهمه هؤلاء الرومانتيكيون وعبروا عنه بروحهم الشاعرية الحالمة ٠ والواقع أن بشنر قد كتب المسرحية تحت تأثير قراءاته للرومانتيكيين الألمان من أمثال برنتانو ، وتيك وهوفمان وكاميسو والفرنسيين مثل فيكتور هيجو وألفريد دوموسيه ٠ ولكن الواقع أيضا أنه أراد أن يتحرر من أحزانهم وأشواقهم ، ويكشف الرومانتيكى فى نفسه لكى يتخلص منه ، ويتجاوز عالمهم بالسخرية منه وبالتحدى له ٠ هى مسرحية حالمة ، ولكنه الحلم الذى يفتش عن المعرفة ، وهى حلم شفاف ، ولكنه لاينسينا مرارة الواقع المفزع أبدا ٠ انها من طراز مسرحيات الحلم : من حلم ليلة صيف لشكسبير الى لعبة الحلم أو الى دمشق لسترند برج ومع ذلك فليس فيها مكان للمثاليين ولا للعاطفيين !

الحياة ملهاة ، ولكن هذه المعرفة لاتأتيه الا من معرفته بفناء الحياة وزوالها ٠ واذا كان الانسان يشترك فى تمثيل هذه الملهاة فليس ذلك لأنه يسعده أن يشترك فيها ، بل لأن قدرا قاسيا قد كتب عليه ذلك ٠ فعنصر الكوميديا ينمو من الجذور التراجيدية ، بل ان العنصر التراجيدى يصبح عن طريق العنصر الكوميدى سخرية مرة شاملة ٠ وهذا ينطبق على الأمير « ليونس » الذى يشف شفافية النور ، ولكنه يكاد يقتل نفسه من طول التأمل فى نفسه ، مثله فى ذلك مثل دانتون ، البطل الذى شل تفكيره قدرته على الفعل ٠

ان ليونس أبيقورى من نوع عجيب ٠ فهو يتلذذ بتعذيب نفسه ، ويستقطر الألم الكونى قطرة قطرة ، ويجد متعته فى حب يموت

كطفل رقيق شاحب مسجى فى تابوت ، قبل أن يجدها فى نعمة الحب الذى ينمو ويتفتح ويزدهر · أنه يعشق نفسه ، أو بعبارة أصح يعشق أن يمتص الدم من جراحه ، أن يرى عواطفه تذبل وتتحلل ، أن يجد نفســه يترنح كالراقص على الحبل بين الحلم والواقع ، والوهم والحقيقة ، واللعب والجد · ان كل همه أن يوقف اللحظة الراهنة ليستمتع بها الى آخر قطرة · ولكن اللحظة تمر ، وتزيده احساسا بلوعة وعذاب المصير ، فيتأملها وكأنه يقول لها على لسان فاوست : تريثى قليلا فما أجملك !

هذا الاحساس بالحياة يظل يتأرجح بين متعة الخيال التى لا حد لها ، وبين خيبة الأمل التى يسببها السأم · والحياة تواصل عبثها ، يشدها الاحســاس الرومانتيكى الذى يموت من ناحية ، وتجذبها حقيقة الواقع الذى يتجرد من سحره من ناحية أخرى ·

ان الشخصيات لا تجد الفعل الذى تغوص فى لجته ولذلك فهى مهددة فى كل لحظة بالسقوط فى هوة الفراغ · انها ، على حد قول فاليريو ، كصفحة بيضاء كتب عليها فى كل لحظة أن تملأها بالكتابة· وتكاد الذات أن تتفرق وتتلاشى ، لولا أن النظرة الساخرة المبتعدة تجدد سخريتها من هذه الذات فى لحظات الملل وتجدد أيضا متعتها بعذابها ، ولولا نعمة الأســطورة التى تحقق الحلم فى النهاية ، وتخلص الانسان بالحب والسعادة من خوفه من الملل والعدم ·

وقصة هذه المسرحية بسيطة · فالأمير ليونس من مملكة بوبو قد اعلنت خطبته لأسباب سياسية على الأميرة « لينا » من مملكة « بيبى » · ولكن الأميرين لم يســبق لهما ان تلاقيا وجها لوجه · وليس فى امكانهما أن يشعرا بالحب نحو بعضهما البعض · ولذلك يلجآن الى الفرار من هذا الزواج الرسمى ، فيهرب ليونس فى صحبة

خادمه فاليريو (وما أشبهه بشخصية مضحك الملك) وتهرب لينا في صحبة مربيتها • ولكن القدر يشاء أن يلتقى العروسان دون أن يعرف أحدهما الآخر ، وأن يتحابا ويتفقا على الزواج • وكأن بشنر يريد بهذا أن يصور قدرية التاريخ على خشبة المسرح ، وأن يمسك بيديه تلك الخيوط التى تحركنا بها قوة مجهولة ، وكأننا دمى مسكينة فى يديها • ويعود الأمير ليونس الى مملكته بعد أن صمم على الزواج من حبيبته المجهولة ، ويقدمهما فاليريو الى البلاط كما يقدم « آلات حية » • المقدور اذن قد حدث • ويضطر الملك الذى لا يريد أن يؤجل احتفالات الزواج حتى لا يشغله ذلك عن تاملاته الفلسفية الى الموافقة على عقد زواج العروسين المقنعين • ثم لا يلبث أن يكتشف أنهما هما ولده وعروسه • وتنتهى الرواية نهاية سعيدة ، فيخلف ليونس أباه على العرش ، وترفرف السعادة والحكمة على المملكة التى لا يعيبها سوى أن اسمها هو بوبو !(٢) •

ويلاحظ القارىء أن بشنر يسجل بهذه المسرحية ، فى اطار ساخر ، زهده فى السياسة ، وخيبة أمله فى الثورة على الاستبداد انه هنا يكرر ما قاله فى بيانه الثورى الفريد ، وان لم يقله بنفس اللهجة الجادة التى كادت تودى بحياته •

أما عن مسرحية فويسك فان بطلها « الســـلبى » يعد أول شخصية كادحة تحتل مكان الصدارة فى زمنها فى مسرحية عالمية • وقد استمد بشنر موضوعها من حكاية واقعية جرت حوادثها لجندى بسيط قتل زوجته لخيانتها له • وتسود المسرحية كلها روح الانهيار الكونى الشامل والفزع من ظلام العدم والقلق أمام المجهول •

---

(٢) بوبو هى المقعدة ، كما أن بيبى ، اسم مملكة الأميرة لينـا ، هو عضو الذكورة عند الرجل •

ان البطل هنا ، مثله مثـــل دانتون ، لا يقاوم ولا يتقدم الى الأمام ، بل يحنى رأسه للقدر المعتم ، لا عن ضعف ، بل عن بصيرة بعبث كل فعل وانتصار · ولما لم يكن هناك فعل ، فليس ثمة رد فعل له ، ولا مسرحية بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة · ان الفصل ينحل الى مشاهد منفصـــلة ، ومحاورات ذاتية (مونولوج) ، ولحظات خاطفة ، وليس ثمة خط يرتفع بالحدث أو يهبط به الى نهايته ، بل لوحات وصور مفككة ، ورعشات لا يجمعها غير التوتر المتصل · ولهذا يرى النقاد انها تمثل خطوة هامة على طريق المسرح الملحمى الحديث(٣) · وفويسك قد وجد حقيقة كما قدمنا ، واختلف الأطباء الشرعيون فى قواه العقلية · كان يقول فى المحاكمة انه سمع أصواتا تناديه « اطعن ! اطعن ! » ليس هو الذى قتل اذا ، بل قوة مجهولة طاغية يعجز عن ادراك كنهها · وتقول القضية التى تستند اليها المسرحية ان صانع القبعات يوهان كرستيان فويسك طعن ارملة الجراح فوست البالغ عمرها ستة وأربعين عاما بسكين حادة ، وذلك فى اليوم الثالث من شهر يونية عام ١٨٢١ حوالى الساعة العاشرة مساء على عتبة مسكنها فى مدينة « ليبزج » · قتلها بدافع الغيرة · فقد كانت عشيقته ، وكان يعلم ان لها علاقة برجال آخرين ، وبالأخص بالضباط والجنود · وكانت قد وعدت أن تلقاه فى المساء ، ولكنها خرجت مع غيره ، مما دفعه الى الاقدام على جريمته · وأيا ما كانت تفاصيل القضية التى شغلت الرأى العام آنذاك فقد حكم على فويسك بالاعدام بالسيف ، ونفذ فيه الحكم علنا فى السابع والعشرين من شهر اغسطس عام ١٨٢٤ فى سوق ليبزج · ويحتمل أن تكون هذه القضية قد ظهرت فى محيط عائلة بشنر وربما تحدث فى شأنها مع

---

(٣) راجع لكاتب السطور : المسرح الملحمى ، سلسلة كتـابك ـ دار المعارف بالقاهرة ·

أبيه الذى كان هو نفسه طبيبا وكان له رايه فى المناقشات الطبية الطويلة التى دارت حول فويسك ومدى قدرته العقلية · المهم أن بشنر قد تذكر هذه الحادثة التى ظلت كامنة فى عقله الباطن أثناء دراسته فى شتراسبورج ، ووجد فى شخصية فويسك تعبيرا عن اقتناعه بالقدرية التى تسير الانسان وتلعب بمصيره وتسلبه ارادته ·

وقد ظهرت المسرحيتان بعد موت بشنر المفاجىء بمرض التيفوس ولم يكد يتم أربعة وعشرين عاما من عمره ·

* * *

مــوت دانتــون

تمهيـــد

كتب جورج بشنر مسرحية « موت دانتون » فى شتاء ســنة ١٨٣٥ ، فى أيام معدودة لم تتجاوز شهرا · كان يريد أن يمول بها هروبه عبر الحدود الفرنسية الى مدينة شتراسبورج ، التى عاش فيها ودرس الطب من سنة ١٨٣١ الى ١٨٣٣ ، ليفلت من اضطهاد البوليس واستجواباته المستمرة · فقد ألف فى مدينة جيسن قبل ذلك ــ كما قدمت ــ فرعا لجمعية سرية سماها « جمعية حقوق الانسان » كما وضع منشوره الثورى الخطير الذى فتح عيون الشرطة عليه ، وحرمه الاستقرار فى بلده ·

تتالف « موت دانتون » ، مثلها فى ذلك مثل مسرحية« الجنود » للنس[١] من مشاهد صغيرة منفصلة تبلغ اثنين وثلاثين مشهدا ،

---

(١) ياكوب ميخـائيل رينهولد لنس (١٧٥١ ــ ١٧٩٢) يعد بحياتـه المضطربة وأدبه من أهم ممثلى حركة « العصف والاندفاع » التى استمرت =

يساعد بعضها على دفع الحدث ، ويخلق معظمها جو المسرحية العام الذى يشبه أن يكون قبرا مخيفا شاحب الضوء ، تتردد فيه الأصداء وتتجاوب ،، وترقص الظــلال والأطياف ، ويحب الناس ويكرهون ويتعذبون ويخطبون ويقتلون ويجنون ويحاولون أن يعزوا أنفســهم عن قدر معتم محتـــوم يتربص بهم فى كل لحظة • واذا كان أحد معاصريه من رواد المسرح الواقعى الثائر وهو جرابه (Grabbe) (١٨٠١ ـ ١٨٣٦) قد قال عن مسرحه « ليكن هو العالم » فلعل هذا القول أن ينطبق على مسرح بشـــنر أكثر مما ينطبق عليه ، ولعل هذا قد حقق مالم يحققه صاحبه من معارضة للمســـرح المثالى ـ الكلاسيكى والمسرح الرومانتيكى ، وتصوير لنبض الانسان وعذابه وعالمه الباطن الدفين ، بعيدا عن قوالب الأشكال الفنية وقيود المذاهب الفكرية والفلسفية والاجتماعية •

* * *

يبدأ الفصل الأول من المســـرحية بصالة لعب الورق ، حيث يحاول دانتون مع بعض رجال الثورة الفرنسية أن يطردوا السأم عن نفوسهم •

وليس فى هذا المشهد مجال لتصوير الانفعال بالثورة ، فالحزن والكآبة والشلل الارادى يسيطر على جوه الثقيل •

= فى الأدب الألمانى من حوالى سنة ١٧٦٧ الى سنة ١٧٨٥ وكانت كما يوحى اسمها ـ رد فعل للنزعة العقلية لحركة التنوير وتحريرا للعاطفة الجياشة والعبقرية الخلاقة • تميز انتاجه بالواقعية والثورة على الشكل المسرحى التقليدى والاهتمام بالنقد الاجتماعى وأثر تأثرا كبيرا على بشنر •

اننا نسمع أصواتا مخنوقة كانت من قبل تجلجل فى الساحات وقاعات الاجتماعات ، كما نسمع أصوات نساء تحاول أن توقظ الحب وتلمس القلوب · وبين الشك والمرارة على لسان دانتون : (اننا نعرف القليل عن بعضنا البعض · نحن وحيدون جدا) وبين الكلمات المؤثرة على لسان جولى (أنت تعرفنى يادانتون) يدور الحوار فى هذا المشهد كما يتردد فى بقية مشاهد المسرحية حتى تصرخ لوسيل صـــرختها الأخيرة قبل أن ينتابها الجنون ويقتـادها الجنود الى مصيرها المحتوم · هذا التضاد المسـتمر فى الأفكار والمشـاعر والعبارات شىء أكبر وأعمق من كل الاتجاهات والأشكال والأساليب الفنية · انه يعبر عن الصراع الكامن فى قلب بشنر نفسه ، ويصور كل ماشغل فكره وحرك عواطفه ويده بالكتابة ·· وهو ماثل فى مسرحياته ورسائله ، وفى حياته ونشاطه السياسى والعلمى ، ممتد الى جذور كل ثورة سياسية أو أدبية حين تفهم على الوجه الصحيح ، « واقعى » الى الحد الذى لايمكن معه أن يوصف بالقدم أو الحداثة ، معبر عن أهون أحداث المســرحية شأنا تعبيره عن أفظع الكوارث التاريخية · ويندر أن تجد كاتبا مثله استطاع أن يجد الكلمات التى تصور هذا كله بلا طموح أو ادعاء · ولعل هذا هو الجديد فى «موت دانتون » · ولعله أن يكون هو سر عظمتها وغرابتها فى وقت واحد · ذلك شىء يحس به القارىء ولا تنفع فى توضـيحه الشـــروح والتحليلات · وما قيمة كل التفاصيل التاريخية والعلمية عن مكانة المسـرحية فى الأدب الألمانى والعالمى الى جانب هذا الاحســاس ؟! تريد ؟!

ومع ذلك فان هذا لايمنعنا من أن نسأل : كيف اســتطاعت كلمات بشنر وعباراته ومشاهده أن تعبر عن هذا الاحساس ؟ كيف وصل الى ذلك بلا خطب طنانة ولا أنات باكية ؟ كيف استطاع أن يكتب عن حدث تاريخى ضخم كالثورة الفرنسية فلم يمجدها ولم

يندب حظها بل جعلها مناسبة ورمزا للتعبير عن عذاب الانسان بوجه عام وعن معنى وجوده فى التاريخ أو عبث هذا الوجود ؟ وبالجملة ، لابد أن نسأل أنفسنا كيف بنى بشنر مسرحيته ؟

لا نكاد نمضى قليلا فى قراءة المشهد الأول من المسرحية حتى نسمع كتائب الرعب والفزع الزاحفة ونحس أن دانتون « بطل » الثورة الذى أنقذها من أعدائها ذات يوم ، وكان مسئولا عن حوادث القتل المشهورة فى سبتمبر سنة ١٧٩٢ ـ لابد أن يتحرك ويفعل شيئا • ولكننا سرعان ما نحس كذلك أن « البطل » لم يعد بطلا بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة ، ولم يبق فيه شىء من الحماس والتزمت والجد الذى يحتاج اليه الثوار والسياسيون • ان كلماته تفيض أسى ومرارة وشكا • وفكره قد طغى على ارادته فأصبح نسخة أخرى من هاملت لا يجد فى نفسه القوة التى تحركه الى الفعل ، وان وجدها فلن يقتنع بها :

دانتون : يستطيع الانسان أن يقرض الشرفاء ، ويشهد حفلات التعميد لديهم ، ويزوج بناته لهم ، ولكن هذا هو كل شىء !

كاميل : مادمت تعرف هذا ، فلماذا بدأت الكفاح ؟

دانتون : لأننى أحسست بالاشمئزاز من أولئك الناس • لم أستطع أبدا أن أنظر الى أمثال « كاتو » المزيفين بغير أن أفكر فى ركلهم • تلك هى طبيعتى • (ينهض واقفا) •••

جولى : أتذهب ؟

دانتون : (لجولى) لابد أن أنصرف • انهم يثيرون أعصابى بسياستهم •

هذه المستويات المختلفة فى الحوار والأسلوب ، والتداخل المستمر بين كلام الخطباء والمشرعين ، وحديث الذات الى نفسها أو الى انسان قريب منها ، وأدوار المغنين المتسكعين فى الشوارع ، وبذاءات الغوغاء فى الحارات ، هو الذى جعل بشنر يكتب ذلك الحوار الذى لم يسبقه اليه كاتب مسرحى فى المانيا من قبل ، ويخلق المسرح الذى نستطيع أن نسميه بالمسرح « الواقعى » هذا اذا فهمنا الواقعية من خلال الحقيقة الانسانية الحية ، لا من خلال المذاهب والعقائد والنظريات ويأتى بعد هذا المشهد فى حجرة اللعب مشهد آخر فى الشارع بين سكير بائس وزوجته القوادة وبعض المتسكعين المخربين بترديد الشعارات ٠

والمشهد يفيض بالسخرية والألم معا ، ويصور اصطدام البطولة المهذبة بالوضاعة والتعاسة التى تسير حافية على أرض الطريق ٠

وبعد أن نعرف حكاية الزوجين البائسين وندرك التناقض الواضح بينهما وبين عالم الخُطب والوعود والآمال ٠ نرى روبسبيير النزيه ، رجل الثورة العنيد ومحاميها الجسور ، بين طائفة من النساء والصعاليك ليبرز لنا هذا التناقض العجيب ٠ لقد جعل من نفسه اللسان الناطق بافكار الثورة ، المدافع عن قسوتها وصرامتها ، كما وضع نفسه بعيداً عن التضاد القائم بين المتشكك العارف والعاطفى المخلص فاصبح تمثالا جامداً للفضيلة ، لا يؤثر عليه الضحك ولا البكاء ٠ ولكن هل ينتصر هذا الثائر المل حقا أم يتحول الى ترس فى عجلة الثورة ، واداة من ادوات القتل والبؤس والتعذيب ؟ الجواب على هذا يقدمه تاريخ الثورة الفرنسية نفسها ، كما يعطيه المشهد السادس من الفصل الأول ، الذى يلتقى فيه البطلان المشهوران ، ويحاول كل منهما ــ على الرغم من القناع الذى يضعه على وجهه ــ أن ينظر فى فؤاد صاحبه ٠

يقول دانتون لروبسبيير : « اليس فيك اذن شيء يهمس في الخفاء قائلا : أنت تكذب ، تكذب ؟ » وعندما ينصرف دانتون نسمعه يقول لنفسه لست أدري ما الذي يكذب في صاحبه » انه يحاول أن يمزق القناع الذي فرضه على نفسه ، ويستمع الى قلبه الذي يهمس له بصوت خافت أنه بشر كغيره من البشر ، وأن وراء النظريات المجردة والقوانين القاسية « انا » وحيدة لا يصح أن تذوب في « النحن » المطلقة • ويمتد حديث روبسبيير مع نفسه حتى يكاد يتشكك في فضيلته ، ويرتاب في الشعارات والعبارات المحفوظة ، ويدرك أن الثورة قد أصبحت آلة تتحرك من تلقاء نفسها ، كما أصبح هو نفسه قائدها وضحيتها في آن واحد •

انه يقف الآن امام النافذة ، ويرى الأطياف تتحرك في الليل ، والهواجس الدفينة تتجسد أمامه وتطالب بحقها في الوجود : « الليل يغط في نومه فوق الأرض ويلتف في حلم موحش • أفكار وأماني لانكاد نحس بها ، مضطربة وغامضة ، تتوارى خائفة من ضوء النهار ، تكتسي الآن شكلا ورداء » •

ولكن زميله سان جوست لا يلبث أن يوقظه من هذا الحلم ويعيده الى صحراء الخطط والأهداف ، وينبهه الى ضرورة التخلص من دانتون وأصدقائه • ويتعجله روبسبيير كأنه يحاول أن يهرب من هواجسه بأسرع مايستطيع : « اذن فأسرع ! غدا ! لا نريد صراعا طويلا مع الموت ! لقد اشتدت حساسيتي في الأيام الأخيرة • المهم أن تسرع ! » وحين ينفرد بنفسه مرة أخرى لانسمعه يردد جملة محفوظة ، ولانراه يشير الى دور المخلص الذي احب دائما أن يناديه الناس به ، بل نسمعه يقول لنفسه في لهجة من أسى فهمه وانفض الأصحاب عنه : «ياحبيبي كاميل ! انهم جميعا يتركونني • كل شيء حولي وحشة وخراب — انني وحيد » ••

وفى الفصل الثانى نجد دانتون يتحرك الى الفعل ، على الرغم من كل مرارته وسأمه ونزعته الرواقية الزاهدة · ولكن هل سيتحرك حقا ، أم يكفى أن تشله عن الفعل عاطفة بسـيطة تعبر عنها هذه الكلمات : « تعال ياولدى ! قلت لك انهم لن يجرؤوا » ؟ ان كاتبنا يعرف كيف يشكل الحدث ، أو بالأحرى مجموعة الأحداث والمواقف الخاطفة المنفصلة ليجعلها تصـب جميعا فى حدث أكبر من الثورة الفرنسية نفسها ، سيظل قائما مابقى على الأرض انسان ان أصغر الأحداث وأبسط المواقف يصبح أهم من نظريات روبسبيير الثورية ، ومن خطبة دانتون التى يلقيها دفاعا عن نفسه · فمشهد لوسـيل (حبيبة كاميل) فى النهاية وهى تهذى وحدها على درجات المقصلة أعمق تأثيرا من كل عبارات البطولة التى تفيض بها المسرحية · والحكايات الكثيرة المتداخلة ، والمشاهد القصـيرة التى تضىء وتنطفىء كأنها أنوار أرجوحة تدور فى المهرجان ، وأغانى الشحاذين والمغنين المتسكعين ، كلها ترسم خلفية الحدث الأساسى ، وتحرك الحكاية الأصلية وتساعد على تشكيل الجو الضبابى العام للمسرحية ·· فلا نكاد نحس بان دانتون يريد أن يتحرك ويفعل شيئاً حتى نسمع المغنى يقول :

خبرونى ·· خبرونى
مالذى يلقى الرجال
من نعيم أو هنـاء ؟
من صباح لمسـاء
بين هم وعنـاء
وعـذاب وشـقاء

وتدخل أغنية الشحاذ أو بكائيته فتساعد على خلق هذا الجو القدرى الذح يبدو أن الشخصيات جميعا لن تستطيع الافلات منه · (وقد تعلم الكاتبان فيديكند وبرتولت برشت كيف يستفيدان من هذه الأغانى فى داخل الحوار ، كما تبعهمـــا فى ذلك كثير من الكتاب المعاصرين) ··

فالشحاذ يشكو الزمان ويقول :

يا أهل المروءة ، يا أهل الثـواب

ما بقى من الدنيا غير التراب !

وتتبع نتف متفرقة فى الحوار ، يعود الشـــحاذ بعدها الى الغناء :

على الأرض بختى وآخر نصيبى

يا أهل المروءة ، يا أهل الثواب !

وتتردد الأغنيات على هذا النحو فى بقية المشهد على لســان الشحاذين والمتسكعين والبغايا والجنود · وفى المشهد الثالث يتحدث دانتون مع كاميل ولوسيل عن الفن ، ويرثون لحال الشعراء والكتاب والرسامين الذين يخلقون شخصيات جامدة مصطنعة لا تتوهج فيها شرارة الحياة · وقبل أن يأتيهم خبر اعتزام لجنة الاصلاح القبض عليهم ، أى بين الحديث عن الفن ودوى الحدث التاريخى الهائل ، نسمع هذا الحوار البسيط يدور بين كاميل وحبيبته لوسيل بعد أن استدعى دانتون الى خارج الحجرة ·

كاميـل : ماذا تقولين يالوسيل ؟

لوسيل : لا شىء • اننى أحب أن أنظر اليك وأنت تتكلم •

كاميـل : هل تسمعيننى أيضا ؟

لوسيل : بالطبع !

كاميـل : هل أنا على حق ؟ أتعرفين ماذا قلت ؟

لوسيل : لا • فى الحقيقة لا أعرف • (يعود دانتون)

وتتداخل المسـتويات المختلفة فى الحوار من جديد ، ويعود التضاد الذى عرفناه بين الشكاك المتعب الذى يقول : « نحن لانعرف الا القليل عن بعضنا البعض » وبين النغمة الوفية الصادقة فى سؤال الحبيبة : « هل تعرفنى ؟ » وتلهث الجمل وتتقطع ، وتدخل الأغانى والشتائم فى الحوار ، وتقوم الاشارة والايماءة الصامتة مقام الجملة الطويلة ، وتدوى الخطبة الفصيحة والشعارات المملة فى المحكمة ، وتنطلق الصيحات المجنونة من فم الزوجة والحبيبة ، وتتسـاقط الكلمات الشـاعرة كالأوراق الذابلة ، ويعمل هذا كله على ابراز الطابع الفريد لهذه المسرحية التى ظلمها النقاد المعاصرون لبشنر واتهموها بأنها مجرد اعداد مسرحى للمصادر التاريخية • (وخمس المسرحية منقول بالفعل نقلا حرفيا من وثائق الثورة الفرنسـية) حتى قدرها الباحثون المحدثون حق قدرها وعرفوا أن بشنر قد أعاد صياغة هذه المصادر التاريخية فى الشكل الفنى الذى يخدم غرضه وجعل منها رموزا معبرة عن وجدان الانسان أينما كان ، وتصوير ضحكه وحزنه وفرحه وموته •

ويأتى بعد ذلك مشهدان شهيران هما مشهد الخلاء والحجرة بالليل • ان دانتون يتعذب بذكرى حوادث القتل المشهورة فى شهر سبتمبر سنة ١٧٩٢ • ويزداد جو المسرحية اتساعا وقتامة ، وتتردد فيه أصداء الخواطر المرتعشة المفزوعة • وينتهى الفصل الثانى كله

باجتماع المجلس الوطنى بعد القبض على دانتون ، وبخطبة روبسبيير الرائعة المشهورة التى ستحدد مصير دانتون ·

وندخل مع بداية الفصل الثالث الى سجن اللوكسمبورج ، فى قاعة معتمة كالقبر مزدحمة بالمساجين · ولا نكاد نمضى قليلا مع أحاديثهم العدمية (التى نخطىء خطأ كبيرا لو تصورنا أنها تدعو الى الانكاد أو التجديف لأنها فى حقيقتها تعبير عن يأس بشنر لا عن انكاره للذات الالهية ، واحتجاج ينبع من حساسيته المفرطة لعذاب المخلوقات وفنائها المحتوم) حتى يدخل الحراس دانتون ولاكروا وكاميل وفيليبو · ومن ناحية أخرى يعد زملاء روبسبيير لتنفيذ الحكم على دانتون · ولانلبث أن نسمع دانتون فى المشهد الرابع من هذا الفصل وقد استعاد صوته المجلجل فى قاعة المحكمة · غير أننا نعلم سـلفا أن الأوان قد فات ، وأن المؤامرة قد أحكمت خيوطها حول رقبته · انه ينجح نجاحا مؤقتا (فى المشهد التاسع) فى كسب معظم الأصوات فى صفه · غير أن هتاف الجماهير التى تميل مع كل ريح يخيب ذلك الأمل · فهاهى ذى أصواتها تختم الفصل الثالث وهى تدوى كالرعد : يحيا روبسبيير ! يسقط دانتون ! يسقط الخائن !

❋ ❋ ❋

لماذا فشلت الثورة الفرنسية ؟

لابد أن بشنر سأل نفسه هذا السؤال وهو يكتب مسرحيته · ولابد أنه تأثر عند كتابتها بفشل الثورة التى شبت فى بلاده للقضاء على ظلم الارستقراطية والاقطاع ، وانعدام الوعى الثورى عند الألمان فى ذلك الحين ، سواء عند الفلاحين البائسين أو المثقفين المدعين

الذين كانوا لايملون من الكلام عن الحرية والحقوق الانسانية بينما ألوف الأطفال يموتون من الجوع • ولقد تصور بشـــنر ان الثورة الفرنسية تحطمت نتيجة الصـــدام بين رأيين يمثلهما روبســبيير ودانتون • فالأول يعتقد أن الثورة لن تنجح حتى تقضى على جميع أعدائها ، وتنشر حكم الرعب فى كل مكان • والثانى يرى أن الشعب لن يشبع من الدماء ، وأنه فى حاجة الى الطعام والملبس لا الى الرؤوس المتساقطة • ان الثورة يجب أن تكف عن افتراس أبنائها ليعيش كل فرد حياته ، ويستمتع بحاضره • احدهما يريد أن ينشر حكم الرعب والقانون والمقصلة ، والآخر يريد أن يوقف عربة الثورة أمام الماخـــور • وكان لابد للثورة أن تضـــيع بين هذين البطلين المتطرفين وتصبح لقمة سائغة فى فم طاغية أنانى مثل نابليون • وكان لابد لبشنر أيضا أن ييأس من الثورة ويفقد ايمانه بمعنى التاريخ ، فلم يكن هو ولا عصره قد أدركا مفهوم الثورة بمعناها العلمى ، ولم يكن فى استطاعتهما أن يعرفا أن الثورة لابد أن تغير من ظروف الانتاج وتعيد توزيع الثروات وتقضى على التناقض البشـــع بين الطبقات ، والا بقيت صرخة عالية ممزقة فى الهواء •

***

ان بشنر – وهو فى هذا صادق مع نفسه الحساسة المتشائمة – لا يعتقد أن التاريخ يســـير نحو هدف معلوم ، ولايرى – كما رأى الكلاسيكيون من قبله – أنه يتطور تطورا عضويا مستمرا نحو آفاق حضارية أرقى وأوسع • فهو يرى الوقائع وحدها ، ويجد أن هذه الوقائع تقول عكس ماتقول به نظريات الكلاسيكيين • ولذلك فان

مسرحيته لا تسير الى هدف أو خاتمة ، سواء أكانت هذه الخاتمة نهاية سعيدة متخيلة ، أو كارثة شاملة تحرر النفس وتطورها .

ان الفصل الرابع والأخير لا يأتى معه بالنهاية المنتظرة . فهو لا يزيد على أن يكون أحد المشاهد العديدة التى رأيناها تدور مع أرجوحة الأحداث . فنحن نعرف أن موت دانتون لم يحسم شيئا ، ولم ينقذ الثورة و لاالفضيلة ، وان روبسبيير لن يلبث بدوره أن يلقى نفس المصير ، تسقط رأســه مع دورة هذه الأرجوحة الأبدية . والمسرحية نفسها تقول هذا ، على لسان كولو (فى المشهد السادس من الفصل الثالث) حين يهتف بأن حدم الثورة تسيل ، وبانه اذا كان روبســبيير يريد أن يجعل من الثورة كرسى اعتراف فعليه أن يرقد عليه لا أن يقف فوقه .

هو اذن حدث غير انسانى او حدث يتخطى حدود الانسانية ، ويسير فى طريقه دون أن يعبأ بعذاب الانسان ودمه ولحمه وتبضات قلبه . انه يجرى الآن وسوف يتكرر على الدوام ويمتزج فيه اليأس بالعجز بالطموح بالارادة الطيبة ، ويجتمع فيه الشك والبراءة التى عبر عنها دانتون حين قال : « نحن لانعرف الا القليل عن بعضنا البعض » مع الصدق والبراءة التى أجابته بها جولى المحبة الوفية « أنت تعرفنى » مثل هذه الخلجات تومض كالشرر تحت التراب أو كأنوار الفنارة فوق بحر مظلم . انها تثبت وجودها على الرغم من كل شىء ، على الرغم من عجزها وضعفها بين الصيحات المدعية الغاضبة ، والنظريات المجردة والشعارات المكررة التى تلبس مسوح القداسة ، وأصوات الجماهير التى تندفع مع كل ريح وتميل بسذاجتها وضعف بصيرتها وغلبة الشــهوات عليها مع كل مجداف . هذه الخلجات البسيطة شىء لاينبغى ان نطمسه أو نخرسه . انه أعظم مافى الانسان وأصدق ما يدل على وجوده . ولو أخرسناه وطمسناه فى سبيل النظريات والشعارات فماذا يبقى من الانسان ؟! وليس من

قبيل الصدفة أن لا يبدأ هذا الفصل الرابع بحدث سياسي بل بمشهد بسيط ترسل فيه جولي ولدها الى دانتون ومعه خصلة شعر ، علامة على أنها ستموت معه : « اذهب ! أعرف انني رأيته لآخر مرة · قل له انني لا أستطيع أن أراه وهو في هذه الحال · (تعطيه خصلة من الشعر) خذ · أعطه هذه الخصلة وقل له انه لن يذهب وحده الى هناك · انه يفهم ما أريد · »

وبداية هذا الفصل ونهايته لا تربطهما صلة مباشرة بالأحداث السياسية الجارية بل يصوران « الحدث الأكبر » الذي أشرت اليه في بداية هذا الكلام ، وقلت انه سيظل يجري ويتكرر ما بقي على الأرض انسان · وتصل المسرحية الى ذروتها في مشهد «الكونسييرجري » الذي يصور ذلك الحدث الأكبر كما يعبر عن وحدة الفرد وعن نجاحه في بعض اللحظات في أن يخرج من هذه الوحدة ويتحسس في الظلام طريقه الى قلب جاره · وقبل أن نصل الى الذروة التي تحدثنا عنها، يقابلنا مشهد بين كاميل ولوسيل ، يكاد أن يكون مشهدا سيرياليا (المشهد الرابع ـ الفصل الثالث) « لوسيل (تظهر على المسرح وتجلس على حجر تحت نافذة المساجين) كاميل ! كاميل ! (كاميل يظهر في النافذة) اسمع ياكاميل · أنت تضحكني بهذا الرداء الطويل الضخم والقناع الحديدي على وجهك · ألا تستطيع أن تنحني ؟ أين ذراعاك ؟ ـ أريد أن أصيدك ، ياعصفوري العزيز » ·

وتنبض هذه الخلجات المؤثرة قبل أن نصل الى الذروة التي أشرنا اليها قبل نهاية المشهد الخامس من الفصل الرابع · فهاهم المساجين يشتركون في حديث واحد هو في حقيقته مونولوج طويل موزع على فيليبو ودانتون وهيرو وكاميل ، يجأرن فيه بالشكوى من قوة غيبية مسيطرة · انهم في الحقيقة لا يجدفون ، ولكنهم في يأسهم يصرخون · ويدخل السجان ليقتادهم الى العربة التي ستنقلهم الى

ساحة الاعدام ، فيشعرون بأنهم قد اقتربوا من بعضهم البعض أكثر من أى وقت مضى · ان فيليبو يقول لأصحابه : « تصبحون على خير يا أصدقاء ! فلنسحب اللحاف الكبير علينا ونحن مطمئنون ، اللحاف الذى تتوقف تحته كل القلوب وتغمض كل العيون » ·

ويعانق المساجين بعضهم البعض ، ويتأبط هيرو ذراع زميله كاميل وهو يقول له : « افرح ياكاميل ، فسوف تكون ليلتنا جميلة »· ثم ينتهى مشهد الاعدام بموت جولى الذى تؤكد به قربها من دانتون وبموت لوسيل الذى تثبت به وفاءها لكاميل ·

ولكن لنتأمل معا هذا المشهد الخامس عن قرب ·· فهاهم أولاء أصدقاء دانتون قد شلت ارادتهم عن الفعل ودخلوا معه بين فكى الثورة التى ســتفترسهم بعد لحظات ، وغابوا فى تلك الطاحونة الكبرى التى ستطحنهم كما طحنت سواهم · انهم يسألون الآن عن معنى الوجود أو عبثه ، عن حقيقته أو باطله ، كما يبحثون عن شىء لعلهم يصلون اليه فى الظلام · ويمضون فى حديثهم فيمزقون كل قناع ، ويتحررون من كل الأوهام · ونسمع كلماتهم الجادة المخيفة التى لاتحاول أن تحل تناقض الوجود بالابتسامة الساخرة المريرة ، ولا تستعير من التراجيديا القديمة ذلك الانفعال البطولى والهائل ، بل تخلق لنفسها نوعا جديدا من الانفعال الأليم ·

ان هيرو يكشف القناع عن اللعبة الخالدة ، لا بالســخرية الحادة أو العبارات الطنانة ، بل فى نغمة تفيض بالجد والتعاسة · وكاميل هذا الشاب الجميل الذى يحب الجمال فى كل شىء ـ يلجأ الى الاستعارة والتشبيه الجديرين بفنان مثله · ودانتون ينزع عنه دور بطل الثورة الذى تعب من تمثيله ويتحدث بغير صيغ محفوظة أو أشكال جاهزة فتكاد عباراته أن تتحول الى دقات مطرقة : عندما

يأتى اليوم الذى يفتح فيه التاريخ قبوره ، فسوف يختنق الاستبداد من رائحة جثثنا » أو حين يقول : «العالم هو الفوضى والعماء» ولكن فيليبو هو الوحيد الذى يصر على تعزيه نفســه وأصــــحابه بهذا التجانس والانسجام الأبدى الذى يؤمن بوجوده : « افرح ياكاميل فسوف تكون ليلتنا جميلة » ، « فلنسحب اللحاف الكبير علينا ونحن مطمئنون » انه وهو على حافة الموت لايزال يملأ عينيه من الخطوط الالهية الرائعة ولايزال يعتقد أن هناك آذانا ينسكب فيها الصراخ والعويل كأنه لحن منسجم · أما هيرو فيفضح ذلك الوهم القديم الذى يجعل البطل يتعزى بالتاريخ ، ظنا منه أن الأجيال المقبلة هى التى ستنصفه : « انها عبارات محفوظة للأجيال المقبلة · أليس كذلك يا دانتون ؟ انها لا تعنينا فى شىء » ماذا بقى اذن للمعزين ؟ لم يبق أمامهم الا أن يلتصقوا ببعضهم البعض ويصرخوا · فليس هناك أغبى من أن يطبق الانسان فمه بينما يضنيه الألم ·

وأما كاميل فهو يخلق صورة بعد صورة ، يفضح بها الاقنعة التى يرتديها الانسان فى أعماله وأتعابه وهو فى الحقيقة يفتح فمه متصنعا الفرح ، ويصبغ وجهه باللون الأحمر · ان علينا أن ننزع الأقنعة ، كل الأقنعة · ان الفروق بيننا ليست بالقدر الذى نتصوره · ونحن جميعا أوغاد وملائكة ، أغبياء وعباقرة ، وكل هذا فى وقت واحد · العناصر الأساسية فى وجودنا تختفى وراء الأصباغ المعقدة ولكنها فى صميمها واحدة · فالأرجوحة الأبدية تدور ولا تكف عن الدوران ، والحياة تنقضى بين نوم وهضم وانجاب أطفال ، وما الخلافات التى نتوهمها الا متنوعات على لحن واحد · والطموح ، والبطولة ، والعبقرية ، وتكلف الظرف كلها أقنعة فارغة · فنحن فى الحقيقة موسيقيون مساكين ، وأجسامنا كما يقول دانتون هى الآلات التى نعزف عليها انغامنا الملة المتشابهة · ولا حقيقة لشىء خلف هذا كله الا للألم والعذاب · فلنصرخ اذن ولنبك كما ينبغى لنا !

لا بل ان هذا الصراخ نفسه لا يعدم من يعريه ويكشف عنه القناع • فهيرو يقول ان الاغريق والآلهة قد صرخت ، بينما ادعى الرومان والرواقيون البطولة والصبر • ومع ذلك فليس هذا الصراخ نفسه الا نوعا من التلذذ الأبيقورى الذى يحاول الانسان ان يريح به ذاته علينا اذن أن نمضى فى كشف كل الأقنعة ، وأن نعرى الانسان من أوراق الغار وأكاليل الورد وأوراق العنب !

وهذا الألم الذى نريد أن نصرخ به يصبح ضحكات تتردد أصداؤها فى فراغ العدم • ويضحك الآلهة على هذا « اللعب الملون لصراع الموت » ، وكأننا ، كما يقول كاميل ، أسماك ذهبية على موائد الآلهة • وتموت الأسماك الى الأبد ، وتضحك الآلهة الى الأبد • لم تفلح البطولة اذن بقناعها الحجرى المتكلف ، ولم تنجح صور الانسجام ولا « الخطوط الالهية العظيمة » التى جاء بها فيليبو ان تجلب العزاء فى موقف يصعب فيه كل عزاء • وهاهوذا دانتون يتدخل فى هذا المونولوج الطويل بهذه الصورة الكونية البشعة عن الضحك الأبدى من عذاب البشر • انهم خنازير تجلد حتى الموت لكى يلذ طعمها فى أفواه الملوك والأمراء ، وأطفال يشويهم الاله السامى الرهيب « مولوخ ويدغدغهم بأشعة الضوء لكى يسعد الآلهة بضحكاتهم الأليمة ، وأسماك ذهبية تموت أبدا على موائد الالهة المباركين ، فيضحك الآلهة أبدا على صراعهم المميت • ويلخص دانتون هذه الصور المخيفة فى عبارة واحدة تقول ان العالم هو الحماء • والعدم هو اله الكون • ويأتى السجان فيعلن أن العربات تنتظرهم أمام الباب ، وتهبط هذه الصور الكونية فجاة الى مجال الانسان وعلاقته الحميمة بالانسان • ويعانق الأصدقاء بعضهم • ويمسك هيرو بذراع كاميل ويقول له : افرح ياكاميل • ستكون ليلتنا جميلة ويحاول المساجين أن يواجهوا قدرهم وقد رفعوا الأقنعة عن وجوههم • يكتسب كل شىء وجهه البشرى • حتى صفحة السماء

وعليها خيالات الالهة الشاحبة تبدو الآن فى صورة بشرية · وتختلج القلوب بالنبض الانسانى فتحجب صورة « البشـــر الذين يموتون كالأسماك الملونة فى أطباق الالهة الضاحكين ، كما تخفف من بشاعة هذه الضحكات التى كادت تخنق صرخات الألم · وحين يقبل السجان ويعلن فى كلمة موجزة : « أيها السادة · تستطيعون الآن أن ترحلوا » بعمق احساسنا بألم الانسان ، فنزداد منه قربا وبه انفعالا · ويبقى الفرد ، على الرغم من كل عزاء ، وحيدا مع عذابه · مامن شيء يخفف عنه هذا العذاب لا العبارات المحفوظة التى قصدت بها الأجيال القادمة ، ولا الوجوه المتحجرة التى تتصـــنع البطولة أو تتكلف الابتسام أو تصرخ للتلذذ بصـــوتها ، ولا الخطوط الالهية العظيمة وآيات التجانس والانســـجام فى الكون ، ولا حتى القاء النفس بين أحضان العدم ان الانسان يظل وحيدا مع ألمه · ولكن هناك نغمة طيبة تتسلل الى هذه الوحدة الشقية المعتمة وتتجاوز ضحكات البشـــر والآلهة لتشد « الأنا » الى « الأنت » وتجمع بين الانسان وأخيه فى العذاب بصوت هادىء هامس : « تصبحون على خير يا أصدقاء » أو فى صوت يحاول أن يكون مرحا : « افرح يا كاميل ، فستكون ليلتنا جميلة ! » وليس هذا هو الموضـــع الوحيد الذى تصلنا فيه هذه النبضات البسيطة · فنحن نسمعها قبل هذا المشهد بقليل على لسان لوسيل المجنونة وهى تغنى أمام نافذة حبيبها : تعال ! ·· تعال ياصديقى ! اطلع على السلالم بهدوء ، فهم جميعا نائمون ·· » وفى كلمات كاميل المشغول بمصير لوسيل بعده :

« كان الجنون يطل من عينيها ·· » ، « لتساعدها السماء على العثور على فكرة ثابتة مريحة » ·

ونظل نستمع الى هذا الصوت الحميم العارى من كل قناع ، الذى لا تحجبه عنا الضحكات المجنونة ، ولا الصرخات المتألمة ،

ولا الضجيج المنبعث من دوران الأرجوحة الأبدية ٠٠ ان جولى تموت وهى تفكر فى دانتون : « لا اريد أن اتركه ينتظرنى لحظة واحدة » ٠ ولوسيل تهتف أمام نافذة السجن : « تعال ! تعال ياعصفورى العزيز » ٠ وعلى المقصلة يتكرر الصوت النقى الذى استطاع أن يتخلص من كل قناع ٠ فكاميل يختم دعاباته مع سائق العربة التى تقودهم الى ساحة الاعدام بقوله لدانتون : « الوداع يادانتون ! » وحين يقول لاكروا فى صوت لازال يحتفظ بأثر من آثار البطولة : « ستكسر رقاب الطغاة فوق قبورنا » ، يداعبه هيرو وينزع عنه هذا القناع الأخير بقوله : « انه يحسب جثته مزبلة الثورة ! » ولا تفلح كلمة فيليبو : « اننى أسامحكم وأرجو الا تكون ساعتكم أمر من ساعتى » فى احداث الأثر الانسانى الذى كانت ترجوه ٠ ولا يجد فابر ما يقوله خيرا من هذه الكلمة : « وداعا يادانتون ! اننى أموت مرتين » ٠

ويقول هيرو : « آه يادانتون ! لقد أصبحت عاجزا عن اخراج نكتة واحدة » ٠ ويحاول أن يعانق دانتون فيدفعه الجلاد بعنف فيقول له دانتون آخر كلمة نسمعها على المقصلة : « أتريد أن تكون أقسى من الموت ؟ أيمكنك أن تمنع رؤوسنا من تقبيل بعضها فى قاع السلة ؟! »

كلمات لا تذكر شيئا عن التاريخ ، ولا البطولة ، ولا الطغاة ، ولا الفضيلة ، ولا العدم ٠ انها لا تحاول أن تسخر أو تتألم أو تضحك أو تبكى ، بل تعبر للمرة الأخيرة عن هذه النغمة الهادئة التى تتسلل الى القلب ، وتربط بين الانسان وأخيه الانسان برباط العذاب ، وهو أول وآخر ما يتعلمه الانسان من مواجهة الحقيقة والمصير ٠ انها النغمة التى تأتى على لسان هيرو وهو يمد يده ليلمس ذراع صاحبه : افرح ياكاميل ٠ ستكون ليلتنا جميلة ٠٠٠

هذه المشاهد الأخيرة من مسرحية « موت دانتون » ليست فى صميمها اذن سوى حوار ذاتى أو مناجاة (مونولوج) متصل يتحدث به بشنر الى نفسه ، وان كان يوزع عباراته على الشخصيات المختلفة صحيح اننا نجد خطبا عديدة ألقيت بنصها فى زمن الثورة الفرنسية، كما نجد مستويات مختلفة من الكلام على السنة الشحاذين والمغنين والبغايا والجنود والزوجات والمتسكعين فى الشـــوارع والحارات « وأبطال » الثورة أنفسهم ، تمر الى جانب بعضها البعض فلاتكاد تتلاقى أو تلتحم الا فى لحظات قليلة يبلغ الحدث الانسانى فيها ذروته .. ولكن المهم أن القاعدة الأســـاسية والخلفية الدائمة لكل هذه المستويات التعبيرية المختلفة هى احساس بشنر بشقاء الانســـان وعذاب الخليقة .

انه فى نظره كالدمية المسكينة التى تحرك خيوطها يد مجهولة، ويتحكم فى مصيرها قدر مجهول ، يجبرها على أن تظهر فترة على المسرح فتضحك أو تبكى أو تدعى البطولة أو تبحث عن دور تقوم بتمثيله . ولكن مهمته أن يعريها من ثيابها المزركشة ، وينزع عنها جميع الأقنعة . ويبرزها فى وحدتها وعريها وصفائها .

ان دانتون يعبر عن ذلك حين يقول « ما نحن الا دمى » تشد خيوطها قوى مجهولة . عدم نحن . ما نحن الا عدم . ســـيوف تتصارع بها الأشباح ــ غير أن الانسان لايرى الأيدى التى تحركها ، كما يحدث فى الخرافات تماما » .

والسطور التى يقولها بشنر على لســـان دانتون أيضا عن الموسيقيين المساكين وعن صـــرخة الموت الالهية التى تعزف على اجسامهم لكى تصعد الى آذان السماء وتخمد شيئا فشيئا لتموت هناك ، ليست كذلك الا تعبيرا عن هذا الاحساس بالعذاب المقدور . وبشنر يردد هذه الفكرة نفسها فى احدى رسائله الى خطيبته (وقد

كتبها من مدينة جيسن فى شـــهر مارس سنة ١٨٣٤) آه ، نحن الموسيقيون المساكين الذين نرفع أصواتنا بالصراخ ! ألا نئن وننشج على آلات تعذيبنا الا لكى ينفذ النشيج من شقوق السحب ويظل يتردد كالنغمة الهامسة حتى يموت فى آذان الســماء ؟ ٠٠ اننى لا أجدف • ولكن الناس هم الذين يجدفون • ومع ذلك أرانى وقد لقيت جزائى • فأنا أخاف من صوتى ،وأخاف من مرآتى » أنه يريد أن يكشف عن جوهر هذا الانسان ، ويصل الى حقيقته المطموسة وراء الأقنعة والأشكال والتقاليد •

وكما حطم الشكل المسرحى التقليدى فى كتاباته ، ولجأ الى ما يسمى الآن بالشكل الدرامى المفتوح والمشاهد الملحمية المستقلة كأنها الوحدات الفردة (الموناذات) التى تحدث عنها ليبنتز ، وملأ لغته بالنغم والايقاع والصور الشعرية الحية والجمل المتقطعة اللاهثة والايماءات الصامتة والحركات والاشارات والأغانى الشعبية متأثرا فى ذلك بعض التأثر بشكسبير وجوته ولنس وشيلر ، فقد أراد كذلك أن يحرر الانسان بقسوة من كل القوالب والأشكال المفروضة عليه ، ليصل الى الانسان الخالص فى عريه وبؤسه وبراءته • هناك يستطيع أن يحب ذلك الانسان لأنه يتعذب ، ويقترب منه لأنه أخوه وشريكه فى المصير المحتوم ، ويلعن معه كل النظريات المجـــردة والقوالب الجامدة والتقاليد البالية التى وضعوه فيها كما وضع أوزيريس فى التابوت ، فحرموه من السعادة باللحظة الحاضرة ، وأطفأوا الشرارة المضيئة التى أودعها الخالق فيه • وهناك أيضا سيلعن الارستقراطية التى هى « أبشع احتقار مخز للروح المقدس فى الانسان » ويسخر من ذلك الركام الميت الذى يسمى بالعلم ، والغرور الكاذب الذى يدعى بالبطولة والغنى الفاحش الذى يذل الناس ويجيـــع الأطفال • ان ما يحزنه أو يضحكه فى آن واحد كما يقول فى احدى رسائله الى

أسرته (بتاريخ فبراير ١٨٣٤) ، ليس هو حالة الانسان بل مجرد انه انسان ، وهو أمر لا حيلة له فيه ،وهذا هو الذى يجعله يضحك أو يبكى لأنه انسان مثله يشاركه نفس المصير • فهو يشعر انه ينسحق تحت اقدام القدرية التاريخية المقيتة ، كما يقول فى خطاب آخر الى خطيبته • ليس الفرد عنده الا زبدا يطفو على الموج ، وليست العظمة غير عرض زائل ، ولا العبقرية سوى لعب بالدمى ، وصراع مضحك مع قانون حديدى اقصى ما يطمح اليه الانسان أن يعرفه وان كان من المستحيل عليه أن يتحكم فيه •

* * *

أهى العدمية اذن ؟

ان الكلمة تتردد كثيرا فى كتابات بشنر ، ولكن من الخطأ أن نصفه بها أو نجعلها عنوانا على اتجاهه فى الفن والحياة ، بل أن من الخطأ والظلم أيضا أن نقيده باحدى هذه المدارس الكثيرة التى نلغو بذكرها ليل نهار • ذلك أن بشنر ، كما أشرت من قبل ، هو الأب الحقيقى للمسرح الحديث بتياراته وأساليبه المختلفة • وهو كذلك بكفاحه الثورى فى سبيل المظلومين والجائعين والمقهورين والمستغلين ، أحد رواد الاشتراكية فى بلاده •• ولكننا لن نستطيع الاقتراب من قلبه حتى نتخلص من كل النعوت والأسماء التى تصف مسرحه بأنه واقعى أو طبيعى أو اشتراكى أو عدمى أو ملحمى أو غنائى أو شاعرى •• الخ •• حقا ان مسرحه يجمع بين هذه الاتجاهات ، ولكنه أكبر وأعمق وأشد تعقيدا من هذا كله • واذا أردنا أن نعرف حقيقته فلابد من السير على طريق المفارقة والتضاد

ولابد من البحث عنها فى عذاب الخليقة الغانية وومضة الحياة فى كل كائن حى مهما صغر شأنه ··

* * *

لا أحب أن أختم هذه المقدمة قبل أن أشير ببضع كلمات الى ماسوف يلاحظه القارىء فى لغة هذه المسرحية وشخصياتها · فهناك تعبيرات وتشبيهات لابد أنها ستصدمه أو تفزعه · وفى بعض ألفاظها غلظة وقسوة وتلميح أو تصريح قد يستهجنه ويرفضه · وأنا لا أحاول تبريرها أو الاعتذار عنها ، فالفن كما يعلم القارىء لاشأن له بالأخلاق – اللهم الا فى غايته الأخيرة وتأثيره النهائى غير المباشر · والفنان لا يكتب ليؤيد الفضيلة أو يحارب الرذيلة · ولكننى سأكتفى هنا بتكرار ما أشرت اليه مرارا فى الهوامش والتعليقات على النص ، من أن بشنر لا يقصد الألفاظ النابية أو التعبيرات الغليظة لذاتها ، بل بقدر ما تصور الشخصيات وتعيد خلق العصر ، وترسم لوحة تعبر فى صدق عن تلك السنين المضطربة التى عاشتها فرنسا فى ثورتها الانسانية الكبرى · وقد لقيت المسرحية عند ظهورها فى سنة ١٨٣٥ فى مدينة فرانكفورت (لدى الناشر زوارلندر) معارضة شديدة ، وارتفعت أصوات تستنكر ماتصورته فيها من خروج أو الحاد · أجاب بشنر على هذه الاحتجاجات فى خطاب أرسله الى أبويه فى شهر يولية من تلك السنة وقال فيه ان الكاتب المسرحى فى نظره ليس الا مؤرخاً وان كان يتفوق على هذا فى أنه يعيد خلق التاريخ ، ويضعنا مباشرة فى حياة العصر ، ويقدم لنا بدل الأوصاف شخصيات حية ·· ان من أهم واجبات الكاتب المسرحى أن يقترب من واقع التاريخ ما أمكنه ذلك ، بحث لاتكون كتابته عنه أقل أو أكثر

أخلاقية مما هو عليه فى الحقيقة · ولم يخلق الله التاريخ لكى تتسلى الفتيات بقراءته · فاذا لام أحد الكاتب لاختياره هذه المادة أو تلك فلابد عندئذ أن نلقى بأعظم نفائس الأدب فى البحر ·

ويواصل بشنر دفاعه عن مسرحيته ونظريته فى الفن والكتابة فى خطاب متأخر فيقول انه يرسم شخصياته بالطريقة التى يعتقد أنها تناسب الطبيعة والتاريخ ويسخر بمن يحاولون أن يحملوه مسئولية اتفاقها مع قواعد الأخلاق أو خروجها عليها · وربما سارع القارىء باتهام المؤلف بالانكار ، وربما سخط على المشهد الأول من الفصل الثالث بوجه خاص · غير أنه يعلم بغير شك أن الآراء التى ترد على ألسنة الشخصيات المسرحية لا يتحتم أن تكون هى آراء المؤلف ــ ولا المترجم بالطبع ! ــ كما أن اغفال هذا المشهد أو اســـقاط بعض العبارات من نص عالمى معترف به فى كل اللغات والآداب شىء لا يصح أن نقدم عليه · فاذا وجدنا أنه يخالف تقاليدنا أو عقيدتنا ، أمكننا دائما أن نعلق عليه أو نبحث عن مبرراته ، دون مساس بالنص الأصلى الذى ينبغى أن تكون له حرمته · ولست أدافع عن المؤلف اذا قلت اننى لم أجد فى كل ما قرأت له أو عنه مايشكك فى عقيدته · بل لقد وجدت على العكس من ذلك أنه مؤمن صادق الايمان وانه اذا كان يثور على الألم ويكفر بالعذاب الذى يقاسيه الانسان فى هذه الحياة وتقاسيه الخليقة معه ، فلأنه يجد أن هذا الألم والعذاب هو الطريق الوحيد للوصول الى الله · ولقد عبر كثيرا عن هذا المعنى فى خطاباته الى أبويه ، كما قال قبل موته المفاجىء بيومين : « ليس لدينا الكثير من الآلام ، بل أن ما لدينا منها جد قليل ، لأننا لا نتصل بالله الا عن طريق الألم » · كما قال أيضا فيما تشـــهد به كارولينه شولس وهى السيدة الطيبة التى سجلت أخبار مرضه الأخير يوما بيوم : « نحن نموت ، وتراب ، ورماد فكيف يجوز لنا أن نشكو ؟ » وليست القضية فى نهاية الأمر قضية مؤلف أو مسرحية ــ مضى

على صدورها أكثر من مائة وثلاثين عاما ! ـ بل هى قضية تتصل بنظرتنا للفن ، ووزنه بميزان الصدق والعمق ، لا بميزان اللوائح والقوانين ٠

* * *

ملحوظة :

رجعت فى هذه الترجمة الى النص الذى حققه ونشره فرتز برجمان فى دار « انزل » سنة ١٩٥٨ كما استفدت فى كتابة المقدمة بالبحث الذى نشره الشاعرالعالمفالترهولرر (Walter Höllerer) عن موت دانتون فى المجلد الثانى من كتاب « الدراما الألمانية » الذى أشرف عليه ونشره العلامة بنوفون فيزه ٠٠ (Benns Von Wiese) وبكتاب الأخير عن التراجيديا الألمانية من ليسنج الى هيبل) ٠

أما عن الترجمة فلابد من الاعـــتراف بأن بعض المقطوعات الشعرية فرضت نفسها على فوجدتنى أترجمها بالعامية ، تجاوبا مع الروح الشعبية التى تسرى فى كل أعمال بشنر ، وبخاصـــة فى مسرحية « فويسك » ٠ وقد أوردت النص الحرفى لهذه المقطوعات فى الهامش باللغة الفصحى ، مراعاة لحق اخوتنا من القراء فى البلاد العربية الشـــقيقة ، الذين قد يتعذر عليهم فهم بعض كلمات اللهجة المصرية ٠

هذا ويجب الا ننسى أن بشنر قد ترك مسرحيته فويسك بغير أن يتمها ٠ والنقاد والدارسون يختلفون حتى اليوم فى المشهد الذى

يناسب الخاتمة ، كما يختلفون حول ترتيب المشاهد نفسها سواء فى هذه المسرحية او غيرها وقد اعتمدت فى هذه الترجمة على طبعة برجمان السابقة الذكر ولم اجد حاجة لمراجعة الطبعة الجديدة التى قام بها الأستاذ « ليمان » ونشرتها جمعية الكتاب العلمية ، وهى الطبعة التى صدرت بُعد فراغى من الترجمة بسنوات ، وتضمنت من النصوص والشذرات ما يهم الدارس المتخصص للأدب الألمانى – وأخيرا أود أن أنوه بفضل احد كبار الدارسين لفن بشنر ، وهو أستاذى الدكتور جرهارت باومان الذى أصـــدر كتابا هاما عن مســـرحه ٠

عبد الغفار مكاوى

مــوت دانتــون

الأشـــخاص

نواب الجمعية الوطنية :

جورج دانتون
ليجيندرر
كاميل دى مولان
هيرو ـ سيشيل
لاكروا
فيليبو
فابر دجلانتين
مرسيير
توماس بين

اعضاء لجنة الاصلاح :

روبسبيير
سان جوست
بارير
كوللو ديربوا
بللو فارن

مفوض المجلس البلدى
شوميت

جنرال
ديللون

مدع عام	فوكييه ـ تينفيل
عضوا لجنة الأمن	أمار فولان
رئيسا محكمة الثورة	هيرمان دوما
صديق دانتون	بارى
ملقن	سيمون
	زوجة سيمون
	لافلوت
زوجة دانتون	جولى
زوجة كاميل دى مولان	لوسيل
غانيات ٠	روزالى أديلاد ماريون

سيدات على مائدة اللعب ـ رجال وسيدات وشاب مع أوجينيا يسيرون فى نزهة ـ مواطنون ـ جنود وطنيون ـ وفد من مدينة ليون ونواب آخرون ـ يعقوبيون ـ رؤساء نادى اليعاقبة والمجلس الوطنى ـ سجانون ـ جلادون ـ سائقون ـ رجال ونساء من الشعب ـ غانيات ـ مغنون متجولون ـ شحاذون ٠٠٠٠ الخ ٠ ٠

الفصـــل الأول

(هيرو ـ سيشيل وبعض السـيدات على مائدة اللعب ـ)

(دانتون وجولى على مسافة قليلة منهم • دانتون جالس عند قدمى جولى على كرسى منخفض بغير مسند) •

دانتـــــــــون : انظرى السـيدة الجميلة وكيف تدير الأوراق بمهارة ! حقا ، انها تفهم اصول اللعب • يقال انها تبرز « القلب » دائما لزوجها و « الكارو » لغيره من الرجال(١) ان فى اســتطاعتكن ان تحببن الانسان حتى فى الكذب •

---

(١) اشارة الى انها تخدع زوجها بالحب فى حين تخونه مع غيره من الرجال •

جـــــولى : هل تؤمن بى ؟

دانتـــــون : وما يدرينى ؟ اننا نعرف القليل عن بعضـنا البعض • نحن أصحاب جلود سميكة ، نمد ايدينا الى بعضنا ، ولكن بغير طائل ، فنكتفى بحك جلودنا الغليظة ببعضـها البعض نحن وحيدون جدا •

جـــــولى : انت تعرفنى يا دانتون •

دانتـــــون : نعم ! مايسـميه الناس معـرفة • عينـاك سوداوان ، وشعرك متموج الخصلات ، وجهك نضير ، وتقولين لى دائما : حبيبى جورج ! ولكن (يشير الى الجبهة والعينين) هنا ، هنا، ماذا يخفى وراءهما ! اذهبى ! ان حواسنا غليظة • نعرف بعضنا ؟ لابد لذلك من أن نفتح جماجمنا ونشد افكارنا من تلافيف المخ •

السـيدة الأولى : (لهيرو) ماذا تريد باصبعك ؟

هـــــيرو : لا شىء !

الســـــيدة : لا تعلق ابهامك بهذه الطريقة ، فلست أطيق أن أراه(٢) •

هـــــيرو : القى عليه نظرة ، ان تعبيرات وجهه عجيبة •

دانتـــــون : لا ياجولى ، اننى أحبك كالقبر •

جـــــولى : (تشير بوجهها بعيدا) آه !

---

(٢) لعلها اشارة جنسية مستترة •

دانتـــــــون : لا ! اسمعينى ! يقول الناس ان القبر راحة ، والقبر والراحة شيء واحد • لو صح هذا فأنا أرقد فى حجرك كما أرقد تحت التراب •• أنت أيها القبر الحلو •• شفتاك ناقوس الموتى، صدرك رمسى ، وقلبك تابوتى ••

الســــــيدة : ضـــاع !

هـــــــيرو : كانت مغامرة غرام ، تكلف مالا كغيرها •

الســــــيدة : اذن فقد عبرت عن حبك بالأصابع ، كالصـــم البكم •

هــــــيرو : ولم لا ؟ ان الناس تؤكد أن هذه هى أســـهل أساليب الحب على الفهم •• لقد حاولت أن أغازل ملكة «كوتشينة»، أصابعى كانت كالأمراء الذين تحولوا الى عناكب ، وأنت ياسيدتى كنت الجنية ، ولكن الأمور لم تسر على مايرام ، فالسيدة كانت ترقد دائما على فراش الوضع ، وفى كل لحظة تضع ولدا • لن أترك بناتى يلعبن مثل هذه اللعبة ، فالسادة والسيدات يهوون بعضهم بغير احتشام ، والأولاد يتبعون على الفور •

(كاميل دى مولان وفيليبو يدخلان)

هــــــيرو : فيليبو ، ماهذه النظرات الكئيبة ! هل خرمت قبعتك الحمراء ؟ هل كشر يعقوب المقدس(٣)

---

(٣) نادى اليعقوبيين أو اليعاقبة •

عن وجهه ؟ هل امطرت السـماء فى ساحة المقصلة ؟ أم لم تجد مكانا مناسبا ولم تستطع ان أن ترى شيئا ؟

كاميـــــــل : انت تتهكم على طريقة سـقراط · هل تعرف أيضـا مـاذا قـال الفيلســوف الالهى لألكيبياديس(٤) عندما رآه ذات يوم حزينـا مقهورا ؟ لقد سـأله : « هل فقدت درعك فى ميدان الحرب ؟ هل هزمت فى السـباق أو المبارزة ؟ هل غنى أحد أو عزف على القيثار خـيرا منـك ؟ » يالهؤلاء الجمهـوريين الكلاسـيكيين ! قارن بينهم وبين رومانتيكية المقصلة عندنا !

فيليبـــــــو : سقط اليوم أيضا عشرون ضـحية · كنا على خطأ · لقد أرسلوا « الهيبرتيين » الى المقصلة لأنهم لم يكونوا منظمين بما فيه الكفاية ، أو ربما لأن « الديسـمفيرى »(٥) اعتقدوا انهم سـيضيعون حتما اذا بقى هناك رجال غيرهم لمدة أسـبوع واحد يخافهم الناس اكثر مما يخافونهم ·

---

(٤) الكيبياديس (حوالى ٤٦٠ ــ ٤٠٣ ق·م) سياسى وقائد اثينـى ومغامر سياسى ، وكان من أحب تلاميذ سقراط الى نفسه ·

(٥) الديسمفيرى : أى الرجال العشرة ، وكانـوا فى نظـام الدولة الرومانية هيئة من الموظفين تتألف من عشرة رجال · والمقصود هنا هـم أعضاء اللجنة الخيرية أو لجنة الاصلاح التى كان أعضاؤها يتراوحون بين تسعة واثنى عشر رجلا ·

هـبيرو : انهم يريدون أن يعودوا بنا الى عصر الجليد ! سيعجب سان جوست أن يرانا نزحف على أربع لكى يستطيع محامى « أراس » أن يخترع لنا قبعات واطئة ومقاعد تلاميذ والها رحيما على طريقة صانع الساعات من جنيف(٦) ٠

فيليبو : لن يتورعوا عن اضافة بضعة أصفار الى حساب مارا ٠٠ الى متى يتحتم علينا أن نظل قذرين ملوثين بالدماء كالمواليد الجدد ؟! الى متى ننام فى التوابيت بدل المهود ونلعب بالرؤوس ؟ لابد أن نخطوا الى الأمام : لجنة الرأفة يجب أن تتشكل ، والأعضاء المطرودون يجب أن يعودوا من جديد ٠

هـيرو : لقد بلغت الثورة مرحلة اعادة التنظيم ٠٠ لابد أن تتوقف الثورة وتبدأ الجمهورية ٠ يجب أن يتقرر فى المبادىء التى تقوم عليها الدولة أن يحل الحق محل الواجب وتقوم السلامة مقام الفضيلة ويحل الدفاع عن النفس محل العقاب ٠٠ يجب أن يتمكن كل فرد من اثبات صلاحيته وتحقيق طبيعته ٠ ليكن عاقلا أو غير عاقل ، مثقفا أو غير مثقف ، طيبا أو شريرا فذلك شىء لا يعنى الدولة كلنا حمقى وليس من حق أحد أن يفرض حماقته على غيره ـ يجب أن يكون

---

(٦) اشارة الى روسو الذى كان أبوه صانع ساعات ٠٠ أما محامى « أراس » فهو روبسبيير ٠

من حق كل انســـان أن يتمتع على طريقته ، بشرط الا تكون متعته على حســـاب غيره أو يزعج سواه فى المتعة التى يفضـــلها على غيرها ·

كاميـــــــــل : يجب أن يكون شكل الدولة كالثوب الشـفاف الذى يلتصق بجسد الشعب · كل انتفاخ فى العروق ، كل توتر فى العضلات ، كل اهتزاز فى الأعصـــاب يجب أن ينطبع عليه · ليكن الشـــكل جميلا أو قبيحا ، فمن حقه أن يكون على ماهو عليه ، وليس من حقنا أن نفصل له ثوبا على هوانا · ـ أولئك الذين يريدون أن يلقوا نقاب الراهبات على كتفى فرنســـا المذنبة الحبيبة سنعرف كيف نضـــربهم على أيديهم · ـ نريد آلهه عـــارية ، عابدات باخوس(٧) ، ألعابا أوليمبية ، ومن الشـــفاه المنسجمة نريد الحب الذى يريح الاعضاء ، الحب الشـــرير ! ـ لا نريد أن نمنع الرومان من أن يجلسوا فى ركن ويطبخوا البنجر كما يشاءون ، ولكننا لن نسمح لهم بعد اليوم بأن يقدموا لنا مصـــارعات الجلادين · يجب أن يقف أبيقور الالهى وفينوس(٨) · ذات المؤخرة

---

(٧) هن النساء اللاتى كن يشاركن فى الاحتفالات بأعياد باخوس اله الخمر ، وقد منعت هذه الاحتفالات عند الرومان فى سنة ١٨٦ ق·م لافراطها فى الخلاعة والعربدة ·

(٨) فينوس هى ربةالحب والجمال عند الرومان ، وتقابل أفروديت عند الاغريق أما أبيقور الآلهى فالمقصود به دانتون نفسه ، اشارة الى افراطه فى اللذات ·

الجميلة حارسين على باب الجمهورية بدلا من مارا المقدس وشاليه ـ دانتون ! ستقوم بالهجوم فى الجمعية !

دانتـــــون : ساقوم ، ستقوم ، سيقوم . ان عشنا ، كما تقول العجائز . بعد ساعة ستكون ستون دقيقة قد انقضت . أليس كذلك ياولدى ؟ .

كاميــــل : مامعنى هذا ؟ هذا شىء مفهوم من تلقاء نفسه

دانتـــــون : آه ! كل شىء يفهم من تلقاء نفسه . من عليه اذن أن ينفذ كل الأشياء الجميلة ؟ .

فيليبـــو : نحن والشرفاء .

دانتـــــون : هذه الواو بينهما حرف طويل ، فهى تبعد بيننا بعض الشىء . ان المسافة طويلة ، والشرف يفقد أنفاسه قبل أن نجتمع سويا . وحتى لو حدث هذا ! يستطيع الانسان أن يقرض الشرفاء ويشهد حفلات التعميد لديهم ، ويزوج بناته لهم ، ولكن هذا هو كل شىء !

كاميــــل : مادمت تعرف هذا .. فلماذا بدأت الكفاح ؟ .

دانتـــــون : أحسست بالاشمئزاز من أولئك الناس . لم أستطع أبدا أن أنظر الى أمثال « كاتو »(٩) المزيفين بغير أن أفكر فى ركلهم . هذه هى طبيعتى . (ينهض واقفا) ..

---

(٩) أو هؤلاء الكاتونيون ، ويحتمل ان تكون اشارة الى كاتو (مارسيوس بورتيوس) (٢٣٤ ـ ١٤٩ ق.م) أحد الحكام الرومانيين الرجعيين ..

جـــــــــولى : اتذهب ؟ ٠

دانتـــــــــــون : (لجولى) لابد أن أن انصرف ٠ انهم يثيرون أعصابى بسياستهم ٠ (وهو يتهيأ للخروج من البـــاب) أريد أن أتنبأ لـــكم بين البـــاب والمقصلة(١٠) بأن تمثال الحرية لم يصب بعد ٠ لازال الفرن يتوهج ، وقد تحترق أصـــابعنا جميعا فيه ٠

(يخرج)

كاميـــــــــــل : دعوه ! هل تظنون أنه يمكن أن يرفع يديه أذا آن أوان العمل ؟ ٠٠

هـــــــــــيرو : نعم ، ولكن لمجرد التسلية ، كلعب الشطرنج ٠

* * *

هـــــــــارة

ســـيمون ٠٠ زوجتـــــه

ســـــــــيمون : (يضرب زوجته) ياقوادة ، ياحبة التصعيد المكرمشة(١١) ، ياتفاحة الخطيئة التى تفترسها الديدان ٠

---

(١٠) أى باختصار أو على الحدود الفاصلة بين عهدين ٠

(١١) التصعيد هو العملية الكيماوية المعروفة ، ولعله يذكر هننا اشارة الى كلوريد الزئبق الذى يستعمل فى علاج مرض الزهرى ٠٠

الزوجـــــــة : النجدة ! النجـدة ! (يهــرع بعض الناس
فرقوهما ! فرقوهما !)

ســـــــــيمون : لا ، اتركونى أيها الرومان ! أريد أن أحطم هذه
المومياء ! أنت يافستالية(١٢) ٠

الزوجـــــــة : أنا ؟٠٠ هذا ما أريد أن أراه ٠٠

ســـــــــيمون : اذن فسوف أنزع رداءك عن كتفيك ، وأدحرج
جثتك فى الشمس ٠ يافراش العار ! فى كل
ثنية من جسدك تعشش الفحشاء ٠

(يفرق الناس بينهما) ٠

المـــواطن الاول : ماذا حدث ؟

ســـــــــيمون : أين العذراء ؟ ٠ تكلمى ! لا ٠ لايمكن أن أقول
عنها هذا ٠ الآنسة ! لا ٠ ولا هذا ٠ المرأة ،
السيدة ! ولا هذا ! ولاهذا ! لم يبق الا اسم
واحـــد ٠ انه يخنقنى ! لا أجد النفس الذى
يساعدنى على النطق به ٠

المـــــــواطن ٢ : هذا حسن ، والا فاح الاسم برائحة الخمر ٠

ســـــــــيمون : يافرجنييوس(١٣) العجوز ، غط رأسك الأصلع
ـ ان غراب العار يقف عليها وينقر عينيك ٠

---

(١٢) كاهنات الفستا (اله النار الرومانية) فى روما القديمة اللاتى كن يتعهدن النار الخالدة فى معبد فينوس ٠

(١٣) أحد الرعاع الرومانيين ، قتل ابنته فرجينيا لينقذها من أبيوس كلاوديوس (أحد رجال السلطة العشرة) الذى كان يريد الاعتداء عليها ٠

أعطونى سكينا ، أيها الرومان ! (يسقط على الأرض)

الزوجـــــــة : آه ! انه فى العادة شهم ، الا انه لايستطيع التحمل ، فالخمر توقعه من طوله ٠

المـــــواطن ٢ : ولذلك يسير على ثلاثة ٠

الزوجـــــــة : بل يسقط ٠

المـــــواطن ٢ : تماما ٠ يسير أولا على ثلاثة ،ثم يقع على الثالثة حتى تسقط هى أيضا ٠

ســـــــيمون : أنت الغول الذى يمتص دم قلبى الدافىء ٠

الزوجـــــــة : اتركوه ، فهو دائما يغلبه التأثر فى مثل هذا الوقت ٠ سيعود الى طبيعته ٠

المـــــواطن ١ : ماذا حدث اذن ؟

الزوجـــــــة : انظروا / كنت أجلس هناك على الحجر اتدفأ فى الشمس ـ انظروا ـ لأننا لا نملك خشـبا ـ انظروا ـ

المـــــواطن ٢ : تدفئى اذا بأنف زوجك ٠

الزوجـــــــة : وكانت ابنتى قد ذهبت الى الناصية هناك ٠ انها بنت طيبة وتجرى على أبويها ٠

ســـــــيمون : ها ! انها تعترف !

الزوجـــــــة : يايهوذا ! وهل كنت تجد سروالين تلبسهما اذا لم يخلع الشبان سراويلهم مع ابنتك ؟ يابرميل خمرة ! هل تحب أن تموت من العطش اذا جفت

البئر ؟ هه ؟ اننا نعمل بكل أعضائنا ، فلماذا لا نعمل بهذا العضو أيضا ؟ أمها ظلت تشقى حتى جاءت الى العالم ، وذاقت المر . الا يمكنها أن تشقى قليلا لأجل أمها ؟ هه ؟ ولو ذاقت المر أيضا ؟ . ياغبى ! هه ؟

سيمون : لوكريتسيا(١٤) ! سكين ! أعطونى سكينا أيها الرومان ! ها ! أبيوس كلاوديوس .

المواطن ١ : نعم ! أعطوه سكينا ، لا للعاهرة المسكينة . ماذا جنت ؟ لاشىء . ان جوعها هو الذى يفجر ويتسول . ويل لأولئك الذين يشترون لحم نسائنا وبناتنا ! ويل لهؤلاء الذين يفجرون مع بنات الشعب ! أحشاؤكم تتلوى من الجوع وأمعاؤهم تتلوى من التخمة ، ثيابكم مملوءة بالخروق وثيابهم دافئة ، أيديكم متشققة من التعب وأيديهم ناعمة كالحرير . اذن(١٥) ، فانتم تعملون وهم لايعملون شيئا ، اذن فقد كسبتم اللقمة بالعرق وهم الذين سرقوها منكم ، اذن فان أردتم أن تستمدوا بضعة ملاليم من أملاككم المسروقة فلابد أن تلجأوا الى الدعارة والشحاذة ، اذن فهم لصوص ولابد من قتلهم !

---

(١٤) يخلط سيمون هنا بين لوكرتسيا وفريجنيا التى سبقت الاشارة اليها ــ وقد ظلت لوكرتسيا نموذجا عاليا لسيدة البيت الرومانية ، التى فضلت ان تقتل نفسها على ان يسىء تاركونييوس سوبربوس الى شرفها .

(١٥) يستخدم المواطن الأول هنا كلمة أرجو (ergo) اللاتينية ومعناها اذن أو بالتالى .

المـــــــواطن ٣ : ان عروقهم لا يجرى فيها الا الدم الذى امتصوه منا · قالوا لنا : اقتلوا الارستقراطيين ، فهم ذئاب ! وعلقنا الارستقراطيين على المشانق · قالوا : « الفيتو »(١٦) ، يفترس خبزكم ، وقتلنا الفيتو · قالوا الجيرونديون يجيعونكم فارسلنا الجيرونديين الى المقصـــلة · ولكنهم جردوا الموتى من ثيابهم وهانحن نسير الآن على سيقان عارية ونتجمد من البرد كما كنا نفعل من قبل · نريد أن ننتزع جلدهم من أفخاذهم ونفصـــل منه سراويل ، نريد أن نعتصر شحمهم ونطبخ به شربتنا · هيا ! اقتلوا من لا تجدون ثقبا فى ردائه !

المـــــــواطن ١ : اقتلوا كل من يقرأ ويكتب !

المـــــــواطن ٢ : اقتلوا كل من يغادر بيته ·

الجميـــــــــع : (يصرخون) اقتلوا ! اقتلوا !

(بعض العامة يسحبون شابا وراءهم)

أصـــــــوات : معه منديل !ارستقراطى ! الى المشـــنقة الى المشنقة !

المـــــــواطن ٢ : ماذا ؟ ألا يمخط فى يديه ؟ الى المشنقة !

(تعلق احـــدى المشـــانق)

---

(١٦) الفيتو (Veto) هو صيغة الاعتراض ، والمقصود به هنا هو الحق الذى يتمتع به لويس السادس عشر فى الاعتراض على قرارات الجمعية التشريعية ، وقد قضى على هذا الحق باعدامه ·

الشـــــاب : آه ياسادتى !

المــــواطن ٢ : ليس فينا سادة ٠٠ الى المشنقة ! ٠

البعض (يغنون) :

أجدى من الرقاد فى التراب
فريسة للدود والفساد
أن تسلموه ليد الجلاد
فيرفع الجثة فى العراء
لكى تشم نسمة الهواء !

الشـــــاب : الرحمة !

المــــواطن ٣ : لعبة بسيطة بالحبل حول الرقبة ! لحظة واحدة لاغير ! نحن أرحم منكم ٠ حياتنا قتل بطىء بالعمل ، نعلق ستين سنة فى حبل ونتلوى ، ولكننا سنعرف كيف نخلص انفســنا ـ الى المشنقة !

الشـــــاب : كمــا تحبــون ،لن يجعلكم هذا ترون رؤية أوضح(١٧) ٠

الواقفـــــون : برافو ! برافو !

---

(١٧) التعبير هنا متصــل بالتعبير الاصلـــى عن الشنق وهو « الى الفوانيس » !) ٠

اصـــــوات : اتركوه يذهب !

(الشاب يهرب بجلده)

(يظهر روبسبيير ، فى صحبة نساء وبعض المتسكعين الصعاليك)

روبســـــبيير : ما هذا ، أيها المواطنون ؟

المـــــواطن ٣ ومإذا عسى أن يكون ؟ ان قطرات الدم القليلة التي سالت من أغسطس الى سبتمبر لم تجعل خدود الشعب حمراء • المقصلة فى غاية البطء نحن فى حاجة الى سيل !

المـــــواطن ١ : زوجاتنا وأطفالنا يصرخون طلبا للخبز • نريد أن نطعمهم من لحم الارســـتقراطيين • ها ! اقتلوا كل من يلبس رداء لا ثقب فيه !

الجميـــــــع : اقتلوه ! اقتلوه !

روبســـــبيير : باسم القانون !

المـــــواطن ١ : ماهو القانون ؟

روبســـــبيير : ارادة الشعب •

المـــــواطن ١ : نحن الشعب ، ونريد ألا يكونهناك قانون ، اذن فهذه الارادة هى القانون ، اذن فباسم القانون لم يعد هناك قانون ، اذن فاقتلوا !

اصـــــوات : استمعوا الى أرستيدس(١٨) ! استمعوا الى النزيه !

---

(١٨) أرستيدس ، سياسى أثينى (حوالى ٥٤٠ ـ ٤٦٧ ق٠م) كسب احترام الشعب •

امبــــــبــــــراة : استمعوا المخلص(١٩) الذى أرســــل ليحكم
ويقتص ! سيقضى على الأشرار بحد السيف ٠
عيناه عينا القضاء ، يداه يدا العدالة!

روبســـــــبيير : أيها الشـــعب الطاهر المســكين ! أنت تؤدى
واجبك ، وتضحى بأعدائك ٠ أيها الشعب ، أنت
عظيم ! أنت تكشف عن روحك فى الصـــواعق
والرعود ٠ لكن معاركك لا يجب أن تجــــرح
جسدك ، والا قتلت نفسك بغضبك ٠ انك لن
تسقط الا بارادتك ، وهذا ما يعرفه عنك أعداؤك
٠٠ ان الذين يشرعون لك يقظون ، وســـوف
يأخذون بيديك ٠ أن عيونهم لا تنخدع ، ويداك
لا يفلت منها أحد ٠ تعالوا معى الى اليعاقبة !
ان اخوتكم سيفتحون أذرعهم لكم ، وسنؤلف
محكمة الدم لأعدائنا ٠

اصـــوات كثيرة : الى اليعاقبة ! عاش روبسبيير

(الجميع يخرجون)

ســــــــيمون : ويلى ، لقد تركتنى !

الزوجـــــــــة : هاك ! (تسنده)

---

(١٩) تعبير عن المسيح (Messias) أو المخلص كما ورد فى العهد القديم وفى كثير من الأديان وخرافات الشعوب ، رمزا للمنقذ الذى يظهر فى آخر الزمان ليقر مملكة الله على الأرض ٠ وقد حـاول اعداء روبسبيير ان يسيئوا كثيرا الى سمعته حين كانوا يربطون بينه وبين « كاثرين تيو » وهى مجنونة كانت تعتقد انها هى أم الله وتبشر بمقدم المسيح الجديد ٠

ســــــيمون : آه ياحبيبتى باوكيس([20]) ! أنت تجمعين الفحم على راسى .

الزوجـــــــة : قف !

ســــــيمون : هل تتخـــلين عنى ؟ هل تســـــامحيننى يابورسيا([21]) ؟ هل ضربتك ؟ لم تكن يدى ، لم تكن ذراعى . جنونى هو الذى فعلها والجنون عدو هاملت المسكين . هاملت لم يفعل شيئا . هاملت ينكر ما فعله . أين ابنتنا ؟ أين سوزانا الصغيرة ؟

الزوجـــــــة : هناك على الناصية .

ســــــيمون : هيا بنا اليها ! تعالى يازوجتى الصــالحة !

(يخـــرجان)

« نادى اليعـــاقبة »

رجلمنسكانليون : لقد أرسلنا اخوتنا فى ليون لنفرغ ســخطهم المرير فى صدوركم . اننا لا نعرف ان كانت العربة التى حملت رونسان([22]) الى المقصلة

---

(٢٠) فيلمون وباوكيس عجوزان خلدتهما الخرافات اليونانية لوفائهما فى الحب كما خلدهما جوته فى القسم الثانى من فاوست .

(٢١) بورسيا هى زوجة مارسيوس جونيوس بروتوس قاتل قيصر وأحد رجال الدولة الرومانيين ، وقد اشتهرت بشجاعتها وكبريائها ، وقتلت نفسها بعد هزيمة زوجها وموته .

(٢٢) هيبرتى ، أحد قواد الثورة ، شارك فى حوادث الرعب المشهورة فى ليون .

هى نفس العربة التى حملت جثة الحـــرية ، ولكننا نعرف أن قتلة شاليبه قد عادوا منذ ذلك اليوم يسيرون فى طمأنينة وثبات على الأرض ، كأنه ليس هناك قبر يسعهم · هل نسيتم أن ليون قطعة من أرض فرنسا يجب أن نغطيها بعظام الخونة ؟ هل نسيتم أن عاهرة الملوك هذه لايمكنها أن تغسل صديدها وقبحها الا فى مياه الرون ؟ هل نسيتم أن هذا النهر الثائر لابد أن يحطم أساطيل بت(٢٣) فى البحر الأبيض فوق جثث الارستقراطيين ؟ ان رأفتكم تقتل الثورة · ان النفس الذى يتردد فى صـــدر أرستقراطى هى الحشرجة الأخيرة فى صـدر الحرية · الجبـــان وحده هو الذى يموت فى سبيل الجمهورية ،أما اليعقوبى فهو يقتل من أجلها · اعلموا اننا ان لم نجد فيكم حمية رجال العاشــــر من أغســـطس وسبتمبر والواحد والثلاثين من مايو فلن يبقى أمامنا الا خنجر كاتو(٢٤) ، كما فعـــل الوطنى جايار(٢٥) ·

(تصفيق وصيحات مختلفة)

---

(٢٣) اشارة الى الحصار الذى فرضته الاساطيل الانجليزية على الموانىء الفرنسية بأمر من رئيس وزراء انجلترا فى ذلك الحين بت « الصغير » ·

(٢٤) كاتو «الاصغر» (٩٥ الى ٤٦ ق·م) أحد الجمهوريين الرومانيين ، قتل نفسه بعد هزيمة حزبه ··

(٢٥) أحد الهيبرتيين ، مات منتحرا ·

يعقـــــوبي : سنشرب معكم السم الذى شربه سقراط ٠

ليجنـــــدر : (يقفز فوق المنصة) لسنا فى حاجة الى توجيه ابصـــارنا الى ليـــون ٠ ان هؤلاء الذين يلبسون الحـــرير ، ويركبون العربات الفخمة ويجلسون فى المسرح في « الالواج » ويتكلمون على طريقة قاموس الاكاديمية ، قداطمأنوا منذ ايام الى أن رؤوسهم ثابتة فوق اكتافهم ٠ انهم يتطرفون ويقولون أن من الواجب أن نســاعد مارا وشالييه على الاســتشهاد مرتين وقطع رؤوسهم بعد موتهم فى احتفــال كبير(٢٦) ،

(حركة عنيفة فى الاجتماع) ٠٠

اصـــــواب : انهم أموات ، والســنتهم هى التى ستقطع رؤوسهم ٠

ليجنـــــدر : ليغرقهم دم هؤلاء القديسين ! اننى اســأل الأعضاء الموجودين من لجنة الاصلاح ٠ منذ متى أصبحت آذانكم صماء ؟ ٠٠

كوللوديربوا : (يقاطعه) وأنا أسالك ياليجندر ، صوت من هذا الذى جعل مثل هذه الأفكار تتنفس وتحيا وتجرؤ على الكلام ، لقد حان الوقت لانتزاع الأقنعة ٠ اســمعوا ان العلة تتهم معلولها ، والنداء صداه ، والسلب نتيجته ٠ ان لجنة

---

(٢٦) اشارة الى العادة التى كانت متبعة حتى القرن الثامن عشــر بتنفيذ حكم الاعدام فى المذنبين الاموات أو الهاربين باحراق صورهــم أو تماثيلهم ٠

الاصلاح تفهم كثيرا فى المنطق ياليجندر ٠٠ هدىء نفسك ! ان تماثيل القديسين النصفية(٢٧) لن تمس ، وستظل كروس المدوزا(٢٨) تحول الخونة الى احجار ٠

روبسبيير : أطلب الكلمة ٠

البصالية : اسمعوا ! اسمعوا النزيه !

روبسبيير : لقد كنا ننتظر أن نسمع صيحة السخط التى تتردد الآن من كل جانب لكى نتكلم ٠ كانت أعيننا مفتوحة ، وقد رأينا العدو يتسلح ويتحفز ، ولكننا لم نعط الاشارة بالتحرك ٠٠ لقد تركنا الشعب يسهر على نفسه بنفسه ، ولم ينم الشعب ، بل امسك بالسلاح ٠ لقد تركنا العدو يبرز من مخبئه ، تركناه يتقدم ، وهو الآن يقف حرا مكشوفا فى وضح النهار ٠ كل ضربة توجه اليه ستصيبه ، انه سيموت بمجرد أن تقع عيونكم عليه ٠ لقد قلت لكم من قبل ان الأعداء الداخليين للجمهورية قد انقسموا الى فرقتين أو معسكرين ٠ انهم يحملون اعلاما مختلفة الألوان ويسيرون فى طرق متعددة المسالك ولكنهم يسرعون جميعا الى نفس

---

(٢٧) اشارة الى تماثيل مارا وشاليبه التى وضعها فوركييه ـ توبفيل فى قصر العدالة ٠

(٢٨) اشارة الى رأس الميدوزا وهى وحش أنثوى تروى الاساطير الاغريقية انه يحول كل شىء ينظر اليه الى حجر ٠

الهدف • ان احد هذين المعسكرين لم يعد له وجود(٢٩) • لقد حاول في جنونه وتطرفه أن يدمغ أصــلب الوطنيين بالضــعف والخور لينحيهم جانبا ، ويحرم الجمهورية من أشــد اذرعتها قوة • واعلن الحرب على الالوهية والملكية لكي ينفذ مؤامرته المنحرفة لصــالح الملوك • وتهكم على مسرحية الثورة السامية لكي يسيء الى سمعتها ويفضحها بالاستهتار والفحش المتعمد المــدبر • لو قدر لهيبر أن ينتصــر لتحــولت الجمهورية الى فوضى ولرضى الاستبداد •• ان سيف القانون قد أصاب الخائن • وماذا يهم الأجانب مابقيت هناك مجموعة أخــرى من المجرمين الذين يعملون على الوصول الى نفس الهدف ؟ اذا لم ندمر هذا المعسكر الآخر فكأننا لم نعمل شيئا • انه يسير في عكس الاتجاه الذي سار فيه المعسكر الأول • انه يدفعنا الى الضعف وصيحته في المعركة هي : الرحمة ! انه يريد أن ينتزع السلاح من الشعب كما ينتزع القوة التي يقبض بها على السلاح لكي يسلمه عاريا خائر القوة الى الملوك •

ان ســلاح الثورة هو الرعب ، وقوة الجمهورية هي الفضيلة ـ الفضيلة لأن الرعب بدونها مهلك ،والرعب لأن الفضــيلة بدونه

---

(٢٩) اشارة الى حزب الهيبرتيين الذي تم القضاء عليه :

عاجزة · ان الرعب هو النتيجة المترتبة على الفضيلة · ليس الرعب الا العدالة الحاسمة الصلبة الصارمة · يقولون ان الرعب هو سلاح الحكومة المستبدة ، ويريدون بذلك أن يشبهوا حكمنا بالحكم المستبد · هذا صحيح ! ولكن بقدر ما يشبه السيف فى يد بطل الحرية ذلك السيف الذى يحمله اتباع الطاغية · اذا كان المستبد يحكم بالرعب رعاياه الذين يشبهون القطعان ، فذلك حقه كطاغية مستبد ، اسحقوا بالرعب اعداء الحرية وسيكون ذلك من حقكم كمؤسسين للجمهورية · ان حكومة الثورة هى استبداد الحرية ضد الطغيان ·

بعض الناس ينادون قائلين : ارحموا الملكيين ! هل نرحم الأشرار ؟ لا : بل نرحم البراءة ، نرحم الضعف ، نرحم البؤساء ، نرحم الانسانية ! ان المواطن المسالم هو وحده الذى يستحق حماية المجتمع ·

ليس هناك مواطنون فى ظل الجمهورية الا الجمهوريين ، أما الملكيون والأجانب فهم أعداؤها · ان انزال العقاب بأولئك الذين يضطهدون الانسانية هو الرحمة ، أما العفو عنهم فهو الوحشية · ان كل علامات الحساسية الزائفة تبدو لى تنهدات تطير فى اتجاه انجلترا أو النمسا ·لم يقنعوا بتجريد الشعب من السلاح ، بل راحوا يسممون أقدس منابع قوته بالرذيلة · هذا هو أخبث وأخطر وأبشع هجوم

على الحرية • ان الرذيلة هى علامة قابيل(٣٠) التى تسم الارستقراطية • انها ليست فى النظام الجمهورى جريمة أخلاقية فحسب ، بل هى كذلك جريمة سياسية • ان مرتكب الرذيلة هو العدو السياسى للحرية ، ويعظم خطره عليها كلما عظمت الخدمات التى يدعى انه أداها لها • ان أخطر المواطنين هو ذلك الذى يسهل عليه أن يستهلك بضع قبعات حمراء(٣١) من أن يقوم بعمل واحد نافع •

سيكون من السهل عليكم أن تفهموا قصدى اذا فكرتم فى أولئك الذين كانوا يعيشون فى حجرات على السطوح فأصبحوا الآن يركبون العربات المطهمة بالخيول ويرتكبون الفحش مع الماركيزات والبارونات السابقات • ان من حقنا أن نسأل : هل نهبنا ثروة الشعب أم هل أصبحنا نضغط على أيدى الملوك الذهبية(٣٢) ، اذا كنا نحن المشرعين للشعب نتظاهر بكل رذائل رجال البلاط السابقين وترفهم ، اذا كنا نرى ماركيزات الثورة وأمراءها يتزوجون

---

(٣٠) يذكر العهد القديم ان قابيل حكم عليه بالنفى عقابا له على قتل شقيقه هابيل ، ولكن حمته علامة على جبهته اشتهرت فيما بعد بانها اشارة الى جريمة قتل الأخ •

(٣١) قبعة كان يلبسها اليعاقبة ، متأثرين فى ذلك بالقبعة التى كان يلبسها الفريجيون القدماء وتعد أقدم رمز للحرية •

(٣٢) أى هل وصل بنا الأمر الى حد التعاون معهم ضد الشعب ؟

النســاء الثريات ، ويولون الولائم ويقامرون ويستخدمون الخدم ويلبسون الثياب الفخمة ؟ ان من حقنا أن نتعجب حين نرى الأفكار الملهمة تهبط عليهم ، ونسمع أحاديث المثقفين المهذبين تتدفق من أفواههم • لقد حدث منذ وقت غير بعيد أن تهكم أحدهم « بتاسـيت » على نحو مخجل(٣٣) فى استطاعتى كذلك أن أجيب على طريقة « ساللوست » وأن أعرض بكاتلينا(٣٤)، غير أننى فيما أظن لم أعد فى حاجة الى لمسات اخرى ، فقد تم رسم أصحاب هذه الوجوه • لن تكون هناك معاهدة ولا هدنة مع أناس لم يفكروا الا فى نهب الشـعب ، أناس اطمأنوا الى أنهم سيستطيعون ان يواصلوا هذا النهب بغير عقاب وحسبوا أن الجمهورية مضارية . وان الثورة أداة فى أيديهم • انهم يحاولون فى هدوء تام أن يبردوا حرارة العـــدالة بعد أن أفزعهم التيار الجارف الذى يضـــرب الأمثلة كل يوم يـــكاد الانســـان يعتقـــد أن كل واحد منهم يقول لنفســـه : « لســـنا فضلاء

---

(٣٣) اشارة الى « كتاب ديمولان » الفرنسسكانى العجوز » الذى نشر فيه اجزاء من كتاب المؤرخ الرومانى تاسيتوس عن استبداد القيصر تبيريوس قاصدا بذلك ان يتهكم من بعيد بدكتاتورية اليعاقبة •

(٣٤) يريد روبسبيير انه يستطيع ان يرد بأجزاء من المؤرخ الرومانى ساللوست الذى كتب عن المـــؤامرة المشـــهورة بمؤامرة كاتيلينا ضـــد القنصلية ••

الى الحد الذى يجعلنا مرعبين بهذه الدرجة •
أيها المشرعون المتفلسفون ، ارحموا ضعفنا !
اننى لا أجرؤ أن اقول لكم اننى أحب الرذيلة ،
ولهذا افضل أن اقول لكم : « لا تكونوا قساة
بشعين ! »

هدىء نفسك ، أيها الشـــعب العفيف !
هدءوا نفوسكم أيها الوطنيون ! قولوا لاخوتكم
فى ليون : ان سيف الحرية لا يصدأ فى الأيدى
التى وضعتم ثقتكم فيها ! ستضرب مثلا عظيما
للجمهورية •

(تصفيق عام)

اصـــوات كثيرة : عاشت الجمهورية ! عاش روبسبيير !

الـــــــــرئيس : رفعت الجلسة !

ـ حـــــارة ـ

لاكروا ـ ليجنـــدر

لاكـــــــــروا : ماذا فعلت ياليجندر ! هل تعـــلم من الذين
اسقطت رؤوســـهم بتماثيلك النصـــفية التى
حطمتها ؟

ليجنـــــــــدر : بعض التافهين المتحذلقين والنساء الأنيقات ،
هذا هو كل شىء •

لاكـــــــــروا : أنت انسان ينتحر ،ظل يقتل أصله ويقتل بذلك
نفسه •

ليجنـــــــــدر : لست أفهم ماذا تقصد ·

لاكـــــــــروا : أظن ان كوللو تكلم بوضوح ·

ليجنـــــــــدر : وما أهمية هذا ؟ لقد كان مخمورا كعادته ·

لاكـــــــــروا : الحمقى والأطفال و ·· الســـــكارى يقولون الحقيقة · من الذى تعتقد أن روبســـبيير قد قصده بالكلام عن كاتيلينا ؟

ليجنـــــــــدر : ما رأيك أنت ؟

لاكـــــــــروا : المسألة بسيطة · لقد أرسل الملحدون والثوريون المتطرفون الى المقصلة · ولكن الشعب لم يستفد شـــيئا ، فمازال يمشى حافيا فى الحوارى ويطـــالب بأن يفصـــل أحـــذيته من جلود الارستقراطيين · ان ترمومتر المقصلة لا يجب أن يهبط ، لم تبق الا بضع درجات وتذهب لجنة الاصلاح الى ميدان الثورة لتنام هناك ··

ليجنـــــــــدر : وما علاقة تماثيلى النصفية بهذا ؟

لاكـــــــــروا : ألم تفهم العلاقة بعد ؟ لقد أعلنت وجود الثورة المضـــادة ، وحفزت الرجال العشرة(٣٥) الى العمل الحاسم ، وقدتهم من أيديهم · ان الشعب مينوتاوروس(٣٦) يصر كل أســـبوع على أن يتسلم جثثه ، والا افترسهم ·

---

(٣٥) او الديسمفير ، انظر التعليق السابق ·

(٣٦) وحش رهيب تصوره الاساطير اليونانية برأس ثور وجسد انسان وكان على مدينة أثينا ان تقدم له القرابين من الشباب والعذارى ·

ليجنــــــــدر : أين دانتون ؟

لاكــــــــروا : ومن أين لى أن أعلم ؟ انه يحاول أن يجمــع فينوس المديشية منكل بقايا القصر الملكى(٣٧)، أو يصنع على حد قوله فسيفساء(٣٧م) • السماء وحدها تعلم ماهو العضو الذى وصــل اليه الآن • انه لشىء محزن حقا أن تمزق الطبيعة الجمال وتوزع أجزاءه المتفرقة بين الأجساد ، كما مزقت ميديا(٣٨) شقيقها • هيا نذهب الى القصر الملكى !

(يخــرجان)

« حجــــرة »

دانتــون ••• مــاريون

مــــــــاريون : لا ! دعنى راقدة عند قدميك • أريد أن أحكى لك شيئا •

دانتــــــــون : يمكنك أن تستعملى شفتيك فيما هو افضل •

مــــــــاريون : لا • دعنى هكذا • كانت أمى امرأة ذكية وكانت تقول لى دائما ان العفة فضيلة جميلة • وعندما كان يأتى الناس لزيارتنا ويبدأون فى الحديث

---

(٣٧) مــاخور مشهور كان معروفا قبل الثـورة فى باريس •
(٣٧م) أو موزايكو •
(٣٨) تصورها الاساطير الاغريقية ساحرة جبارة هربت مع شقيقها ثم قتلته ومزقته قطعا ألقت بها فى البحر لكى تضلل أباها الذى كان يطاردها •

عن أمـــور معينة كانت تطلب منى أن أغادر الحجرة · فاذا سألتها عما يريدون قالت ان على أن أخجل من نفسى · واذا أعطت لى كتابا لأقرأه كنت دائما أمر على بعض صفحاته بغير قراءة · ولكننى كنت أقرأ الكتاب المقدس كما يحلو لى ، فقد كان كل شىء فيه مقدسا ولكن كان فيه شىء لم أستطع فهمه · لم أحاول أن أسأل أحدا عن معناه ، وعكفت على نفسى ورحت أفكر فيه وحـــدى · وجاء الربيع · احسست أن هناك أمورا تجرى فى كل مكان من حولى دون أن أشارك فيها · ووجدتنى أعيش فى جو غريب يكاد يخنق أنفاسى · رحت أتأمل أعضائى ، كان يبدو لى فى بعض الأحيان كأن حجمى يتضاعف وكأننى أعود فأصبح عضوا واحدا يندمج فيه كيانى كله · فى ذلك الوقت بدأ شاب يتردد على البيت · كان جميلا وكان يتكلم فى معظم الأحيان كلاما عجيبا · لم أكن أفهم ما يريده تماما ، ولكننى لم أكن أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك · دعته أمى الى الاكثار من زيارتنا ، وأعجبنا هذا · وأخيرا لم نجد ما يمنع من أن ننام معا بين ملاءتى سرير ،مثلما نجلس معا على كرسيين · وجدت فى هذا متعة أعظم من المتعة التى كنت أجدها فى الاستماع الى كلامه ،ولم أفهم لماذا كانوا يســـمحون لى بالمتعة القليلة ويحرموننى من المتعة الكبيرة · ورحنا نفعل ذلك ســـرا ،

واستمر الحال على هذا • ولكننى احسست كأننى أصبحت بحرا يبتلع كل شىء وتجيش اعماقه وتجيش • كان هناك ضد واحد بالنسبة لى ، وذاب لدى كل الرجال فى جسد واحد • أمى ايضا كانت كذلك • وهل يستطيع أحد أن يهرب من طبيعته ؟ وأخيرا لاحظ كل شىء • جاء فى صباح يوم من الأيام وقبلنى قبلة كادت تكتم انفاسى • وطوق رقبتى بذراعيه فأحسست برعب هائل • ثم ابتعد عنى وضحك وقال انه كان على وشك ان يقوم بفعلة غبية ، وان على أن احتفظ بثوبى واستعمله لأنه سيبلى من نفسه ، وهو لايريد أن يفسد على حظى قبل الأوان لأنه هو الشىء الوحيد الذى املكه • ثم ذهب ، ولم اعرف مرة اخرى ماذا كان يريد •• وعندما جاء المساء كنت أطل من النافذة ، فأنا شديدة الحساسية ولاشىء يربطنى بما حولى الا العاطفة • واستغرقت فى امواج الشفق • ثم انتبهت على موكب يهبط الشارع تتقدمه الأطفال وتتبعه النساء من النوافذ • نظرت الى هناك فرأيتهم يحملونه فى سلة كبيرة والقمر يسطع على جبهته الشاحبة ، وخصلات شعره مبتلة •• كان قد اغرق نفسه • ووجدتنى انشج بالبكاء • كان هذا هو الكسر الوحيد فى كيانى • ان غيرى من الناس يعملون فى ايام ويستريحون فى ايام •• انهم يعملون ستة ايام ويصلون فى اليوم السابع • وفى كل سنة

يتأثرون مرة فى عيد ميلادهم ويفكرون قليلا فى راس السنة ٠أما أنا فلا افهم شيئا من هذا ولا أعرف راحة أو تغييرا ٠ انا دائما كيان واحد ، شوق لا ينقطع ، لهيب تيار ٠ أمى ماتت من الغم ، الناس يشيرون الى ٠ هذا غباء ٠ ففى النهاية يتســاوى الناس فى المتعة التى يجدونها فى الأجساد أو صور المســبيح أو الزهور أو العاب الأطفــال ، انه دائما نفس الشعور ، من يزدد متعة يزدد عبادة ٠

دانتــــــــون : لماذا لا احتوى جمالك كله واعانقه كله ؟

مـــــــاريون : دانتون ، لشفتيك عينان ٠

دانتــــــــون : تمنيت أن اكون بعضا من الاثير لكى تستحمى فى موجى وأتكسر على كل موجة من امواج جسدك الجميل ٠

(لاكروا ، اديلاده وروزالى يدخلون)

لاكــــــــروا : (يظل واقفا بالباب) لابد ان اضحك ! لابد ان اضحك !

دانتــــــــون : (متبرما) وبعد ؟

لاكــــــــروا : الحارة خطرت على بالى ٠

دانتــــــــون : ثم ماذا ؟

لاكــــــــروا : كانت هناك كلبة كبيرة وكلب بولونى صــغير يعذبان نفسيهما ٠

دانتـــــــون : ما معنى هذا ؟

لاكـــــــروا : خطر هذا على بالي فلم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك • كان منظرا يشرح القلب ! كانت البنات تنظر من النوافذ • لابد أن يحتـــاط الانسان ولا يتركهن يجلسن في الشمس • والا قرضـــهن البعوض في أيديهن ، وهذا يهيج الأفكار • طفت أنا وليجندر على كل الصوامع تقريبا • تعلقت راهبات الوحي الجســـدي بحجـــرنا وطلبن البركة • أنزل ليجندر بركته على احداهن ، ولكنه سيضطر أن يصوم من اجل ذلك شهرا • وهانذا أحضر معي راهبتين من راهبات الجسد •

مـــــاريون : صباح الخير يا آنسة أديلاده ! صباح الخير يا آنسة روزالي !

روزالي : لم نتشرف من مدة طويلة •

مـــــاريون : كان على عيني ••

اديلاده : آه يا ربي ! نحن مشغولون بالليل والنهار •

دانتـــــون : (لروزالي) أنت يا صغيرة ! لقد اصـــبحت ملفوفة الاوراك !

روزالي : طبعا • نحن كل يوم في تحسن •

لاكـــــــروا : ما هو الفرق بين أدونيس القـــديم وأدونيس الجديد(٣٩) ؟

---

(٣٩) هو فيما تروى الاساطير اليونانية حبيب افروديت الجميل الذي مزقه خنزير وحشي فحولته الى زهرة شقائق النعمان دائمة العطر ••

دانتـــــــــون : وأديلاده أصبحت مؤدبة وظريفة ، تغيير يرد الروح ٠

وجهها يبدو كورقة التين التى تستر بها جسدها كله ٠ شجرة تين كهذه على طريق مريح كهذا تلقى ظلا منعشا ٠

اديلاده : كنت ساصبح طريقا تسير عليه القطعان لو ان السيد ٠٠

دانتـــــــــون : فهمت ٠ المهم الا تغضبى يا آنستى !

لاكـــــــــروا : ارجوك أن تسمعنى ! ان ادونيس الجديد لن يمزقه خنزير برى بل ستمزقه اناث الخنازير ٠ انه لن يجرح فى فخذه بل فى جنبيه ولن تنبثق الورود من دمه بل ستتفتح براعم الزئبق(٤٠)٠

دانتـــــــــون : الآنسة روزالى تشبه تمثالا ناقصا(٤١) اعيد ترميمه وليس فيه شىء قديم سوى الساقين والقدمين ٠

انها مثل ابرة المغنطيس : ما يطرده قطب الراس يجـــذبه قطب القدم ، اما المركز فهو منطقـــة استوائية كل من يعبر خط الاستواء فيها يحصل على تعميد طبى(٤٢) ٠

---

(٤٠) كانت هذه الأوراق توصف علاجا للامراض التناسلية (كالزهرى)، والكلمة تشير هنا الى الالتهابات والأورام الناجمة عن هذا المرض ٠

(٤١) يقصد بالتمثال الناقص (Torso) غالبا ذلك التمثال الذى فقدت رأسه ولم يبق منه الا الجذع ٠

(٤٢) اشارة الى تقليد بحرى لايزال متبعا الى اليوم عند عبور خط الاستواء وهو الاحتفال بكل من يعبره لأول مرة ٠

لاكـــــــروا : انهما ممرضتان رحيمتان ، كل منهما تخدم فى مستشفى ، أقصد فى جسدها هى ٠

روزالى : اخجل من ان تجعل آذاننا حمراء من الخجل !

اديلاده : يجب أن تتعلم فن الحياة اكثر من هذا ٠

(تخرج اديلاده وروزالى)

دانتــــــون : ليلتكم سعيدة ياحلوات !

لاكـــــــروا : ليلتكم سعيدة يامناجم الزئبق !

دانتــــــون : اننى أرثى لهما ٠ فهما لا تأتيان الا لتنـــاول العشاء ٠

لاكـــــــروا : اسمع يادانتون ! لقد كنت الآن مع اليعاقبة ٠

دانتــــــون : أليس لديك اكثر من هذا ؟

لاكـــــــروا : قرأ وفد ليون بيانا اعلنوا فيه أنه لم يبق أمامهم الا أن يلتفوا بالتوجا(٤٣) ٠ ان كل واحد منهم يضع تكشيرة على وجهه كانما يريد أن يقول لجاره : « بيتووس » ، انه لا يؤلم(٤٤) ٠ هتف ليجندر مطالبا بتحطيم تماثيل مارا وشـــاليه النصفية ٠ أعتقد انه يريد أن يحمر وجهه مرة اخرى من الخجل ، لقد خرج من زمرة الكبار

---

(٤٣) التوجا (Toga) ثوب فضفاض كان يلبسه الرومانيون ، ولعل المقصود ان أهل ليون يريدون العودة الى سياسة الدماء ٠

(٤٤) كلمات قالتها « أريا » بعد أن غرزت الخنجر فى قلبهـــا ومدت يدها به الى زوجها الذى كان القيصر كلاوديوس قد غضب عليه ٠

المخيفين ولم يعد أحد يأخــذه مأخذ الجد ، والأطفال فى الحارة يشدونه من ثيابه ٠

دانتــــــون : وروبسبيير ؟

لاكـــــروا : أشار بأصبعه الى المنصة وقال : يجب أن تحكم الفضيلة بالرعب ٠ لقد جعلتنى عبارته احس الألم فى رقبتى ٠

دانتــــــون : لأنها تنجر ألواح الخشب المفصلة ٠

لاكـــــروا : وصاح كوللو كمن مسته الشياطين : لابد من انتزاع الأقنعة !

دانتــــــون : اذن فسوف ينتزعون معها الوجوه ٠

(يدخل بارى)

لاكـــــروا : ماهى الأخبار يافابريسيوس ؟

بـــــارى : تركت اليعاقبة وذهبت الى روبسبيير لأطلب منه تفســيرا ٠٠ حاول أن يتظاهر بالحزن كأنه بروتوس وهو يضحى بأولاده(٤٥) ٠ تكلم عن الواجبات بوجه عام ، قال انه لا يعبأ فى سبيل الحـرية بأى اعتبـــار ، وأنه لن يتردد عن التضــحية بكل شىء ، بنفســه وشــقيقه وأصدقائه ٠

---

(٤٥) كان أولاد القنصل الرومانى لوسيوس جونيوس بروتوس ، الذى حرر البلاد من الملكية ، قد اشتركوا فى مؤامرة مع الملك المطرود ، ونفـذ فيهم حكم الاعدام أمام أبيهم ٠

دانتـــــــون : لقد تكلم بوضوح · علينا ان نقلب السلم فحسب وبذلك يقف فى الدور الأسفل ويحمل السلم لأصحابه · نحن مدينون بالشكر لليجندر ، فقد جعلهم يتكلمون ·

لاكـــــــروا : ان الهيبرتيين لم يموتوا بعد ، والشعب يعيش عيشة بائسة ، وهذا ثقل فظيع · ان كفة الدماء لا يجب ان تثقل ، حتى لا تتحول الى مشانق لاعضاء لجنة الاصلاح أنه فى حاجة الى حمل يثقل دماغه ·

دانتـــــــون : أعرف أن الثورة مثل ساتورن(٤٦) ، فهى تفترس أبناءها (بعد تفكير) ولكنهم لن يجرؤوا !

لاكـــــــروا : دانتون · أنت قديس ميت · ولكن الثورة لا تعترف بالعظام الباقية ، لقد ألقت بعظام الملوك جميعا الى الشارع وقذفت بكل التماثيل من الكنائس · أتظن أنهم سيتركونك كتمثال أثرى ؟

دانتـــــــون : اسمى ! الشعب !

لاكـــــــروا : اسمك ! انك معتدل ، وكذلك انا ، وكاميل ، وفيليبو وهيرو · والشعب يعتبر الاعتدال والضعف شيئا واحدا ، ولذلك يقتل كل من يتأخر ويتباطأ ، ان خياطى قسم القبعات

---

(٤٦) اله رومانى (يقابل خرونوس أو الزمن عند اليونان) وقد التهم ابناءه على اثر ولادتهم بعد ان قالت له النبوءة انهم سيزيحونه عن عرشه ·

الحمراء[47] سيحسون بالتاريخ الرومانى كله على طرف ابرتهم[48] ، اذا شعروا بأن رجل سبتمبر يقف منهم موقفا معتدلا ٠

دانتـــــون : هذا حقى ٠ اضف اليه ان الشـــعب كالطفل الذى يصـــر على أن يكســـر كل شىء ليرى ما بداخله ٠

لاكـــــروا : اضف الى هذا أيضا يادانتون اننا كما يقول روبسبيير نرتكب الرذائل ، فنحن نستمتع ، فى حين ان الشعب فاضل ، اى لايستمتع لأن العمل اصاب حواسه بالصدا ، ولا يسكر لأنه لايملك المال ، ولا يتردد على المواخـــير لأن رائحـــة الجبن والرنجة تصعد من رقبته والآنســـات يشعرن بالاشمئزاز لذلك ٠

دانتـــــون : انه يكره القادرين على الاستمتاع كما يكره الخصى الرجال ٠٠

لاكـــــروا : انهم يسموننا الأوغاد (يميل على اذن دانتون) وفى هذه التسمية ـ فيما بيننا ـ شىء من الحق ٠ روبسبيير والشعب يتمسكان بالفضيلة ٠٠ سان جوست سيكتب رواية وباربر سيفصل

---

(47) اى اليعاقبة ٠

(48) أى سترتفع قيمة اليعاقبة لو تمكنوا من القضاء على رجل مثـل دانتون انقذ الثورة ذات يوم ٠

« كارمانيولا »(٤٩) • ويضــــع معطف الدماء حول جسم الجمعية و ٠٠٠٠ انني أرى كل شيء •

دانتــــــــون : انت تحلم ٠٠ لم تكن لديهم الشـــجاعة ابدا بدوني • لن تكون لديهم الشجاعة لمواجهتي • ان الثورة لم تنته بعد وقد يحتاجون الى • انهم سيحتفظون بي في ترسانتهم •

لاكـــــــــروا : يجب أن نعمل شيئا •

دانتــــــــون : ســنرى •

لاكـــــــــروا : الى أن يتم هذا سنكون قد ضعنا •

مـــــــاريون : (لدانتون) شفتاك أصبحتا باردتين ، كلماتك خنقت قبلاتك •

دانتــــــــون : (لماريون) ما أكثر الوقت الذى ضيعناه ! كان الأولى أن نستفيد منه ! (للاكروا) • سأذهب غدا الى روبسبيير : سأثير غضبه ولن يستطيع أن يســكت • الى الغد اذن ! طابت ليلتكم يا أصدقائي ! طابت ليلتكم ! انني أشكركم !

لاكـــــــــروا : تثبتوا يا أصدقائي الاعزاء ، تثبتوا ! طابت ليلتك يادانتون • ان أفخاذ الآنســـة ستفصل

---

(٤٩) الكارمانيولا اسم أغنية شعبية ثورية اطلقت بعد الثورة على سترة شعبية قصيرة بغير رقبة سميت كذلك سترة اليعاقبة •

رقبتك عن جســـدك ، والمونس فنيريس(٥٠)
سيكون هو صخرتك الترابية(٢) (يخرج مع
بارى)

« حجـــــرة »

روبسبيير ـ دانتون ـ بارى

روبســـــبيير . قلت لك ان من يمســـك بذراعى عندما اجرد
سيفى فهو عدوى • لا اهمية بعد هذا لقصده
ونيته ، ومن يحل بينى وبين الدفاع عن نفسى
فهو يقتلنى تماما كما لو كان يهاجمنى •

دانتـــــــون : حيث يتوقف الدفاع عن النفس ، تبدأ جرائم
القتل لست أرى سببا يحملنا على الاستمرار
فى القتل •

روبســـــبيير : ان الثورة الاجتماعية لم تنته بعد ، من يكتف
من الثورة بنصفها يحفر لنفســـه قبرا • ان
المجتمع المرفه لم يمت بعد ، والقوة الشـعبية
السليمة يجب أن تحل محل هذه الطبقة المتفشية
فى كل اتجاه • يجب أن تلقى الرذيلة العقاب
الرادع ، وتحكم الفضيلة عن طريق الرعب •

دانتـــــــون : انا لا افهم معنى لكلمة العقاب • أنت وفضيلتك
ياروبسبيير ! انك لم تسرق ، ولم تستدن ، ولم

---

(٥٠) أى الجبل الوقور (٢) وهى القمة الجنوبية للتل الذى يقوم عليه بناء الكابيتول فى روما وقد كان يقذف بالمجرمين والخونة من فوقه ، والاشارة ذات معنى جنسى •

تنم مع امرأة · تعودت دائما ان تلبس الثياب المحترمة ، لم تسكر ابدا فى حياتك · روبسبيير انك مستقيم الى حد مزعج· لو أننى عشت ثلاثين عاما باكملها أدور بين السماء والأرض بنفس السحنة الأخلاقية لمجرد الاحساس بهذه اللذة البائسة التى تجعلنى أجد غيرى أسوأ منى ، لو فعلت هذا لخجلت من نفسى · أليس فى داخلك اذن شىء يهمس لك فى الخفـــاء قائلا : انت تكذب ، تكذب ؟!

روبســـــــبيير : ان ضميرى نقى ·

دانتـــــــــون : الضمير مرآة ، يعذب القرد نفسه أمامها ، كل انسان يتزين بقدر ما يســـتطيع ، ثم يمضى ليروح عن نفسه كما يشاء هذا شىء يستحق أن نشد من أجله شعور بعضنا ! من حق كل انسان أن يدفع عن نفسه اذا وجد من يفسد عليه مزاجه ·

هل من حقك أن تجعل من المقصلة حوض غسيل للملابس المتســـخة لغيرك من الناس ، ومن رؤوسهم المقطوعة كرات لازالة البقع من ثيابهم القذرة ، لمجـــرد انك تلبس دائما ثوبا منظفا بالفرشاة ؟

نعم من حقك أن تدافع عن نفسك اذا بصقوا عليه أو أحدثوا ثقوبا فيه ، ولكن ما شأنك بهم ماداموا يتركونك فى حالك؟ واذا كان لايضايقهم أن يدوروا هكذا فى الشوارع ، فهل يعطيك ذلك

الحق فى أن تحبسهم فى القبور ؟ هل انت شرطى السماء ؟ اذا كنت لاتستطيع أن تنظر اليهم كما ينظر الهك العزيز فضع منديلك أمام عينيك ٠

روبسبيير : هل تنكر الفضيلة ؟

دانتون : والرذيلة أيضاً ٠ ليس هناك الا ابيقوريون ، غلاظ ورفيقون ، وقد كان المسيح ارقهم ٠ هذا هو الفارق الوحيد الذى أميز به الناس ٠ كل انسان يتصرف على حسب طبيعته ، اى يعمل مايروقه ٠ اليس شيئا فظيعا ان ادوس على كعب حذائك أيها النزيه ؟

روبسبيير : دانتون ٠ ان الرذيلة فى بعض الأوقات خيانة ٠

دانتون : لايجوز لك بحق السماء أن تحتقرها ، والا كان هذا جحودا منك ٠ انك مدين لها بالكثير ، على الأقل بالضد المقابل لها ٠٠ زد على هذا – لكى لا ابتعد عن افكارك – ان معاركنا يجب أن توجه لصالح الجمهورية ، ولا يجوز أن ناخذ الأبرياء بذنب المجرمين ٠

روبسبيير : من قال لك اذن ان احد الأبرياء قد أصيب ؟

دانتون : هل سمعت يافابريسيوس ؟ لم يمت برىء واحد حتى الآن !

(ينصرف وهو يقول لبارى) لا يجب أن نضيع لحظة واحدة ٠ يجب أن نكشف عن انفسنا !

(يخرج مع بارى)

روبســــــبيير : (وحده) اذهب ! يريد أن يوقف خيول الثورة أمام الماخور ، كما يفعل السائق بجياده المدربة، ولكنهم سيجدون القوة الكافية لســــحبه الى ميدان الثورة · يدوس على كعب حذائى ! لكى لا أبتعد عن أفكارك ! ـ قف ! قف ! هذه هى الحقيقة ؟ ـ سيقولون ان هيئته العملاقة ألقت ظلالها الكثيرة على ، ولذلك عملت على ابعاده عن الشمس · ـ واذا كانوا صـــادقين فى قولهم ؟ ـ أهو أمر ضرورى حقا ؟ ـ نعم ! نعم ! الجمهـــورية ! لابد ان يذهب · من المضحك أن تراقب أفكارى بعضها البعض · ـ لابد أن يذهب · ان من يتوقف عن السير وسط الجماهير الزاحفة فهو يقاومها كما لو كان يمنع تقدمها : ولابد أن تدوسه الأقدام ·

لن ندع سفينة الثورة تتحطم على تقديرات هؤلاء الناس الضحلة وشــواطئهم الموحلة ، يجب علينا أن نقطع اليد التى تجـــرؤ على وقفها ، حتى ولو تشـــبثت بها بالاســنان ! فلتســـتأصل هذه الجمـــاعة التى جـــردت الارستقراطية الحمراء من ملابســـها وورثت عنها قروحها !

لا فضيلة ! ـ الفضيلة كعب حذائى ! ـ لكى لا أبتعد عن أفكارك ! ـ لماذا تلح على هذه الخواطر ؟ الا أســـتطيع أن أتخلص من هذه الفكرة ؟ انها تشير دائما باصبع دامية الى

هناك ! الى هناك ! وكلما حاولت ان الف الخرق حولها نفدت منها الدماء ! (بعد فترة صمت) لست أدرى من الذى يكذب فى صاحبه ٠٠ (يتقدم الى النافذة) الليل منسدل فوق الأرض يغط فى نومه ويلتف فى حلم موحش ٠ أفكار واماني لانكاد نحس بها ، مضطربة وغامضة ، تتوارى خائفة من ضوء النهار ، تتلقى الآن شكلا ورداء وتتسلل الى بيت الأحلام الساكن انها تفتح الأبواب ، تطل من النوافذ ، تتجسد وتمد أعضاءها فى النوم وتتمتم منها الشفاه ٠

ـ اليست يقظتنا حلما ناصعا ؟ السنا نسير نياما ؟ اليست افعالنا هى نفس الافعال التى نقوم بها فى الحلم ، ولكن بصورة أوضح وأدق ؟ من الذى يستطيع أن يلومنا على هذا ؟ ان العقل ينجز فى ساعة واحدة من الأفعال الفكرية اكثر مما يقدر الكيان العضوى الكسول على انجازه فى أعوام ٠ ان الخطيئة كامنة فى الفكرة ٠ أما أن تصبح الفكرة عملا ، أو أن يؤديها الجسم بعد ذلك فهذا أمر متروك للصدفة ٠

(يدخل سان جوست)

روبسبيير : ها ، من هناك فى الظلام ؟ ها ! نور ! نور !

سان جوست : هل تعرف صوتى ؟

روبسبيير : أنت ياسان جوست ! (احدى الخادمات تحضر مصباحا)

سـان جوسـت : هل كنت وحدك ؟

روبسـبيير : دانتون كان هنا وذهب منذ لحظة ٠

سـان جوسـت : قابلته فى الطريق فى « القصر الملكى » كان يسـتعرض جبهته الثورية ويتكلم بالحكم ، ويتحدث مع الرعاع(٥١) بغير كلفة ٠ وكانت البغـايا تمشى وراءه والناس يقفون مذهولين ويتهامسون بما يقوله ٠ ـ سـنضيع مزية الهجوم٠ الى متى تتردد ؟ سـنتصرف من غيرك ٠ لقد عزمنا على هذا ٠

روبسـبيير : ماذا تريدون أن تفعلوا ؟

سـان جوسـت : نريد أن ندعو لجان التشريع والأمن والاصلاح الى اجتماع عام ٠

روبسـبيير : تعقيد لاداعى له ٠

سـان جوسـت : يجب أن ندفن الجثة العظيمة باحترام ، كالكهنة لا كالقتلة ٠ لا يصح أن نشوهها ، بل يجب أن نوارى معها كل أعضائها ٠

روبسـبيير : أوضح كلامك !

سـان جوسـت : يجب علينـا أن ندفنه فى التراب وهو بكامل سلاحه وأن نذبح خيوله وعبيده على قبره : لاكروا ٠٠

---

(٥١) فى الأصل عديمى السراويل (Sans-Culottes) وهـم طبقة من الرعاع والصـعاليك الذين اشتهروا بهذا الاسم أيام الثورة الفرنسية ٠

روبسبيير : وغد حقيقى ، كاتب محام سابق ، وجنرال فرنسا فى الوقت الحاضر • استمروا •

سان جوست : ميرو ـ سيشيل •

روبسبيير : راس جميل !

سان جوست : كان الحرف الأول الجميل فى وثائق الدستور ، لم نعد الآن فى حاجة الى هذه الحلية ، سنمحوها • فيليبو ، كاميل •

روبسبيير : وهذا ايضا ؟

سان جوست : (يناوله ورقة) اظن اقرأ !

روبسبيير : آه ! « الفرنسسكانى العجوز ! لاشىء غير هذا؟ انه طفل وقد ضحك عليكم •

سان جوست : اقرأ هنا ، هنا ! (يبين له وضعا بعينه)

روبسبيير : (يقرأ) « هذا المسيح الملطخ بالدماء فوق جبل جلجاثة(٥٢) بين زميليه كوتو وكوللو ، حيث يضحى ولا يضحى به • الاخوات البتول يقفن تحت المقصلة مثل مريم والمجدلية • سان جوست حبيب الى قلبه مثل يوحنا والمسيح وهو الذى يعرف المجلس بالوحى الذى يهبط

---

(٥٢) اشارة الى الجبل الذى صلب عليه السيد المسيح ، وبجانبه اللصان ، والاشارة الى روبسبيير الذى كان يشبه نفسه بالمخلص مع فارق واحد وهو أنه لا يقبل أن يصلب !

على المعلم ، انه يحمل رأسه كما يحمل القسيس وعاء السر المقدس ٠

سان جوست : سأجعله يحمل رأسه كما حمله القديس دنيس(٥٣) ٠

روبسبيير : (يواصل القراءة) هل نصدق أن سترة المسيح النظيفة هي كفن فرنسا ، وأن أصابعه النحيلة المرتعشة التي يشير بها الى المنصة هي سكاكين المقصلة ؟ وأنت يابارير – أنت يامن قلت ان عملات النقود ستسك في ميدان الثورة(٥٤) ! ومع ذلك فلست أريد أن أنكش الكيس القديم(٥٥) ٠ انه أرملة تزوجت نصف دستة من الرجال ونجحت في أن تقبرهم جميعا ٠٠ وهل لأحد يد في هذا ؟ انها موهبة طبيعية ٠ انه يرى السحنة الابقراطية(٥٦) على وجوه الناس قبل موتهم بنصف سنة ٠٠ ومن الذي يحب أن يجلس مع الجثث ويشم العفن ؟

---

(٥٣) سان دنيس أو القديس ديونكس ، قطعت رأسه في باريس سنة ٢٧٢ ٠

(٥٤) أي ان كل رأس تسقط من رؤوس النبلاء انما تزيد الثورة قوة ٠

(٥٥) تلاعب بكنية بارير وهي فيساك (Vieuzac) (الأصح Vieux Sac) أي الكيس أو الشوال القديم ٠

(٥٦) اى يرى علامات الموت والانهيار على وجوههم ، من التعبير اللاتيني (Facies hyppocratica)

انت كذلك يا كاميل ؟ - ليذهبوا جميعـــا ! ويســـرعة ! ان الأموات وحدهم هم الذين لا يرجعون · هل أعددت وثيقة الاتهام ؟ ·

ســان جوســت : اعدادها ســهل ·· لقد اشـــرت اليه عند اليعاقبة ·

روبســـبيير : أردت أن أرعبهم ·

ســان جوســت : على أن أنفذ فحسب ، المزورون(٥٧) سيقدمون البيضة ، والأجانب(٥٨) التفاحة · - سيموتون من هذه الأكلة · أعدك بهذا ·

روبســـبيير : اذن فلنسرع ! غدا ! لا نريد صراعا طويلا مع الموت ! لقد اشتدت حســاسيتى فى الأيام الأخيرة · المهم أن نسرع ! (يخرج ســان جوست)

روبســـبيير : (وحده) أجل ! المسيح الملطخ بالدماء · الذى يضحى ولا يضحى به · لقد خلصهم بدمه ، وأنا أخلصهم بدمائهم · جعلهم يذنبون ، وأنا أحمل الذنب على كتفى · أحس بلذة الألم ، وأنا أحس عذاب الجلاد · من منا الذى انكر نفسه اكثر من صاحبه · انا أم هو ؟ - ومع

---

(٥٧) اشارة الى المزورين الأربعة شابو بازير ، دى لونى وفابر دجلانتين الذين زوروا مرسوما يأخذون بمقتضاه مبالغ رشوة كبيرة عند تصفية شركة الهند الشرقية ·

(٥٨) هم الاجانب المعتقلون فى فرنسا وقد حوكموا مع دانتون واتباعه ·

ذلك ففى الفكرة نفسها نصيب من الحمق ·
ـ لماذا نتطلع جميعا اليه وحده ؟ حقا ان ابن الانسان يصلب فينا جميعا · كلنا يصارع فى بستان جتسمان(٥٩) فى عرقنا الذى يقطر دما ، ولكن لا أحد يخلص الآخر بجراحه · ياحبيبى كاميل ! ـ انهم جميعا يتركوننى ـ كل شىء حولى وحشة وخراب ـ اننى وحيد ·

---

(٥٩) بستان يقال ان صلب السيد المسيح تم فيه ·

الفصـــل الثـــانى

حجـــــرة

دانتون ـ لاكروا ـ فيليبو ـ بارى ـ كاميل ـ دى مولان

كاميـــــــــل : اسرع يا دانتون • ليس لدينا وقت نضيعه •

دانتـــــــون : (يرتدى ملابسه) ولكن الوقت يضيعنا • ـ هذا شيء ممـــل الى اقصـــى حد ، أن نبدأ بالقميص ثم نلبس السروال فوقه ونتسلل الى الفراش بالليل ونتسلل منه فى الصباح ونقدم رجلا على الأخرى ، فلا يدرى الانسان كيف يمكن أن يتغير هذا كله ، هذا شيء محزن الى اقصى حد ، ويزيد من حزنه أن الملايين من الناس قد فعلوه من قبل ، وأن الملايين سيفعلونه فى المستقبل ، واننا بالاضافة الى ذلك نتكون من نصـــفين يقـــومان بنفس الشيء بحيث يتضاعف كل فعل ـ انه شيء محزن حقا •

كاميـــــــــل انت تتكلم كالأطفال تماما •

دانتـــــــــون : المشـــــرفون على الموت يكونون فى الغالب كالأطفال ·

لاكـــــــــروا : انك بترددك هذا تلقى بنفسك الى الهلاك وتشد كل اصدقائك معك · أبلغ الجبناء أن الوقت قد حان لكى يتجمعوا حولك ، ناد على سكان الوادى والجبل ! أطلق صـــيحتك عن طغيان الديســـمفير(١) ، تكلم عن الخناجر ، خاطب بروتوس ، وســـوف تزلزل المنابر من الرعب وتجمع حولك حتى أولئك الذين يهددونهم بأنهم مشـــتركون مع هيبير فى الجريمة ! يجب أن تطلق العنان لغضـــبك · لا تتركنا على الأقل نموت منزوعى السلاح مهانين كما مات المخزى هيبير !

دانتــــــــون : ان ذاكرتك ضعيفة · لقد ســـميتنى القديس الميت · وكنت صادقا أكثر مما تظن انت نفسك ·· لقد كنت فى زيارة الاقسام ، كانت تبدو عليهم الهيبة والوقار ، ولكن كما تبدو على أهل الميت · اننى بقية عظام ، وبقايا العظام يلقى بها فى الطريق · كان معك الحق ·

لاكـــــــــروا : لماذا تركت الأمور تصل الى هذا الحد ؟

دانتــــــــون : الى هذا الحد ؟ حقا ·· لقد أحسست بالملل من أن أتمشى دائما فى نفس الثوب وأضع على وجهى نفس التجاعيد! هذا شىء يثير الشفقة ·

---

(١) ذى الرجال العشرة ، وقد مر ذكرهم ··

أن تكون آلة بائسة ، يردد الوتر المشدود فوقها نفس النغمة ! ـ انه شيء لايحتمل اردت أن أيسر الأمر على نفسي • وقد وصلت الى هذا، ان الثورة تحيلني على المعاش ، ولكن على غير ما كنت أتصور • ومع ذلك ، فعلام أستند ؟ ان عاهراتنا يســــتطعن أن يؤدين العمل الذى تقوم به الاخوات المتبتلات بجانب المقصلة ، ولست أعرف شيئا غير هذا • كل شيء يمكن أن يعد الآن على الأصابع : لقد أعلن اليعاقبة أن الفضـــيلة اصبحت فى جدول الأعمال ، واتبــــاع كور ديلييه يلقبوننى جلاد هيبير ، والمستشار(٢) يكفر عن ذنبه ، والجمعية ـ ربما استطعنا أن نلجأ اليها ! ولكن سيأتى يوم مثل ٣١ مايو وحينئذ لن يرضوا بالتراجع • ان روبسبيير هو عقيدة الثورة ، ولا يجوز أن تمحى لا يصح أيضا أن يحدث هذا • اننا لم نصـــــــنع الثورة ، ولكن الثورة هى التى صنعتنا •

وحتى اذا تم ذلك ـ اننى أفضل ان تقطع رأسى على أن أتسبب فى قطع الرؤوس • لقد سئمت • ما الذى يدعونا نحن البشر الى ان نتصارع ؟ خير لنا أن نجلس بجانب بعضنا البعض وننعم بالهدوء • ان هناك غلطة ارتكبت

---

(٢) المقصود به شوميت ، زعيم المجلس القومى (الكومونه) وقد كان متفقا مع سياسة هيبير واتباعه ، ولكنه عارض التمرد الذى دبروه •

عندما خلقنا ، هناك شيء ينقصنا لا ادرى كيف اسميه ولكننا لن نستطيع أن ننتزعه من احشائنا ، فلماذا نحاول ان نشق اجسامنا ؟ اذهبوا ! اننا كيماويون تعساء(٣) !

كاميل : وبصورة عاطفية اكثر حدة يمكن ان نسال : الى متى تظل البشرية على جوعها الأبدى تفترس اعضاءها ؟ او الى متى نظل نحن الذين تحطمت سفينتهم عطاشا نمتص دماء بعضنا بغير ان نرتوى ؟ أو الى متى نظل ، نحن أصحاب الجبر(٤) نبحث فى اللحم البشرى عن « س » المجهولة الممتنعة ابدا ونكتب مسائلنا باعضاء ممزقة ؟

دانتون : أنت صدى قوى ..

كاميل : اليس كذلك ؟ ان طلقة المسدس تدوى كقصف الرعد . وهذا من مصلحتك . عليك أن تحتفظ بى دائما الى جوارك .

فيليبو : وهل تبقى فرنسا فى أيدى الجلادين ؟

دانتون : وما الضرر ؟ ان الناس مستريحون لهذا . انهم أشقياء الحظ ، وهل يطلب المرء اكثر من هذا لكى يكون عاطفيا ، نبيلا ، فاضلا أو

---

(٣) بالمعنى المعروف عن الكيمياء فى أوائل العصور الوسيطة ، أى السحر الأسود أو فن تحويل المعادن الى ذهب والبحث عن حجر الفلاسفة .. الخ .

(٤) نسبة الى علم الجبر ..

ساخرا ، أو لكي يتخلص تماما من الملل ؟ ـ وسواء بعد ذلك أن يموتوا بالمقصلة أو بالحمى أو بالشيخوخة ! مازال أمامهم أن يختاروا ٠

فهم يدخلون وراء الكواليس يحركون أعضاءهم المرنة ويستطيعون قبل مغادرة المسرح أن يؤدوا حـــركات لطيفة ويســـتمعوا للمتفرجين وهم يصفقون لهم ٠ هذا كله شيء جميل ومناسب

لنا ، فنحن نقف دائما على خشبة المسرح ، وان كنا نطعن في النهاية طعنة جادة ٠ من الخير أن يختصر العمر قليلا، لقد كان الثوب طويلا جدا ، وعجزت أعضاؤنا عن ملئه ٠٠ ستصبح الحياة حكمة موجزة(٥) ، وهذا شيء

لاباس به ، ومن لديه النفس أو الروح الذى يكفي الملحمة من خمسين أو ستين نشيدا ؟ لقد حان الوقت لنكف عن شرب القليل من عصير الروح(٦) من أحواض الغســـيل لنشربه من

كئوس الخمرالمسكرة ، بهذا يمتليء الفم ولولاه لما أمكننا أن نجمع بضـــع قطرات في الاناء الغليظ ٠ واخيرا ـ ليتني أستطيع أن أصرخ ٠ هذا شيء لايستحق كل هذا العناء ٠ والحياة

---

(٥) الكلمة الأصلية هي الابيجرام التى يصـــعب أن نجد لها ترجمة مناسبة فالابيجرام قصيدة قصيرة كان يكتبها اليونان على شواهد القبور ثم تطورت فأصبحت شكلا أدبيا مستقلا ٠

(٦) محاولة لترجمة « الاسنس » وهو خلاصة مشـــروب أو نوع من العطور ٠

لا تستحق الجهد الذى يبذله الانسان فى سبيل المحافظة عليها ٠

بـــــــــارى : اهرب اذن يادانتون !

دانتـــــــــون : هل يأخذ الانسان وطنه معه فى كعب حذائه ؟ واخيرا ـ وهذا هو المهم ، فانهم لن يجرؤوا ٠ (لكاميل) تعـــال يا بنى ، قلت لك انهم لن يجرؤوا ٠٠ الوداع ٠٠ الوداع !

(دانتون وكاميل يخرجان)

فيليبـــــــــو : انه ذاهب الى هناك ٠

لاكـــــــــروا : ولا يؤمن بكلمة واحدة مما قاله ٠ ياللكسل ! انه يفضل أن تقطع راسه على أن يلقى خطبة ٠

بـــــــــارى : والعمـــل ؟

لاكـــــــــروا : نذهب الى بيوتنا وندرس قضية محترمة مثلما فعل لوكرتسيا ٠

* * *

« نزهـــة »

رجـــال ونســـاء فى نزهة

مـــــــواطن : حبيبتى جاكلين ـ أردت أن أقول كورن ٠٠٠٠ أردت كور ٠٠٠

سـيمون : كورنيليا يامواطن ·· كورنيليا ·

المـواطن : حبيبتى كورنيليا فرحت قلبى بمولود صغير ··

سـيمون : أهدت الجمهورية ولدا ·

المـواطن : الجمهورية ؟ ولكن هذا تعبير عام جدا · ربما أمكننا أن نقول ··

سـيمون : بالضبط ، يجب أن يهب الفرد نفسه للمجموع ·

المـواطن : آه ! نعم ! هذا ما تقوله زوجتى ايضا ··

مغن متجـول : (يغنى) خبرونى ·· خبرونى ··

ما الذى يلقى الرجال

من نعيم أو هناء ؟

المـواطن : الاسم هو الذى يحيرنى الآن ·

سـيمون : عمده على بيكى أو مارا !

المغنى المتجـول : من صباح لمساء

بين هم وعنـاء

وعذاب وشـقاء

المـواطن : أفضل أن تكون ثلاثة أسـماء ان العدد ثلاثة له دائما جاذبية خاصة · ثم اريد أن يكون الاسم شيئا نافعا وصحيحا · الآن وصلت اليه: فلوج(٧) ، روبسبيير · والثالث ؟

---

(٧) فلوج (Pflug) هو المحراث بالالمانية ، اما (Pike) فهى نوع من الحراب الطويلة كان يستخدمه المشاة فى أواخر العصور الوسطى ، ولعل المقصود بهذه الأسماء هو معانيها قبل حروفها ·

سـيمون : بيكى ٠٠

المـواطن : اشكرك ياجارى ، بيكى ، فلوج ، روبسبيير
كلها أسماء لطيفة ، حلوة على اللسان ٠

سـيمون : اسـمع كلامى ٠٠ ان ثدى زوجتك كورنيليا
سيكون كضرع الذئبة الرومانية ٠٠ لا ، ليس
هذا ما اريده : روسولوس(٨) كان طاغية ، لا
ولا هذا ايضا ٠ (يسيران)

شـحاذ : (يغنى) دى دنيا غرورة ، ودنيا زوال ٠٠

الهى ما تحتاج لذل السؤال ٠٠

يا أهل المروءة ، يا أهل الثواب ٠٠

ما باقى من الدنيا غير التراب ٠٠

السـيد الأول : أنت ياجدع ! اشتغل ! الشبع ظاهر عليك !

السـيد الثانى : خذ ! (يعطيه قطعة نقود) يده ناعمة كالقطيفة
شىء مخجل !

الشـحاذ : سيدى ! لماذا اشتغلت ؟

السـيد الثانى : يا أحمق ! لأشترى الثوب الذى على ٠

---

(٨) يقال انه هو الذى أسس روما مع شقيقه التوام ريموس وكان كذلك أول ملك لها ، كما يروى انه ألقى بهما فى الجبال بعد ولادتهما فأرضعتهما ذئبة ورباهما راع وزوجته ٠

الشحاذ : عذبت نفسك لتحصل على متعة · لأن مثل هذا الثوب متعة ·· يمكن أيضا أن توفرها لك الخرقة البالية ··

السيد الثانى : بالطبع · والا أصبحت الحياة مستحيلة ·

الشحاذ : ليتنى كنت أحمق أن هذا شىء يحقق التوازن ·· الشمس دافئة على الناصية ، والمسألة تتم ببساطة ·

(يغنى)

ما باقى من الدنيا غير التراب

يا أهل المروءة يا أهل الثواب

روزالى : (لاديدلادة) خذى بالك ! العساكر قادمون ! من أمس لم نضع شيئا فى بطوننا ·

الشحاذ : (يغنى) على الأرض بختى وآخر نصيبى

يا أهل المروءة ، يا أهل الثواب !

ياستات هوانم ، يازينة الشباب !

جندى : حاسب عندك ! الى أين يا أولادى ؟ (لروزالى) كم سنك ؟

روزالى : سنى من سن أصبعى الصغير ·

الجندى : لسانك حامى ·

روزالى : وانت كلك صدأ ·

الجندى : اذن أسن نفسى عليك ·

(يغنى) :

ياحلوة ياقمـــورة

قولى لى ياشــطورة

الجـــــرح بيأذيكى

وبتشكى زى زمان ؟

روزالى : (تغنى)

لا ابدا ياحضرات

ياعساكر يا صولات

انا عايزة منه كمان

انا عايزة منه كمان !

(يظهر دانتون وكاميل)

دانتـــــــــون : اليس هذا شيئا ظريفا ؟ ـ اننى أشم شيئا فى الجو ، كان الشمس تفرز الفحشاء والرذيلة ـ الا يود الانسان أن يقفز وينزع ســــرواله عن جسده ويضاجعهم كالكلاب فى الحارة ؟

(يمران)

شــــــــاب : آخ يامدام ! لحن الناقوس ، ضوء المساء على الأشجار ، بريق النجم ..

المــــــــدام : عطر زهرة ! هذه الافراح الطبيعية ، هذه المتعة الخالصة التى توفرها الطبيعة ! (لابنتها)

انظرى ، يا أويجينى ، الفضيلة وحدها هى التى ترى هذا ٠

أويجينى : (تقبل يد أمها) آخ ياماما ! أنا لا أرى غيرك ٠

المـــــــدام : ياطفلتى الطيبة !

الشـــــــاب : (يهمس فى أذن أويجينى) هل ترين السيدة الجميلة التى تمشى هناك مع الرجل العجوز ؟

أويجينى : أنا أعرفها ٠

الشـــــــاب : يقال ان حلاقها قص شـــعرها على طريقة الأطفال ٠

أويجينى : (تضحك) طول لسان !

الشـــــــاب : الرجل العجـــوز يمشى بجوارها ، انه يرى البرعم يتفتح وينزهه فى الشـــمس ويظن أن المطر هو الذى جعله ينمو ٠

أويجينى : قلة أدب ! يكاد وجهى يحمر من الخجل ٠

الشـــــــاب : أما أنا فكان من الممكن أن يصـــفر وجهى ٠

(يخرجان)

دانقـــــــون : (لكاميل) لا تقل أين الجد فى هذا ! اننى لا افهم لماذا لا يقف الناس فى الحارة ويضحكون فى وجوه بعضهم البعض ٠ كان الواجب عليهم أن ينظروا الى النوافذ والقبور ويضحكوا ، وكان على السماء ان تنفجر من الضـــحك وتتمرغ الأرض على بطنها من الضحك ٠

(يخرجان)

السيد الأول : اؤكد لك انه اكتشاف خارق للعادة ! كل الصناعات والفنون سيتغير وجهها قريبا • ان الانسانية تسرع بخطوات جبارة الى مصيرها المجيد •

السيد الثاني : هل رايت المسرحية الجديدة ؟ برج بابل ! خليط من الأقبية والسلالم والأروقة ، وكل هذا يرتفع فى الهواء فى خفة وجسارة • ان الانسان يشعر بالدوار مع كل خطوة • راس عجيب (يقف مرتبكا) •

السيد الأول : ماذا جرى لك ؟

السيد الثاني : آه ! لاشيء ! يدك ياسيدى ! النقرة ـ هكذا ! اشكرك كنت على وشك الوقوع فيها ، كان من الممكن أن يحدث شيء خطير •

السيد الأول : ولكنك لم تكن خائفا ؟

السيد الثاني : نعم ! ان الأرض قشرة رقيقة ، اقول لنفسى دائما انني قد أسقط فيها حيث يكون ثقب كهذا •• يجب أن يطأها بحذر فقد تنزلق قدمه •• ولكن لاتنس أن تذهب الى المسرح • اسمع نصيحتى !

* * *

« حجرة »

دانتون ـ كاميل ـ لوسيل

كاميل : صدقونى انه لم يقدم اليهم كل شيء فى نسخ خشبية ، موزعة بين المسارح وصالات الموسيقى

ومعارض الرسم • لم يستطيعوا ان يروا شيئا أو يسمعوا شيئا • ان صنع احد دمية يظهر الحبل الذى تشد منه وتطقطق مفاصلها مع كل حركة على الوزن اليامبى(٩) قالوا ياللها من شخصية ! ياله من اتقان ! ان اخذ احد احساسا ، أو عبارة ، أو فكرة والبسها سترة وسروالا ، وجعل لها يدين ورجلين ولون وجهه وجعل المخلوق المسكين يتعذب ثلاثة فصول بأكملها حتى يتزوج أو يطلق النار على نفسه فى النهاية صاحوا ياله من مثل اعلى ! ان لحن أحدهم أوبرا تصور كيف ترتفع العواطف وتنخفض فى الوجدان كما تصور الصفارة صوت البلبل هتفوا آخ ! ياللفن ! - اترك الناس تغادر المسرح الى الحارة : ياللواقع المحزن ! - ان الفنان الردىء ينسيهم الفنان الأكبر ، فهم لايسمعون ولا يرون شيئا من الخليقة التى تتوهج وتفور وتضىء فيهم وحولهم ، وتخلق نفسها فى كل لحظة خلقا جديدا ، انهم يذهبون الى المسرح ويقرءون الأشعار والروايات ، ويقلدون المسخ التى يجدونها فيها ويقولون لمخلوقات الله : كم هى

---

(٩) أحد بحور الشعر يتألف من أربع تفعيلات قوامها مقطع قصير يتبعه مقطع طويل و من مقطع مشدد النطق يتبعه مقطع غير مشدد •

عادية !ـ لقد فهم الاغريق ما كانوا يقولون حين رووا أن تمثال بيجماليون دبت فيه الحياة حقا ولكنه لم ينجب أطفال ٠

دانتـــــــون : والفنانون يعاملون الطبيعة معـاملة دافيد(١٠) الذى راح فى برود يرسم قتلى سبتمبر عندما القوا بهم من مغارة « الفوربى » الى الشارع ويقول : اننى أسجل آخر اختلاجات الحياة فى هؤلاء الأشرار ٠

(دانتون يستدعى الى الخارج)

كاميـــــــل : ماذا تقولين يالوسيل ؟

لوســــــيل : لاشىء ٠ أحب أن انظر اليك وانت تتكلم ٠

كاميـــــــل : هل تسمعيننى ايضا ؟

لوســــــيل : بالطبع !

كاميـــــــل : هل أنا على حق ؟ أتعرفين ماذا قلت ؟

لوســــــيل : فى الحقيقة لا ٠ (دانتون يعود)

كاميـــــــل : ماذا بك ؟

دانتـــــــون : قررت لجنة الاصلاح القبض على ٠ لقد حذرونى وعرضوا على مكانا ألجأ اليه ٠ انهم يريدون رأسى ، كما يحبون ٠ لقد سئمت الكســـل

---

(١٠) هو الرسام الشهير جاك لوى دافيد (١٧٤٨ ـ ١٨٢٥) وقد كان من انصار روبسبيير ٠ ولد فى باريس ومات فى المنفى فى بروكسل ٠

والاهمال · فليأخذوه اذا شاءوا · وما اهمية هذا ؟ ساعرف كيف أموت بشجاعة ، هذا أسهل من الحياة التى أعيشها ·

كاميـــــل : دانتون · مازال الوقت أمامك !

دانتـــــون : مستحيل ·· ولكننى لم اكن اتصور ··

كاميـــــل : كســلك !

دانتـــــون : لست كسولا ، بل متعب ، ان قدمى ملتهبتان ·

كاميـــــل : الى أين ؟

دانتـــــون : نعم ، ومن يدرى ؟!

كاميـــــل : انا لا أمزح · الى اين ؟

دانتـــــون : اتنزه ياولدى ، اتنزه (ينصرف)

لوســـــيل : آه ! كاميل ·

كاميـــــل : اهدئى ياطفلتى المحبوبة !

لوســـــيل : حين اتصور ان هذه الراس ·· ! كاميل ·· حبيبى ! هذا جنـــون ·· اليس كذلك ؟ انا مجنونة ؟

كاميـــــل : اهدئى · دانتون وانا لسنا شخصا واحدا ·

لوســـــيل : الأرض واسعة ، وعليها اشياء كثيرة ـ لماذا اذن هذا الشىء بالذات ؟ من يجرؤ على اخذه منى ؟ سيكون شـــيئا محزنا · وما الذى سيفعلونه به ؟

كاميـــــــل : اكرر لك ماقلت : يمكنك أن تهدئى · لقد تكلمت امس مع روبســبيير : كان لطيفا معى · ان اعصابنا متوترة بعض الشىء · هذا صحيح · اختلاف فى الرأى · ولاشىء غير هذا ·

لوســــــيل : اذهب اليه !

كاميـــــبـــــل : لقد كنا نجلس على مقعد واحد فى المدرسة · كان دائما متجهما ووحيدا · انا الوحيد الذى كنت أتحدث معه وأضحكه أحيانا · لقد كان دائما يظهر حبه لى · أنا ذاهب ·

لوســــــيل : بهذه السرعة ياصديقى ؟ اذهب ! تعال ! هذه القبلة فقط ! (تقبله) وهذه اذهب ! اذهب ! (ينصرف) هذا زمن شرير · وهكذا الأيام · من الذى يملك تغييرها ؟ لابد من الصبر ·

(تغنى)

أنفترق ؟ ياويلتى ! أنفترق ؟

من الذى أوجد لفظ نفترق ؟

كيف خطر هذا على بالى ؟ كيف عرف الطريق من تلقاء نفسه ؟ لا ليس هذا علامة خير ـ عندما خرج خيل لى أنه لن يعود سيبتعد دائما عنى · دائما ·· كم تبدو الحجـــرة خالية ، النوافذ مفتوحة ، كأن ميتا كان يرقد فيها ·· اننى لا احتمل البقاء هنا · (تنصرف)

« خــــلاء »

دانتـــــــون : لا أريد أن أواصل السير . لا أريد أن أزعج هذا السكون بثرثرة خطاى ولهاث أنفاسى ..

(يجلس . بعد فترة صمت) لقد حكوا لى عن مرض يجعل الانسان يفقد ذاكرته . لابد أن الموت يشبهه فى هذا . ويراودنى الأمل أحيانا أن يكون أقوى أثرا وان يجعل الانسان يفقد كل شىء . لو كان الأمر كذلك ! ـ لجـــريت كمسيحى لأنقذ عدوا ، أعنى لأنقذ ذاكرتى .

لابد أن المكان مأمون ، لذاكرتى لا لى ، القبر أكثر أمانا ، فهو على الأقـــل يمنحنى النسيان . انه يقتل ذاكرتى . ولكن ذاكرتى تحيا هناك وتقتلنى . أنا أوهى ؟ الجـــواب سهل . (يقف ويعود من نفس الطريق) أنا اداعب الموت ، انه شـــعور ممتع أن يغازله الانسان على البعد بمنظار مكبر .. الحقيقة اننى لابد أن أضحك على التاريخ . ان الشعور بالبقاء هو الذى يقول لى : سيكون الغد وبعد الغد الى مالانهاية مثل اليوم . انها ضجة فارغة . يريدون أن يخيفونى ، لن يجرؤوا أبدا ! (يخرج)

* * *

« حجـــــرة »

ـ ليـــــل ـ

دانتـــــــــون : (وهو يطل من النـــافذة) أليس لهذا كله نهاية ؟ ألن ينطفىء النور ويخمد الصوت ؟ ألن ينتشر السكون والظلام حتى لا نسمع أو نرى خطايانا البشعة ـ سبتمبر !

جـــــــــولى : (تنادى من الداخل) دانتون : دانتون !

دانتـــــــــون : هيه ؟

جـــــــــولى : (تدخل) ماهذا الهتاف ؟

دانتـــــــــون : هل هتفت ؟

جـــــــــولى : كنت تتكلم عن الخطايا البشـــعة ، ثم تأوهت وقلت : سبتمبر !

دانتـــــــــون : أنا ؟ أنا ؟ لا · لم أتكلم · لم يخطر هذا على بالى · كانت مجرد أفكار خفية هامسة ·

جـــــــــولى : أنت ترتعش يادانتون !

دانتـــــــــون : كيف لا أرتعش والجـــدران تثرثر هكذا ؟ وجسدى قد تهشم الى حد أن أفكارى تتحدث قلقة حائرة بشفاه الأحجار ؟

جـــــــــولى : جورج ! جورج حبيبى !

دانتـــــــــون : أجل ياجولى · انه شىء غريب · لا أحب أن أفكر بعد الآن ، اذا كانت الأفكار تتكلم بهذه الطريقة · هناك ياجولى أفكار لايجب أن توجد الآذان التى تسمعها · ليس حسنا أن تصرخ عند ولادتها كما تصرخ الأطفال ، ليس حسنا ·

جـــــــــولى : ليحفظ الله عقلك ! ـ جورج ـ جورج ، هل تعرفنى ؟

دانتـــــــــون : ولم لا ؟ أنت انسانة وامرأة وأنت أخيرا زوجتى والأرض فيها خمس قارات أوروبا وآســـــيا وافريقيا وأمريكا واستراليا ، واثنان مضروبين فى اثنين يساوى اربعة · اننى فى تمام عقلى · ارأيت · هل سمعتنى أصرخ : سبتمبر ؟ ألم تقولى شيئا كهذا ؟

جـــــــــولى : نعم يادانتون · ملأت الصرخة الحجرة كلها ·

دانتـــــــــون : عندما اقتربت من النافذة (يطل على الشارع) كانت المدينة هادئة وكل الانوار مطفأة ··

جـــــــــولى : هناك طفل يصرخ بجوارنا ··

دانتـــــــــون : عندما اقتربت من النافذة ـ كانت صــــرخة الاستغاثة تدوى فى كل الحارات : سبتمبر !

جـــــــــولى : كنت تحلم يادانتون · عد الى نفسك !

دانتـــــــــون : احلم ؟ ـ نعم ·· لقد كنت احلم ومع ذلك فقد كان شيئا يختلف عن هذا ·

سأصفه لك حالا ـ رأسى المسكين ضعيف ـ حالا ! نعم · الآن وصلت اليه : كانت الكرة الارضية تلهث تحتى وهى تتذبذب وتهتز ، كنت قد امسكت بزمامها كأنها جواد شرس ، ورحت أغوص بأعضاء ضخمة فى خصلات عرفها وأضغط بكل قوة على ضلوعها

•• كان راسى يتدلى الى أسفل،وشعرى يرفرف فوق الهاوية • وهكذا وجدتنى أجر جرا الى الأعماق • هناك صرخات فى فزع وصحوت من النوم • اتجهت الى النافذة ـ وهناك سمعتها ياجولى •

ماذا تريد هذه الكلمة منى ؟ لماذا تعود هى نفسها ؟ ما شانى بها ؟ لماذا تمد نحوى يديها المخضبتين بالدماء ؟ لست انا الذى اطلقها • ـ آه ! •• ساعدينى ياجولى ! ان حسى قد تبلد ! الم يكن ذلك فى سبتمبر ياجولى ؟

جـــولى : كان الملوك على بعد اربعين ساعة فقط من باريس ••

دانتـــون : وكانت القلاع قد سقطت ، والارستقراطيون فى المدينة ••

جـــولى : كانت الجمهورية قد أوشكت على الضياع ••

دانتـــون : نعم على الضياع •• لم نستطع أن نترك العدو فى ظهورنا ، والا لكانت حماقة منا • كان هناك عدوان يقفان على لوح واحد ، اما نحن أو هم ، والأقوى يطيح بالأضعف اليس هذا عدلا ؟

جـــولى : نعم •• نعم ••

دانتـــون : ضربناهم الضربة القاضية ـ لم يكن ذلك قتلا، بل حربا من الداخل •

جـــــــــولى : لقد أنقذت الوطن ٠

دانتـــــــــون : نعم ، لقد أنقذت الوطن ، كنا فى حالة دفاع عن النفس ٠ كان لابد أن نفعل مافعلناه ٠٠ المخلص على الصليب هون الأمر على نفسه : لابد أن يأتى كدر ، ولكن الويل لمن يتسبب فى الكدر ! ـ لابد ! كل شيء جاء من هذه «اللابد» من يستطيع أن يلعن اليد التى نزلت عليها لعنة « لابد » ؟ من الذى نطق بهذه الكلمة ، من ؟ ما هذا الذى يكذب فينا ، ويفجر ، ويسرق ، ويقتل ؟ ـ نحن دمى ، تشدها قوى مجهولة من السلك المعلقة فيه ٠ لاشيء ٠ لسنا نحن أنفسنا ! فما نحن الا السيوف التى تتصارع بها الأشباح ـ لكن لا احد يرى الأيدى التى تحملها ـ تماما كما يحدث فى الحواديت ـ الآن هدات نفسى ٠

جـــــــــولى : هل هدات تماما ، ياحبيبى ؟

دانتـــــــــون : نعم ياجولى ـ تعالى الى الفراش !

❋ ❋ ❋

شـــــارع امام بيت دانتون

سيمون ـ جنود من المواطنين

ســـــــــيمون : كم تقدم الليل الآن ؟

المـــواطن الأول : ماذا فعل الليل ؟!

سيمون : اقول كم تقدم الليل ؟

المواطن الأول : مسافة ما بين شروق الشمس وغروبها ٠٠

سيمون : يا وغد ! أسالك كم الساعة !

المواطن الأول : انظر الى الميناء ، فهو الوقت الذى يتوقف فيه البندول تحت اللحاف ٠

سيمون : يجب أن نصعد اليه ٠ هيا أيها المواطنون ! لقد تكفلنا لذلك برؤوسنا ٠ حيا أو ميتا ! ان أعضاءه جبارة ٠ سأتقدم أيها المواطنون ٠٠ لنشق للحرية طريقا ٠ اعتنوا بزوجتى ! سأترك لها اكليلا من فروع البلوط ٠

المواطن الأول : اكليل من البلوط ؟ سيسقط كل يوم فى حجرها على كل حال من ثمره مايكفى(١١) ٠

سيمون : الى الامام ، أيها المواطنون ! ستؤدون خدمة جليلة للوطن !

المواطن الثانى : ليت الوطن هو الذى يؤدى لنا خدمة ! من كل الثقوب التى خرمناها فى أجسام الناس ، لم يرتق ثقب واحد فى سراويلنا(١٢) ٠

---

(١١) فى كلمة ثمر البلوط تلاعب لفظى ، ربما تختفى وراءه اشارة جنسية ٠

(١٢) أى أن قطع الرؤوس لم يصلح من حال الشعب ولم يبدد من بؤسه وجوعه ٠

المـواطن الأول : هل تحب أن يستروا ثقوب سروالك ؟ ها ! ها ! ها ! ها !

الآخـــرون : ها ، ها ، ها !

ســـيمون : هيا ! هيا !

(يدخلون بيت دانتون)

(الجمعية الوطنية)

« جمـاعة من الأعضـاء »

ليجنـــدر : الن يتوقف اذن ذبح الأعضاء ؟ من الذى يضمن الآن متى يسقط دانتون ؟

عضـــو : وما العمل ؟

عضـو آخـر : يجب أن يسمع صوته أمام الجمعية · ان نجاح هذه الوسيلة مؤكد ، وما الذى يستطيعون أن يردوا عليه ؟

عضـو آخـر : مستحيل · هناك قرار يمنعنا من ذلك ·

ليجنـــدر : يجب أن يسحب هذا القرار أو يسمح باستثناء خاص · ساقدم طلبا بذلك ، وسـأعتمد على تاييدكم ··

الـــرئيس : فتحت الجلسة ··

ليجنـــدر : (يصـعد على المنصة) لقد القى القبض فى الليلة الماضية على أربعة من أعضاء الجمعية

الوطنية · وقد علمت أن دانتون هو أحد الذين تم القبض عليهم ، اما اسماء بقية الأعضـــاء فلا أعرفها · ليكن هؤلاء الأعضاء من يكونون، فكل ما اطالب به أن تسمع أقوالهم أمام الجمعية ·· أيها المواطنون ، هانذا أعلنها صـــريحة امامكم : اننى أعد دانتون طاهر النفس مثلى تماما ، ولا أظن أن هناك أى مأخذ يمكن أن يوجه الى · لا اريد أن أتهم أحدا من أعضاء لجنة الاصـــلاح أو لجنة الأمن ، ولكن هناك أسبابا تجعلنى أخشى أن يكون الحقد الشخصى والعواطف الشخصية هى التى دفعت البعض الى أن ينتزعوا من الحـــرية رجالا أدوا لها أعظم الخدمات · ان الرجل الذى أنقذ فرنسا فى سنة ١٧٩٢ بعزيمته يستحق أن تسمع أقواله يجب أن يكون من حقه الدفاع عن نفسه اذا اتهمه أحد بالخيانة العظمى · (اضطراب بين الأعضاء) ·

بعض الأصـــوات : نحن نؤيد اقتراح ليجندر ·

أحـــد الأعضـــاء : نحن هنا باسم الشعب ، ولا يستطيع أحد أن يقصينا عن أماكننا الا بارادة ناخبينا ·

عضـــو آخـــر : كلماتكم تفوح منها رائحـــة الجثث ، لقـــد أخذتموها من أفواه الجيرونديين · هل تريدون امتيازات ؟ ان بلطة القانون تحوم فوق كل الرؤوس ·

عضـو آخـر : لايمكننا أن نسمح للجان بأن تنتزع مشرعينا من ملجأ القانون لتبعث بهم الى المقصلة ·

عضـو آخـر : الجريمة لا ملجأ لها · المجرمون المتوجون هم وحدهم الذين يلجئون الى عروشهم ·

عضـو آخـر : الأشـرار وحدهم هم الذين يطالبون بحق الالتجاء ·

عضـو آخـر : والقتلة وحـدهم هم الذين لا يعترفون بهذا الحق ·

روبسـبيير : ان الاضطراب الغريب الذى يسود هذا الجمع من وقت طويل يثبت أن الأمر يتعلق بقضـايا خطيرة · سوف يتقرر اليوم ان كان من حق بعض الرجال ان يفرحوا بالانتصار على الوطن ـ كيف يمكنكم أن تذهبوا فى التنكر لقوانينكم الىحد أن تمنحوا اليوم بعض الأفراد مامنعتموه بالأمس عن شابو وديلوناى وفابر ؟ ما معنى هذه التفرقة لصـالح بعض الرجال ؟ وماذا تعنينى المدائح التى يغدقها البعض على أنفسهم وأصحابهم ؟ ان التجارب الكثيرة التى مرت بنا علمتنا أن نتبين قيمتها على حقيقتها · اننا لا نسأل ان كان الرجل قد قام بهذا العمـل البطولى أو ذاك ، وانما نسـأل عن تاريخه السياسى كله ـ يبدو أن ليجندر لا يعـرف اسماء المعتقلين ، بينما تعرفهم الجمعية كلها ·· ان صـديقه لاكروا واحد منهم · لماذا يتظاهر بأنه لا يعرف هذا ؟ لأنه يعلم تمام

العلم أن الوقاحة وحـــدها هى التى يمكنها الدفاع عن لاكروا • انه لم يذكر الا اســـم دانتون لاعتقـــاده أن هذا الاســـم يرتبط به امتياز معين • لا • نحن لا نريد امتيازات ، نحن لا نريد أصناما ! (تصفيق) ماهو فضل دانتون على لافاييت وديموريبه وبرسو وشابو وهيبير ؟ ماذا يمكن أن يقال عن هؤلاء ولايقال عنه ؟ هل أبقيتم عليهم ؟ ما الذى يميزه عن مواطنيه ؟ الأن بعض المخـدوعين فيه وبعض الذين لم يستطع خداعهم قد اصـــطفوا حوله لكى يلقى بهم فى أحضان السعادة والسلطة ؟ بقدر ما خدع الوطنيين الذين وضـــعوا ثقتهم فيه ، يجب أن يحس بقسوة أصدقاء الحرية •

يريد البعض أن يبث فى قلوبكم الخوف من سوء اســتعمال الســلطة التى مارستموها بأنفسكم • انهم يصرخون من استبداد اللجان، وكأن الثقــة التى أهـــداها الشــعب اليكم ووضعتموها فى هذه اللجان لاتكفى لكى تكون ضمانا أكيدا على وطنيتكم • انهم يصورونكم وكأنكم ترتعشون • ولكننى أقول لكم ان من يرتعش فى هذه اللحظة فهو مذنب ، لأن البراءة لاترتعش أبدا أمام يقظة الشعب (تصفيق عام) لقد أرادوا أيضا أن يرهبونى ، حـــاولوا أن يفهمونى أن الخطـــر الذى يقترب من دانتون يمكن أيضا أن يصـــل الى • لقد كتبوا الى يقولون ان أصدقاء دانتون يحاصروننى ، ظنا

منهم أن ذكريات صـــداقة قديمة أو الايمان الأعمى بالفضــائل الخادعة يمكن ان تجعلنى أخفف من حماسى وعاطفتى للحرية • ولكن هاأنذا أعلنها أمامكم : ليس هناك شيء يمكنه أن يقف فى طريقى ، ولو تعرضت للخطر الذى يتعرض له الآن دانتون • نحن جميعا فى حاجة الى شيء من الشـــجاعة والكبرياء • ان المجرمين والسفلة هم الذين يخافون ان يروا أشباههم يسقطون الى جانبهم ، لأنهم اذا انفض شركاؤهم الذين يتخفون بينهم وجدوا أنفسهم يواجهون نور الحقيقة • واذا كان أمثال هؤلاء موجودين فى هذا الاجتماع ، ففيه كذلك غيرهم من الأبطال • ان عدد الأوغاد ليس كبيرا ، لم يزل أمامنـــا بعض الرؤوس التى يجب أن نقطعها وبذلك ننقذ الوطن • (تصفيق) اننى أطالب برفض اقتراح ليجندر • (يقف الأعضاء جميعا علامة الموافقة) ••

ســان جوســت : يبدو ان فى هذا الجمـــع بعض الآذان التى لا تتحمل ســـماع كلمة « الدم » • ان بعض الخواطر العامة قد تقنعهم باننا لســنا اقسى من الطبيعة ولا أفظع من الزمان • ان الطبيعة تخضع فى هدوء وبغير مقاومة للقوانين التى تتحكم فيها ، وحيثما دخل الانسان فى صراع معهـــا قضى عليه • ان تغييرا يطــرأ على العناصر المكونة للهواء ، أو تأججا فى النار الكامنة فى جوف الأرض ، أو تذبذبا فى توازن

كتلة من المياه ، او وباء او انفجارا بركانيا او فيضانا يمكنها جميعا ان تدفن الوف البشر ·· وماهى النتيجة ؟ تغيير تافه لايكاد يلاحظ فى مجموع الطبيعة الفزيائية ، تغيير كان من الممكن الا يترك وراءه اثرا لو لم توضع الجثث فى طريقها · اننى أسال الآن : هل ينبغى على الطبيعة العاقلة فى ثوراتها ان تعطى للحياة من الاعتبار اكثر مما تفعل الطبيعة الفزيائية ؟ أليس من حق الفكرة كما هو من حق القانون الطبيعى أن تقضى على كل ما يقف فى طريقها؟ الا يجوز لحدث يغير بناء الطبيعة الأخلاقية كله ، أعنى يغير البشرية أن يتم عن طريق الدم؟ ان الروح الكونى يستخدم اذرعنا فى مجال العقل ، بمثل مايستخدم البركان والفيضانات فى مجال الطبيعة · وما أهمية أن يموت الناس بالوباء او يموتوا بالثورة ؟!

ان خطوات البشرية بطيئة جدا ، ولا نستطيع أن نعدها الا بالقرون ، ووراء كل خطوة ترتفع قبور أجيال · ان الوصول الى أبسط الاكتشافات والمبادىء قد كلف الملايين من الناس حياتهم لكى يصلوا اليها · أليس من الطبيعى اذن أن تنقطع أنفاس بعض الناس فى وقت تتحرك فيه عجلة التاريخ بسرعة أكبر ؟ من هذا نستنتج بسرعة وبساطة : ان الجميع ماداموا قد خلقوا فى نفس الظروف ، فهم جميعا متساوون ، ولا

تقلل من ذلك الفروق التي أوجدتها الطبيعة بنفسها . ولذلك فلكل انسان أن يتمتع بفضائل تميزه من غيره ولكن ليس له أن يستأثر بحقوق يحرم منها سواه ، سواء في ذلك الفرد أو الفئة الصغيرة أو الكبيرة من الأفراد - ان كل فقرة من هذه العبارة التي طبقت في الواقع قد قتلت عدداً من الناس وأيام ١٤ يولية و ١٠ اغسطس و٣١ مايو هي علامات التنقيط فيها . لقد احتاجت الى أربع سنوات لكي تنفذ في العالم المادي ، ولو كنا في ظروف عادية لاحتاجت الى قرن من الزمان والى أجيال عديدة لتضع فيها النقط على الحروف . فهل من العجيب اذن أن يلفظ نهر الثورة جثثه عند كل تقاطع أو عند كل منحنى جديد ؟

ان علينا أن نضيف الى عبارتنا بعض النتائج ، فهل تمنعنا من ذلك بضع مئات من الجثث ؟ لقد قاد موسى قومه فشق بهم البحر الأحمر وعبر بهم الصحراء ، حتى قضى على الجيل القديم الفاسد واستطاع أن يقيم الدولة الجديدة . أيها المشرعون ! نحن لا نملك البحر الأحمر ولا الصحراء ولكننا نملك الحرب والمقصلة !

ان الثورة أشبه ببنات بلياس(١٣) . فهي

---

(١٣) ملك تروى عنه الأساطير الاغريقية أن بناته مزقنه اربا وطبخنه بحجة اعادة الشباب اليه ...

تمزق البشرية اربا لكى تعيدها شابة من جديد ·· ان البشرية ستخرج من مرجل الدم كما خرجت الأرض من الطوفان فتبعث بأعضاء قوية شابة ، وكأنها خلقت لأول مرة ·

(تصفيق حاد متصل · بعض الأعضاء يأخذهم الحماس فيقفون)

اننا نطلب من كل اعداء الطغيان المنتشرين فى أوروبا وعلى سطح الأرض كلها ، أولئك الذين يخفون خنجر بروتوس تحت ثيابهم ، نطلب منهم أن يشاركونا فى هذه اللحظة المجيدة ·

(ينشد الأعضاء وجمهور المستمعين النشيد الوطنى الفرنسى « المرسلييز ») ·

الفصـــل الثـــالث

(سجن اللوكسمبورج ـ قاعة بها مساجين)

(شوميت ـ بين ـ مرسييه ـ هيرو دى سيشيل ومساجين آخرون)

شـــــــــوميت : (يشد بين من كمه) اسمع يابين ، قد يكون الأمـــر كما تقول ، فهكذا تسـلط على هذا الاحساس منذ قليل • أشعر اليوم بصداع • ارجوك أن تساعدنى قليلا بحججك المنطقية • اننى أحس بانقباض فظيع •

بـــــــــين : تعال اذن أيها الفيلســوف اناكساجوراس(١) سوف أعلمك على طريقة السؤال والجواب(٢)

---

(١) اشـارة الى أناكســا جوراس (حوالى ٤٢٧ ـ ٤٩٩ ق•م) من كلازومنياى ، فيلسوف وعالم طبيعى اغريقى كان صديقا لبريكليس ، فسر النشوء والفساد بأنهما تركيب وتحلل العناصر الاولية غير المتناهية فى العدد والصغر ، وقال بالعقل (نوس) مبدأ أول للوجود •

(٢) التعبير الأصلى هو « الكاتشية » (Katschismus) وهى نوع من التعليم الدينى على طريقة السؤال والجواب •

ليس هناك اله ، لأنه اما أن يكون الاله قد خلق العالم أولا يكون قد خلقه • فان لم يكن قد خلقه ، فالعالم يحمل علته فى ذاته ، وبذلك لا يكون هناك اله ، لأن الاله لا يكون الها حتى يحمل فى ذاته علة الوجود كله • ولكن لايمكن أن يكون الاله قد خلق العالم ، لأنه اما أن تكون الخليقة أزلية مثل الاله ، واما أن تكون لها بداية • فاذا صح الفرض الأخير فلابد أن يكون الاله قد خلقها فى لحظة زمنية محددة • يتحتم اذن أن يكون الاله قد أصبح فى وقت من الأوقات فعالا ، بعد أن استراح زمنا يمتد كالأزل أى يتحتم أن يكون قد عانى نوعا من التغيير فى ذاته يسمح بتطبيق فكرة الزمن عليه ، وكلا الأمرين مخالف لماهية الاله •• لا يمكن اذن أن يكون الاله قد خلق العالم •• والا ما كنا نعلم الآن بوضوح تام أن العالم أو أن ذاتنا على الأقل موجودة ، وأنها بحسب ما تقدم لابد أن تحمل علتها فى ذاتها أو شىء آخر ليس هو الاله ، فلا يمكن تبعا لذلك أن يكون هناك اله • وهو ما أردنا اثباته(٣) •

شـــــوميت : صدقت • ان هذا يضىء لى الطريق من جديد أشكرك • أشكرك !

---

(٣) هذه العبارة مكتوبة فى الأصل باللاتينية
(Quod erat demonstrandum.)

فرســـــــــيبه : مهلا يا بين ! ولكن ماقولك اذا كانت الخليقة ازلية ؟

بـــــــــين : عندئذ لاتكون خليقة ، عندئذ تكون هى والاله شيئا واحدا أو تكون صفة من صفاته كما يقول اســبينوزا ، بذلك يكون الاله قد حل فى كل شىء ، فيك ، أيها المحترم ، وفى الفيلسـوف انكساجوراس وفى • لو حدث هذا فلن يكون الأمر سيئا كما تتصور ، ولكن لابد أن تعترف بانه لا يشرف الجلالة السماوية أن يحس الاله فى كل واحد منا بالم فى الاسنان أو يصاب بمرض تناسلى ، أو يدفن حيا أو يتخيل على الأقل أفظع التصورات عنها •

مرســـــــــيبه : ولكن لابد مع ذلك أن تكون هناك علة •

بـــــــــين : ومن الذى ينكر هذا ؟ ولكن من الذى يقول لك ان هذه العلة هى ما نتصور انه هو الاله أى ما نتصور أنه الموجود الكامل ؟ هل تعتقد ان العالم كامل ؟ •

مرســـــــــيبه : لا •

بـــــــــين : كيف تريد اذن أن تستدل من المعلول الناقص على وجود العلة الكاملة ـ ان فولتير لم يجسر على افساد الأمر بينه وبين الاله ولا بينه وبين الملوك ، ولذلك فقد فعلها • أن من لا يملك غير العقل ومع ذلك لا يعرف أو لا يجد الشجاعة التى تجعله يستخدمه اســتخداما منطقيا فهو غشاش ومضلل •

موسيييه : أريد أن أسال سؤالا غير هذا : هل يمكن أن يكون للعلة الكاملة معلول كامل ؟ أعنى هل يمكن لموجود كامل أن يخلق موجودا كاملا ؟ أليس هذا مستحيلا ، لأن المخلوق لا يمكن أن يحمل علته فى ذاته ، وهو الأمر الذى يدل على الكمال كما قلت ؟

شوميت : اسكت ! اسكت !

بين : هدىء نفسك يافيلسوف ! ـ ان الحق معك ، ولكن اذا كان من الضرورى أن يخلق الاله وإذا لم يكن فى استطاعته أن يخلق غير الموجودات الناقصة ، فأولى به أن يترك كل شىء على ماهو عليه • أليس طبعا بشريا خالصا الا نستطيع تصور الاله الا من جهة الخلق ؟ • الاننا ننفعل دائما ونهذى لكى نقول لأنفسنا نحن موجودون يتحتم علينا أيضا أن نلصق هذه الحاجة التعيسة بالاله ؟ ـ هل يتحتم علينا ، حين تستغرق روحنا فى حقيقة كائن سعيد أزلى مكتف بنفسه ومنسجم مع نفسه أن تفترض دائما أنه لابد أن يمد أصبعه ويجبل من العجين بشرا صغارا ؟ عن حاجة مفرطة الى الحب ،كما نتهامس بذلك فى آذان بعضنا البعض ؟ هل من الضرورى أن نفعل هذا كله لمجرد أن نجعل من أنفسنا أبناء للآلهة ؟ اننى أفضل أن أقنع باله أضعف شأنا ، فأنا على أقل تقدير لن أستطيع أن أقول عنه أنه قد أنشأنى فى حظائر الخنازير أو بين عبيد الحرب المقيدين

على أسطح السفن القديمة · تخلصوا من كل الموجودات الناقصة ، وعندئذ تستطيعون أن تثبتوا وجود الاله ، لقد حاول اسبينوزا ذلك ·

قد يستطيع الانسان آن ينكر وجود الشر ، ولكنه لن يستطيع أن ينكر وجود الألم ، العقل وحده يمكنه أن يبرهن على وجود الاله ، اما الشعور فيحتج عليه · انتبه يا انكساجوراس : لماذا أتعذب ؟ ان هذه هى صخرة الالحاد ·

ان أقل رعشة ألم ، ولو كانت فى ذرة ضئيلة تحدث صدعا فى الخليقة من اعلاها الى اسفلها ·

مرسييه : والأخلاق ؟

بين : انكم تبدءون باثبات وجود الاله عن طريق الأخلاق ، ثم تثبتون وجود الأخلاق عن طريق الاله ـ فماذا تريدون اذن باخلاقكم هذه ؟ انا لا اعرف ان كان هناك شر أو خير فى ذاته ، ولا اجد لذلك داعيا لتغيير سلوكى · اننى اتصرف بما يوافق طبيعتى ، فكل مايتلاءم معها فهو عندى خير وانا افعله ، وكل ما يتعارض معها فهو عندى شر ولا اقربه بل ادفعه عن نفسى اذا وقف عقبة فى طريقى · انك تستطيع، كما يقولون ، أن تظل على اخلاقك الفاضلة وأن تدافع عن نفسك ضد الرذيلة ، بغير أن يلزمك ذلك باحتقار خصومك وهو كما تعلم احساس مؤسف ·

شـــــــوميت : صادق ، عين الصدق !

هــــــــيرو : ونســـتطيع ايضـــا ، يا ايها الفيلســـوف انكساجوراس ، ان نقول : لأجل أن يكون الاله كل شيء فلابد كذلك ان يكون الضد من ذاته ، اى ان يكون كاملا وناقصا ، وخيرا وشريرا ، وسعيدا وشقيا ، وســتكون النتيجة بالطبع مساوية للصفر ، وسيلغى نفســه بنفســه ، وســنصل فى النهاية الى العدم • ـ افرح يا انكســاجوراس ، فســوف تنجو بنفسك ! انك تستطيع وأنت مطمئن أن تتعبد فى مدام مومورو[4] أنفس تحفة اخرجتها الطبيعة ، فهى على اقل تقــدير قد تركت اكاليل الورد التى تثبت ذلك فى جنبيك[5] •

شـــــــوميت : اشكركم من صميم قلبى ، ياسادتى ! (يخرج)

بــــــــين : انه لم يطمئن بعد ، سيطلب فى النهاية حسن الختام فيلتمس البركة من الكنيســـة ، ويمد قدميه ناحية القبلة ، ويطاهر نفسه ، لكى لايفوته طريق واحد •

(يدخل الحراس دانتون ، ولاكروا ، وكاميل وفيليبو)

---

(٤) هى زوجة الطباع مومورو الذى أعدم مع هيبير ، وكانت فاتنة الجمال الى حد أن شوميت صورها فى كتابه « عبد العقل » واحدة من ربات الجمال •

(٥) المقصود هو القروح التى تتركها الأمراض التناسلية فى هذا الموضع من الجسم •

هـــــــــيرو : (يندفع الى دانتون ويعانقه) صباح الخير !
لا بل يجب أن أقول مساء الخير لا أستطيع أن
أسالك كيف نمت ـ كيف ستنام ؟

دانتـــــــــون : حسن • يجب على الانســــان أن يذهب الى
الفراش وهو يبتسم ••

مرســـــــــــييه : (لبين) هذه الكلمة التى تحمل أجنحة الحمام!
انه روح الثورة الشرير • لقد تجرأ على أمه .
ولكنها كانت أقوى منه •

بـــــــــــين : أن حياته وموته كلاهما نكبة فظيعة •

لاكـــــــــــروا : (لدانتون) لم أتصـــور انك ســتأتى بهذه
السرعة •

دانتـــــــــون : كنت أعلم ، وقد حذرونى •

لاكـــــــــــروا : ولم تقل شيئا •

دانتـــــــــون : عن أى شيء ؟ ان موت الفجاة هو افضــل
أنواع الموت • هل كنت تريد أن تمرض قبله ؟
ثم اننى ـ لم أتصور أنهم يمكن أن يجرؤوا على
ذلك • (لهيرو) الأفضل ان يرقد الانسان فى
جوف الأرض على أن يمشى فوقهــا بقدمين
متورمتين ، وأنا أحب أن تكون الأرض مخدتى
على أن تكون الكرسى الذى أجلس عليه •

هـــــــــيرو : على الأقل لن تداعب خدى الســيدة الجميلة
التى يسمونها « الفساد » بأصابع مشققة •

كاميـــــــــــل : (لدانتون) لا تتعب نفسك ! تستطيع أن تخرج
لسانك الى أقصى مسافة تشاء ، فلن يمكنك أن

تلعق عرق الموت الذى يتصبب على جبينك ..
آه يالوسيل ! هذه تعاسة فظيعة !

دانتــــــــون : (لبين) ان ما قدمته لخير بلدك ، قد حاولت انا أيضا أن اقدمه لبلدى . كنت اقل منك حظا . وهاهم يرسلوننى الى المقصـــلة ، ليفعلوا ما يشاءون ، فلن اتعثر .

مرســــــــيه : (لدانتون) ان دم الاثنين والعشرين يغرقك .

ســــــــجين : (لهيرو) ان قوة الشــعب وقوة العقل شىء واحد .

ســجين آخـــر : (لكاميل) والآن ، يامدعى الشنق العام ، ان اصلاحك للاضاءة فى الشوارع لم يزد الأمور وضوحا فى فرنسا(٦) .

ســجين آخـــر : دعوه ! فهاتان هما الشفتان اللتان نطقتا بكلمة « الرأفة » (يعانق كاميل ، ويتبعه فى ذلك عدد كبير من المساجين)

فيليبــــــــو : نحن كهنة صلينا مع أموات ، لقد أصـــابتنا العدوى وها نحن نموت بنفس الوباء .

بعض الأصــوات : ان الضربة التى تصيبكم ستقتلنا جميعا .

كاميـــــــــل : سادتى ! اننى أرثى لجهـــودنا التى لم تؤت ثمرة .

---

(٦) يتلاعب المؤلف هنا بالكلمة التى تدل على المشنقة والمصباح فى آن واحد Lateme كما سبقت الإشارة الى ذلك .

•• الآن أذهب الى المقصلة لأننى نظرت الى مصير بعض الأشقياء فابتلت عيناى بالدموع •

« حجـــــرة »

(فوكييه ـ تانفيـــل ـ هرمـــان)

فوكييــــــــه : هل أعددت كل شيء ؟

هرمـــــــان : سيكون من الصعب تنفيذ خطتنا • لو لم يكن دانتون بينهم لتم الأمر بسهولة •

فوكييــــــــه : يجب أن نبدأ به •

هرمـــــــان : سيبث الرعب فى قلوب الملفين • انه هو خيال الصحراء(٧) الذى يخيف الثورة • هناك وسيلة ولكنها ستكون انتهاكا للشكل القانونى •

فوكييــــــــه : هات ماعندك !

هرمـــــــان : من رأيى الا نختـــار بالقـــرعة ، بل ننتقى المضمونين منهم •

فوكييــــــــه : يجب أن يتم هذا • ـ يجب أن نشـــغل النار المطلوبة على الفور • انهم تسعة عشر وهم خليط ممتـــاز • المزيفون الأربعة ، ثم بعض رجال البنوك والأجانب • ستكون محكمة مثيرة •

---

(٧) أو خيال المآتة (المناطور) •

الشعب دائما فى حاجة الى مثل هذا • ـ علينا اذن بمن يعتمد عليها ! من على سبيل المثال ؟

هرمـــــان : ليروا • انه أصم ولا يسمع لذلك شيئا من كل ما يقوله المتهمون • يستطيع دانتون أن يصرخ أمامه حتى يبح صوته !

فوكييـــــه : عظيم جدا ، ومن غيره ؟

هرمـــــان : فيلات ولوميير • احدهما يجلس دائمـــا فى الخمارة ، والآخر ينام على الدوام ، وكلاهما لا يفتح فمه الا ليقول « مذنب » ! وجيرار يسير على المبدأ القائل بأن من يقدم للمحاكمة لايجوز أن يفلت من العقاب • ورينوادان •

فوكييـــــه : وهذا أيضا ؟ لقد ساعد مرة بعض القسس على الافلات من المقصلة •

هرمـــــان : أطمئن • لقد جاء الى منذ ايام وطـــالب بأن نفصد بعض الدماء من المحكوم عليهم قبـــل تنفيذ الاعدام فيهم، لكى يصابوا قليلا بالضعف والهمود ، انه ســـاخط على موقف العنـــاد والتحدى من جانبهم •

فوكييـــــه : آه ، عظيم جدا • اذن فاســـتطيع الاعتماد عليك ؟

هرمـــــان : اترك لى حرية التصرف !

* * *

(لاكروا ـ دانتون ـ مرسييه وغيرهم من المساجين يقطعون الممر جيئـــة وذهــــابا)

لاكـــــــروا : (لأحد المساجين) ماذا ؟ كل هؤلاء التعساء ، وفى مثل هذا البؤس ؟

الســـــجين : الم تقل لك العربات المسرعة الى المقصلة ان باريس قد أصبحت مجزرة ؟

مرســــــييه : السـت معى يالاكروا ؟ ان المساواة تهز منجلها فوق كل الرؤوس ، وحمم الثورة تســيل ، والمقصلة تنشر مبادىء الجمهورية ! الجمهور يصـــفق ، والرومان يفركون أيديهم ، ولكنهم لايدرون ان كل كلمة من هذه الـــكلمات هى حشرجة ضحية • ابحثوا وراء كلماتكم حيث تجسدت انظروا حولكم ، لقد نطقتم بهذا كله انه محـــاكاة لكلماتكم بالايماءات وتعبيرات الوجوه • هؤلاء التعساء وجلادوهم والمقصلة التى ستقطع رؤوســـهم هم خطبكم التى دبت فيهـــا الحيـــاة • لقد بنيتم نظمكم كما بنى بايزيد(٨) أهرامه من رؤوس الناس •

دانتـــــــون : صدقت ـ ان كل الأعمال فى هذه الأيام تسجل على لحم ابشر • هذه هى لعنة العصر ••

---

(٨) سلطان تركى (١٣٤٧ ـ ١٤٠٣) فتـــح آسيا الصـــغرى وهزم المسيحيين فى نيكوبوليس (١٣٩٦) • أمر بذبح ثلاثة الاف أسير حرب تعبيرا عن سخطه للخسائر التى فقدها فى تلك المعركة •

وسوف يستهلك جسدى أيضا • لقد انقضت سنة على انشاء محكمة الثورة • اننى أرجو من الله والناس أن يغفروا لى ذلك • أردت الا تتكرر حوادث سبتمبر وما جرى فيها من جرائم القتل البشعة ، رجوت أن انقذ الأبرياء، ولكن هذا القتل البطىء بكل اجراءاته الشكلية اكثر بشاعة وهو مثله لايمكن تلافيه • سادتى ، لقد كنت أرجـــو أن اخرجكم جميعاً من هذا المكان •

مرســـــــــيه : آه ! وسنخرج منه حتما •

دانتـــــــــــون : انا الآن معكم • الســـماء وحدها تعلم كيف سينتهى هذا كله •

* * *

محكمة الثـــورة

هرمـــــــــــان : (لدانتون) ما اسمك ، ايها المواطن ؟

دانتـــــــــــون : الثورة تعرف اسمى • عما قريب سيكون سكنى فى بيت العدم واسمى فى بانثيون(٩) التاريخ •

هرمـــــــــــان : دانتون ! المجلس يوجه اليك تهمة التآمر مع

---

(٩) البانثيون : معبد مقام لجميع الالهه ، وبخاصة فى روما القديمة ، وفى باريس معبد تذكارى مشهور بهذا الاسم يضم رفات العظماء والمشاهير •

ميرابو وديمورييه واورليانز والجيرونديين والأجانب وأتباع لويس السابع عشر(١٠) ٠

دانتون : ان صوتي الذى كثيرا ماسمعتموه يدوى دفاعاً عن قضية الشعب سيرد هذا الافتراء بغير عناء٠ ليظهر هؤلاء التعساء الذين يتهمونني ، وسوف الطخهم بالعار ٠ ليحضر اعضاء اللجان الى هنا ، فلن أرد على الأسئلة الا أمامهم ٠ انني في حاجة اليهم كمتهمين وشهود فعليهم ان يظهروا ٠

ومع ذلك ، فماذا يهمني منكم ومن حكمكم؟ لقد سبق أن قلت لكم ان العدم سيكون عما قريب ملجئي ٠ ــ لقد اصبحت الحياة عبئا على ، فلتنزعوها عنى ان شئتم لأنى فى شوق أن انفضها عن نفسى ٠

هرمان : دانتون ٠ ان الجسارة من طبيعة المجرم ، والهدوء من طبع البرىء ٠

دانتون : ان الجسارة الفردية تستحق اللوم بغير شك ، اما تلك الجسارة الوطنية ، التى طالما ابديتها وطالما كافحت بها فى سبيل الحرية ، فهى أرفع الفضائل وأعظمها شأنا ٠ انها جسارتى أنا ،

---

(١٠) هو لويس فيليب امير أورليانز ، وقد أصبح منذ عام ١٧٨٩ عضوا فى الجمعية الوطنية ثم فى المجلس الوطنى تحت اسم فيليب ايجاليتيه (المساواة) ٠ صوت بالموافقة على أعدام لويس السادس عشر ، ثم أتهم فى عام ١٧٩٣ بالسعى الى الملك وأعدم ٠

وهى التى الجأ الآن اليها لصالح الجمهورية ولمواجهة اولئك التعساء الذين يتهموننى ... هل يمكن أن اضبط نفسى ، بينما أراهم يفترون على هذا الافتراء الحقير ؟ لاينبغى ان ينتظر احد من ثائر مثلى دفاعا باردا . ان الرجال من أمثـــالى لايمكن تقديرهم بثمن ، أن روح الحرية تطوف فوق جبينهم .

(عـلامات تصـــفيق وحمـــاس بين جمهور المستمعين) .

انهم يتهموننى باننى تآمـرت مع ميرابو وديمورييه واورليانز ، واننى ركعت عند اقدام المستبدين التعساء . انهم يطالبوننى بأن ارد على العدالة الصارمة المحتومة . انت ياسان جوســـت الحقير ســتكون مسئولا عن هذا التجديف امام الأجيال المقبلة !

هرمـــــــــان : اننى اطالبك بالرد على الأسئلة الموجهة اليك فى هدوء ـ تذكر « مارا » الذى وقف أمام قضاته فى خشوع .

دانتـــــــــون : لقد وضعتم أيديكم على حياتى كلها ، فمن حقها أن تشد عزيمتها وتقف فى وجهكم ، وساعرف كيف أدفن هذه الأيدى تحت ثقل الأعمال التى أديتها . لست فخورا بهذا ـ فالقدر هو الذى يسحبنا من أيدينا ، ولكن أصـــحاب الطبائع الجبارة هم أدواته . لقد أعلنت الحرب على الملكية ونازلتها فى الميـدان . هـــزمتها فى

العاشـر من اغسـطس وقتلتها فى الواحد والعشـرين من يناير والقيت فى وجه الملوك برأس ملك كأنه قفاز المبارزة ·

(تتكرر عـلامات الحمـاس والتأييد بين المستمعين · دانتون يمسك بوثائق الاتهام) ·

كلما ألقيت نظرة على هذه الوثائق المخـزية شعرت بكيانى كله يتزلزل · أين اذن هؤلاء الذين ألحوا على دانتون بالظهور فى ذلك اليوم التاريخى ، اليوم العاشر من اغسطس ؟ أين اذن تلك الصفوة التى استمد منها قوته ؟ ـ فليظهر هؤلاء الذين يتهموننى ! اننى أطلب هذا وأنا فى كامل قواى العقلية · سوف اكشـف الأوغاد السـفلة واقذف بهم فى هاوية العدم التى لن يخرجوا منها رؤوسهم بعد اليوم ·

هرمـــان : (يدق الجرس) الا تسمع الجرس ؟

دانتـــون : ان صوت انسان يدافع عن شرفه وحياته لابد أن يعلو على صوت جرسك · لقد أطعمت شباب الثورة بأجسام الارسـتقراطيين الممزقة · ان صوتى هو الذى صنع الأسلحة للشعب من ذهب الارسـتقراطيين والأغنياء · وصـوتى هو العاصفة التى دفنت اتباع الطغيان تحت عباب البنادق · (تصفيق حاد) ·

هرمـــان : دانتون · لقد أجهدت صوتك · انك فى غاية التأثر والانفعال · سـتختم دفاعك فى المرة

القادمة . انك فى حاجة الى الراحة . رفعت الجلسة .

دانتـــــون : عرفتم الآن من هو دانتون . لن تمر ساعات قليلة حتى ينام فى أحضان المجد .

« اللكسمبورج سـجن »

« ديللون ـ لافلوت ـ حارس »

ديللـــــون : ولد ! ، لاتسلد! نور أنفك فى وجهى هكذا(١١) . ها ! ها ! ها !

لافلـــــوت : اغلق فمك . ان هلالك يرسل الضوء حوله(١٢) ها ! ها ! ها !

الحـــــارس : ها ! ها ! ها ! هل تعتقد ياسيد انك ستستطيع أن تقرأ على ضوئك ؟

(يشير الى ورقة يحملها فى يده)

ديللـــــون : هات !

الحـــــارس : سيدى . ان هلالى قد تسبب فى حدوث الجزر عندى(١٣) .

---

(١١) أى لاتلتصق بى الى هذا الحد ، وفى العبارة اشارة جنسية .

(١٢) أى أن على انفك علامات مرض تناسلى ، والصورة مشتقة من الهلال وحوله الد عب .

(١٣) اى بدد ماله على النساء أو الخمر .

لافلـــــــــوت : يبدو من سراويلك كان الفيضان قد وقع(١٤) ٠

الحـــــــــارس : لا انها تجذب الماء فحسب(١٥) (لديللون) لقد توارت ياسيدى أمام شـــمسكم يجب أن تعطونى شيئا ، حتى تشتعل فيها النار من جـــديد ، اذا كنتم تريدون أن تقرءوا على ضوئها ٠

ديللـــــــــون : هاك ياولد ! وأمسك نفسك ! (يعطيه نقودا فينصرف ـ ديللون يقرأ) أفزع دانتون المحكمة وترنح المحلفون وتذمر المســـتمعون ٠ كان الزحام غير عادى ٠ تدافع الشعب على قصر العدالة ووقف فى صفوف بلغت الى الجسور ٠ حفنة من المال وذراع واحدة ـ هم ! هم ! (يذهب ويجيء ويصـــب فى كأسه بين حين وحين من زجاجة خمر) لو استطعت أن أضع قدمى على أرض الحارة ! لن أتركهم يذبحوننى بهذه الطريقة نعم ! أن أضع قدمى فى الحارة فقط !

لافلــــــــوت : وفى العربات المسرعة الى المقصلة ، فكلاهما واحد ٠

ديللـــــــــون : أهذا هو رأيك ؟ بل ان بينهمـــا بضـــع خطـــوات تكفى لكى تقـــاس بجثث الرجال العشرة(١٦) ٠ لقد آن الأوان أخيرا لكى يرفع الشرفاء رؤوسهم ٠

---

(١٤) اشارة الى الاستثارة الجنسية ٠

(١٥) اشارة أخرى الى مرض تناسلى ٠

(١٦) الديسمفير أو الرجال العشرة ٠

لافلـــــــــوت : (لنفسه) وهذا افضل ، لكى يسهل قطعها ·· استمر ياصديقى العجوز · بضعة كئوس اخرى ويعتدل مزاجى !

ديلـــــــــون : هؤلاء الأوغاد ، الحمقى ، سيقطعون فى النهاية رؤوسهم بأنفسهم ·

(يذرع المكان ذهابا وايابا)

لافلـــــــــوت : (يحدث نفسه على انفراد) يستطيع الانسان ان يحب الحياة حبا مخلصا من جديد ، كأنه طفله عندما وهبه الحياة ·· لا يتكرر كثيرا ان يفجر الانسان مع المصادفة ويصبح ابا لنفسه · الأب والولد فى نفس الوقت ، ياله من أوديب مريح !

ديلـــــــــون : ان الشعب لا يعيش على الجثث ، فلتلقى زوجتا دانتون وكاميل النقود على الناس فذلك افضل من القاء الرؤوس عليهم ·

لافلـــــــــوت : (لنفسه)لن انتزع عينى بعد ذلك من محجريهما فربما احتجت اليهما لكى أبكى على الجنرال ·

ديلـــــــــون : هل وضعوا أيديهم حقا على دانتون ؟ ومن يأمن بعد هذا على نفسه ؟ ان الخوف سيوحد بينهم ·

لافلـــــــــوت : (على انفراد) لقد ضاع وانتهى · وما الضرر فى ان أدوس على جثة لكى أخرج من القبر ؟

ديلـــــــــون : المهم ان أضع على أرض الحارة ! ساجد العدد الكافى من الناس ، جنودا قدامى وجيرونديين،

ونبلاء سابقين ، سنقتحم السجون . لابد من التفاهم مع المساجين .

لافلـــــوت : (لنفسه على انفراد) المسألة تفوح منها طبعا رائحة النذالة . وما الضرر فى هذا ؟ ان لدى الرغبة فى تجربة ذلك ايضا . لقد ظللت حتى الآن ضيق الأفق . سيؤنبنى ضـــميرى وهذا نوع من التغيير . ليس مما يكدر النفس كثيرا ان يشم الانسان رائحة نتانته بنفســـه — لقد سئمت النظر الى المقصـــلة . ومللت كل هذا الانتظار ! جربتها بخيالى عشرين مرة . لم يعد فيها شىء يثير الانتباه . لقد أصـــبحت شيئا حقيرا .

ديلـــــون : يجب أن نرسل ورقة لزوجة دانتون .

لافلـــــوت : (لنفسه على انفراد) ثم اننى — لا أخاف من الموت ، بل من الألم . ربما سببت لى ألما ، ومن الذى يستحق هذا ؟ يقولون انها لا تستغرق الا لحظة واحدة ، ولكن للألم مقياسا زمنيا أدق ، انه يستطيع أن يقســم جزءا على ستين من الثانية .

لا ! ان الألم هو الخطيئة الوحيدة ، والعذاب هو الرذيلة الوحيدة . سأظل محتفظا بفضيلتى

ديلـــــون : اســـمع يالافلوت !! أين ذهب الجوع ؟ معى نقود . يجب أن ننجح . لابد أن نصب الحديد . ان خطتى جاهزة .

لاكلــــــــوت : حالا ! حالا ! اننى أعرف السجان ، وسأتكلم معه • يمكنك أن تعتمد على ، ياجــنرال • ستخرج من هذا الجحر (لنفسه وهو ينصرف) لندخل فى غيره : سأدخل أنا الجحر الأوسع ، أى العالم ، وسيدخل هو الجحر الأضيق ، أى القبر •

* * *

« لجنـــة الاصــــلاح »

« سان جوست ، بارير ، كوللو ديربوا ، بيللو ـ فارين »

بـــــــــارير : ماذا يقول فوكييه فى كتابه ؟

ســـان جوســت : مر الاســـتجواب الثانى • المساجين يطالبون بظهور عدد كبير من أعضــاء الجمعية ولجنة الاصـــلاح ، انهم يهيبون بالشـــعب الامتناع عن الادلاء بأقوالهم • يبدو أن المشـــاعر فى هياج لا يوصـــف • ـ ولقـــد هزأ دانتــون بجوبيتر[17] وراح يهز خصلات شعره •

كوللـــــــــــو : سيسهل هذا على شمشون أن يمسكه منه •

بـــــــــارير : يجب أن نمتنع عن الظهور ، فربما وجـــدت

---

(١٧) اكبر الالهه عند الرومان ، ويقابل زيوس عند الاغريق •

صيادات السمك وجامعو الخرق أن شخصياتنا أضعف مما كانوا يظنون ·

بيللـــــو : ان الشعب يحب بغريزته أن يستذل ويحتقر حتى ولو كان ذلك بالنظـــرات وحدها · مثل هذه الوجوه المتعجرفة تعجبه · ومثل هذه الجباه أسوأ من شــعارات النبلاء ، فاخبث أنواع الارستقراطية التى تحتقر الانسان تلتصق بها· ان كل من تسيئه نظرة فاحصة من أعلى الى أسفل يجب عليه أن يساعد فى تحطيمها ·

بـــــــارير : انه أشبه بسيجفريد ذى القرون ، وقد حصنته دماء المقتولين فى سبتمبر[18] من الجراح · ماذا يقول روبسبيير ؟

ســـان جوســت : انه يتظاهر بأن لديه شيئا يقوله · ـ يجب أن يعلن المحلفون انهم قد اطلعوا على المعلومات الكافية ويجب أن يختموا المناقشات ·

بـــــــارير : مستحيل · لايمكن أن يتم هذا ·

ســـان جوســت : يجب أن نتخلص منهم بأى ثمن ولو اضطررنا أن نخنقهم بأيدينا · تجرءوا ! هذه هى الكلمة التى تعلمناها من دانتـــون ولا يصـــح أن تضيع عبثا · ان الثورة لن تتعثر على جثثهم ، ولكن اذا بقى دانتون حيا فسوف يشدها من ثيابها[19] · وفى هيئته ما يوحى بأنه يستطيع أن يغتصب الحرية اذا شاء ·

---

(١٨) المقصود بهم ضحايا الثورة الذين سقطوا فى سبتمبر ١٧٩٢ ·
(١٩) اى سيوقف تقدمها المحتوم ·

(ينادى على ســان جوسـت • يدخل احد السجانين)

الســـــجان : هناك مساجين فى ســان بيلاجى(٢٠) • فى النزع الأخير ، وهم يطلبون طبيبا •

بيلــــــو : لا ضــرورة لهذا • فهم يخففــون من عبء الجلاد •

الســـــجان : بينهم نساء حوامل •

بيلــــــو : من مصــــلحتهن ، فلن يحتاج اطفالهن الى توابيت •

بـــــارير : ان السل الذى يصيب أحد الارستقراطيين يوفر على محكمة الثورة جلســة • كل دواء يقدم اليهم هو ضربة موجهة الى الثورة •

كوللــــــو : (يتناول ورقة) التماس ، باسم امراة !

بـــــارير : لابد انها واحدة من هؤلاء الذين يحبون أن يخيروا بين خشبة المقصلة وفراش احد اليعاقبة •• انهن يمتن مثل لوكريتسيا(٢١) بعد ضياع شرفهن ، ولكنهن يتأخرن قليلا عن تلك السيدة الرومــانية : فيمتن بعد الولادة أو يمتن بالسرطان او الشيخوخة • ربما لايكون طرد تاركوينيوس من الجمهورية الفاضــلة لاحدى العذارى امرا سخيفا الى هذا الحد •

---

(٢٠) احد السجون فى باريس •

(٢١) راجع الهامش الذى تقدم فى المشهد الثانى من الفصل الأول •

كوللـــــــــو : انها عجوز جدا · المدام تطلب الموت وتحسن التعبير عن نفسها فتقول ان السـجن يخنق أنفاسها مثل غطاء التابوت ، لقد قضت فيه أربعة أسابيع · الجواب سهل (يكتب ثم يقرأ ماكتبه) « أيتها المواطنة · لم يمض عليك من الوقت مايبرر طلبك الموت » ·

(ينصرف السـجان)

بـــــــــارير : أحسنت القول ! ولكن لا يصح ياكوللو أن تبدأ المقصلة فى الضحك ، والا زال خوفهم منها · يجب الا ترفع التكاليف الى هذا الحد · (سان جوست يعود)

ســـان جوســت : تلقيت الآن تقرير اتهـــام · انهم يتآمرون فى السجن · وقد استطاع شاب اسمه لافلوت أن يكشف كل شىء · كان مع ديللون فى نفس الحجرة ، وقد شرب ديللون وبدأ يثرثر ·

بـــــــــارير : سيقطع رقبته بزجاجته · لقد حدث هذا اكثر من مرة ·

ســـان جوســت : دبرت الخطة بحيث توزع زوجتا دانتون وكاميل النقود على الشعب ، ويهرب ديللون من السجن ويحرروا المساجين وينسفوا الجمعية الوطنية ·

بـــــــــارير : هذه حواديت عجائز ·

ســـان جوســت : ولكننا سنعرف كيف نحكى لهم هذه الحواديت ليناموا · ان البلاغ فى يدى · أضف الى ذلك

وقاحة المتهمين ، وتذمر الشـــعب ، وذهول المحلفين ـ ساكتب تقريرا ٠

بـــــــاريير : نعم ياسان جوست : هيا انظم عباراتك الرصينة التى تشبه كل شولة فيها ضربة سيف ، وكل نقطة راسا مفصولا عن جسده !

ســـان جوســت : يجب أن تصدر الجمعية قرارها ، وتواصــل المحكمة نظر القضية ، كما يجب أن يكون من حقها استبعاد كل متهم يهين المحكمة أو يزعجها من الاشتراك فى المناقشة ٠

بـــــــاريير : انت ثورى بفطرتك ، ان ما تقوله يبدو عليه الاعتدال ومع ذلك فسوف يحدث اثره ٠ انك لاتستطيع أن تصـــمت ٠ يجب أن يصـــرخ دانتون ٠

ســـان جوســت : اننى اعتمد على تاييدكم ٠ فى الجمعية قوم مصابون بمرض دانتون وهم خائفون من العلاج المقترح ٠ لقد واتتهم الشــجاعة من جـديد وسوف يصرخون احتجاجا على انتهاك حرمة الشكليات ٠٠

بـــــــاريير : (يقاطعه) سوف اقول لهم : لقد اتهم القنصل الرومانى الذى اكتشف مؤامرة كاتيلينا واعدم المجرمين على الفور بانتهاك حرمة الشكليات فمن هم أولئك الذين وجهوا اليه هذه التهمة ؟

كوللــــــــــو : (يتاثر) اذهب ياسان جوست ! : ان حمم الثورة تسيل وســـوف تخنق الحرية أولئك

الضعفاء الذين حاولوا أن يندسوا فى حضنها الجبار لينجبوا منها • سيظهر لهم جلال الشعب كما ظهر جوبيتر لسـيميلى[٢٢] بين الرعد والبرق ويحولهم الى رماد • اذهب ياسـان جوست ، سوف نساعدك فى القاء الصـاعقة على رؤوس الجبناء •

(يخرج سان جوست)

بـــــاريير : هل سمعت كلمة العلاج ؟ سيجعلون من المقصلة دواء ناجعـا لوباء اللذة • انهم لا يكافحون المعتدلين ، بل يكافحون الرذيلة •

بيلـــــو : طريقنا واحد حتى الآن •

بـــــاريير : ان روبسبيير يريد أن يجعل من الثورة قاعة محاضرات عن الأخلاق ومن المقصـلة منبرا يعظ من فوقه •

بيلـــــو : أو كرسى اعتراف •

كولـــــو : سيكون عليه الا يقف فوقه بل يرقد عليه •

بـــــاريير : سيتم هذا بسهولة • اذا صح أن الاشـرار المزعومين يشنقهم الشرفاء المزعومون فلابد ان يسير العالم على راسه •

كولـــــو : (لباريير) متى ترجع الى كليشى ؟

---

(٢٢) تشكل جوبيتر (أوزيوس عند اليونان) فى صورة سحابة ليعانق ابنة ملك طيبة •

بـــــــــآرير : حين ينقطع الطبيب عن زيارتى ٠

كوللـــــــــــــر : أليس كذلك ؟ هناك علقت نجمة من الشعر يجف نخاعك تحت أشعتها المحرقة(٢٣) ٠

بيللـــــــــــــو : عما قريب ستشده أصابع ديمالى الساحرة من عموده الفقرى وتعلقه على الظهر كأنه خصلة من الشعر(٢٤) ٠

بـــــــــــارير : (يهز كتفيه) صه : لا يجب أن يعلم صاحب الفضيلة(٢٥) عن ذلك شيئا !

بيللـــــــــــــو : انه مأسونى عنين ٠

(يخرج بيللو وكوللو)

بـــــــــــارير : (وحده) هؤلاء الوحوش ! ـ لم يمض عليك فى السجن مايبرر طلبك للموت ! كلمات كان ينبغى أن تجفف اللسان الذى نطق بها ٠ وأنا ؟ عندما اقتحم رجال سبتمبر السجون ، أمسك سجين بسكين ، واندس بين صفوف القتلة ، وطعن بها قسيسا فى صـــدره فأنقذوه ! من يستطيع أن يعترض على هذا ؟ وما الفرق بين أن أندس بين صفوف القتلة ، أو أجلس فى

---

(٢٣) اشارة الى المرض التناسلى او الاثارة الجنسية ٠

(٢٤) اى ستزيد من اثارته الجنسية ٠ والملاحظ ان هذه التعبيرات الغليظة مستمدة من اللغة التى كانت سائدة فى عهد الثورة الفرنسية كما انها غير مقصودة لذاتها بل لتصوير الشخصيات ٠

(٢٥) اى روبسبيير ٠

لجنة الاصلاح ، أو أمسك بسكين المقصلة أو بمطواة ؟ انها نفس الحالة ، ولكن الظـروف هى التى تتعقد بعض الشىء ، وتظل الأوضاع الأســـاسية واحدة لا تتغير ومادام قد اغتال واحدا ، ألم يكن من حقه أيضا أن يغتال اثنين وثلاثة ، وأكثر ، وأين الحد الذى يتوقف عنده؟ وتأتى حبات القمح ! هل تصنع حبتان كومة ، أم ثلاثة أم أربعـة ؟ كم حبة اذن ؟ تعـــال ياضميرى ، تعالى يادجاجتى ، تعالى ، بى ! بى ! بى ! هذا هو علفك !

ومع ذلك ـ فهل كنت سجينا ؟ لقد كنت مشبوها ، وكلاهما فى النهاية سيان كان موتى مؤكدا ! (يخرج)

***

الكونســـــيرى جرى(٢٦)

« لاكروا ـ دانتون ـ فيليو ـ كاميل »

لاكـــــــــروا : أجدت الصراخ يادانتون ، لو أنك ناضلت من قبل من أجل حياتك لتغيرت أحوالنا الآن ألست معى فى هذا ؟ اذن لما اقترب الموت منا بوقاحته

---

(٢٦) سجن مشهور فى باريس أقيم فى بناء قصر العدالة ، كان يوضع فيه المساجين قبل اقتيادهم الى المقصلة .

ولما فاحت رائحته النتنة من رقابنا ولا راح يلح علينا ويزداد على الدوام الحاحا ؟

كاميـــــــــل : ليته اغتصب الواحد منا بالقوة وانتزع فريسته من الأعضاء الدافئة بالصراع والكفاح ! اما أن يلجأ الى كل هذه الشكليات كما يحدث فى زفاف امرأة عجوز ، فتوقع العقود ويستدعى الشهود ، ويقال آمين ويرفع اللحاف وتتسلل العروس العجوز بأعضـــائها البـاردة الى الفراش !

دانتـــــــــون : ليته كان صراعا بالأذرع والاسنان ! اما الآن فاحس كأننى سقطت فى طاحونة ، وأن قوى الطبيعة الباردة تلوث أعضائى ببطء ونظام ! ما أتعس أن يموت الانسان هذه الميتة الآلية !

كاميـــــــــل : ثم يرقد هناك وحيدا ، باردا ، مشـدودا ، يتصاعد حوله بخار الفساد الرطب ـ ربما كان الموت ينتزع الحياة من الأنســجة بالتعذيب البطىء ـ وربما كان الانسان يفسد شـيئا فشيئا وهو يشعر بكل شىء !

فيليبـــــــــو : اهدءوا يا أصدقائى ! نحن كزهرة الخريف التى لا تحمل البذور الا بعد أن ينقضى الشتاء، نحن لا نختلف عن الزهور التى تنقل من مكان الى مكان الا فى اننا ننتن قليلا(٢٧) أيحزنكم هذا الى هذا الحد ؟

---

(٢٧) فى الشتاء تموت الحياة الطبيعية فى أوربا وتذبل • والاشارة هنا الى الثوار الذين لابد لهم ان يموتوا لكى تحيا أفكارهم بين الناس •

دانتــــــــــون : مستقبل مطمئن ! من كومة روث الى كومة قمامة ! اليست هذه هى نظرية الطبقات الالهية من الدرجة الأولى الى الثانية ، ومن الثانية الى الثالثة وهكذا ، لقد سئمت الجلوس على مقاعد التلاميذ ، وتورم فخذاى كالقرد من كثرة ما جلست عليهما ·

فيليبـــــــــــو : ماذا تريد اذن ؟·

دانتــــــــــون : الراحة ·

فيليبـــــــــــو : انها عند الله ·

دانتــــــــــون : بل فى العدم حاول أن تستغرق فى شىء أكثر راحة وهدوءا من العدم ، واذا كانت الراحة القصوى هى الله ، ألا يكون العدم هو الله ؟ ولكننى ملحد · هذه الجملة الملعونة : يستحيل على الشىء أن يصبح عدما ! وانا شىء ، وتلك هى الكارثة ! لقد اتسعت الخليقة الى حد انه لم يبق فيها فراغ ، بل امتــــلأ كل شىء وازدحم · قتل العدم نفســـه والخليقة جرح ونحن قطرات الدم التى تسيل منه · العالم هو القبر الذى نفسد فيه : ـ كل هذا يبدو ككلام المجانين ، ولكن فيه شيئا من الحقيقة ·

كاميــــــــــل : العالم كاليهودى الأبدى والعدم هو الموت ، ولكنه مستحيل · آه لو امتنع الموت ، لو امتنع الموت ، كما تقول الاغنية ·

دانتــــــــــون : نحن جميعا قد دفنا احياء ووضعنا كما يوضع الملوك فى توابيت مثلثة ومربعة ، تحت قبة

السماء ، فى بيوتنا ، فى ستراتنا وقمصاننا ـ ونظل خمســـين عاما بطولها نخدش غطاء التابوت • أجل ! من استطاع أن يؤمن بالفناء فربما أراح نفسه ! ـ لا أمل فى الموت ، فليس الا فسادا أبسط ، أما الحياة فهى فساد أكثر تعقيدا وتنظيمــا • هذا هو الفارق الوحيد بينهما ! غير اننى قد تعودت على هذا النوع من الفساد ، ويعلم الشيطان وحده ماذا سأفعل مع نوع آخر ! آه ياجولى ! ماذا يحدث لى لو ذهبت وحدى! لو تركتنى وحيدا! ولو تحللت تحللا كاملا لأصبحت حفنة من التراب المعذب ولما وجدت كل ذرة من ذراتى الراحة الا لديها • لايمكننى أن أموت ، لا ، لايمكننى أن أموت : عليهم أن ينتزعوا كل قطرة حياة من أعضائى انتزاعا !

❋ ❋ ❋

« حجـــــــرة »

فوكييه ـ آمار ـ فولان

فوكييـــــــــــه : ماعدت أدرى كيف أرد عليهم انهم يطــالبون بتأليف لجنة •

آمـــــــــــار : لقد جمعنا الأوغاد هاك ماتطلبه •
(يناول فوكييه ورقة)

فـــــــولان : سيرضيهم هذا ·

فوكييـــــــــه : حقا ، لقد كنا فى حاجة اليه ·

آمـــــــــار : اجتهد الآن أن تزيح المسألة عنا وعنهم ·

***

« محكمة الثـــورة »

دانتـــــــــون : الجمهورية فى خطر ، ويقول انه ليست لديه تعليمات ! نحن نتجه بندائنا الى الشعب · ان صوتى مازال قادرا على القاء خطب الوداع امام جثث الرجال العشرة · اننى اكرر ماسبق ان قلته : نحن نطالب بلجنة ستكشف عن أسرار هامة · اننى سأعتصم بقلعة العقل ، وسأخرج منها وفى يدى مدفع الحقيقـة · وسـأسحق اعدائى · (علامات تأييد)

(يدخل فوكييه وآمار وفولان)

فوكييـــــــــه : باسم الجمهورية أطالبكم بالهدوء واحـــترام القانون ! لقد قررت الجمعية مايلى :

نظرا لما ظهر فى الســجون من علامات العصيان، ونظرا لما ثبت من أن زوجتى دانتون وكاميل ستقومان بتوزيع النقود على افـــراد الشعب ، وان الجنرال ديللون يدبر الهروب من الســجن وقيادة المتمردين لتحرير المتهمين ،

ونظرا لأن هؤلاء قد حاولوا اثارة الشعب واهانة المحكمة فقد فوضت المحكمة بالاستمرار فى نظر القضية واستبعاد كل متهم لايحترم القوانين الاحترام الواجب ·

دانتون : اننى أسأل الحاضرين : هل أهنا المحكمة أو الشعب أو الجمعية الوطنية ؟

اصوات كثيرة : لا ! لا !

كاميل : السفلة ! يريدون أن يقتلوا زوجتى لوسيل !

دانتون : سيعلم الناس الحقيقة يوما ما · اننى أرى كارثة فظيعة تزحف على فرنسا · هذه هى الدكتاتورية · لقد مزقت قناعها ، وهى الآن تشمخ بجبهتها وتخطو فوق جثثنا (مشيرا الى آمار وفولان) انظروا الى القتلة الجبناء ! انظروا غربان لجنة الاصلاح ! أنا أتهم روبسبيير وسان جوست وجلاديهم بالخيانة العظمى - انهم يريدون أن يغرقوا الجمهورية فى بحر من الدماء · ان الآثار التى تتركها العربات المسرعة الى المقصلة هى الطرق العريضة التى سينفذ منها الأجانب الى قلب الوطن ·

الى متى تظل آثار أقدام الحرية قبورا : انكم تريدون الخبز ، وهم يلقون اليكم بالرؤوس ! انكم تموتون من العطش وهم يطلبون منكم أن تلعقوا الدماء التى تسيل على درجات المقصلة !

(حركة عنيفة بين جمهور الحاضرين ‥
صيحات تأييد)

اصوات كثيرة : عاش دانتون ‥ يسقط الرجال العشرة !!

(الحراس يخرجون المساجين بالقوة)

***

« امام قصر العدالة »

« مجموعة من افراد الشعب »

بعض الأصوات : يسقط العشرة ! يحيا دانتون !

المواطن الأول : حقا ! الرؤوس بدل الخبز ، والدم بدل النبيذ !

بعض النساء : المقصلة طاحونة سيئة وشمشون خباز رديء ·
نريد الخبز ! الخبز !

المواطن الثاني : خبزكم التهمه دانتون · رأسه ستعيد الخبز اليكم جميعا · لقد كان معه الحق ·

المواطن الأول : كان دانتون معنا فى العاشر من اغسطس ، وكان معنا فى سبتمبر · أين كان هؤلاء الذين يتهمونه اليوم ؟

المواطن الثاني : ولافاييت كان معكم فى فرساى وكان مع ذلك خائنا ·

المــواطن الاول : من الذى يقول ان دانتون خائن ؟

المــواطن الثانى : روبسبيير ··

المــواطن الاول : وروبسبيير خائن أيضا !

المــواطن الثانى : من الذى يقول هذا ؟

المــواطن الاول : دانتون ·

المــواطن الثانى : دانتون يرتدى الثياب الجميلة ، يسكن فى بيت جميـــل ، دانتون متزوج من امرأة جميلة · دانتون يستحم فى نبيذ البرجوندر ، ويأكل لحم الغزلان فى أطباق فضية ، واذا سكر نام مع زوجاتكم وبناتكم · كان دانتون فقيرا مثلكم · لقد اشترى له الفيتو(٢٨) كل هذا ، لكى ينقذ تاجه · واهداه أمير أورليانز كل هذا ، لكى يســرق له التاج ، واعطاه الأجنبى كل هذا ، لكى يخونكم جميعا · ماذا يملك روبسبيير ؟ روبسبيير العفيف انكم جميعا تعرفونه ·

الجميــــــــع : يحيا روبسبيير ! يسقط دانتون ! يسقط الخائن!

---

(٢٨) كناية عن الملك الذى كان يملك وحده حق الاعتراض (الفيتو) كما تقدم · وفى العبارة غمز بتآمر دانتون مع الملكيين ·

الفصـــل الرابـــع

حجــــــرة

جـــولى – غـــلام

جـــــــــولى : انتهى كل شىء ٠٠ لقد أرتعشـــوا أمامه ٠٠ سيقتلونه خوفا منه ٠ اذهب ! اعرف اننى رأيته لآخر مرة ٠ قل له اننى لا أستطيع أن أراه وهو فى هذه الحال ٠ (تعطيه خصلة شعر) خذ ٠ اعطه هذه الخصلة وقل له انه لن يذهب وحده الى هناك ٠ هو يفهم ما أريد ٠ ثم عد بسرعة ، لأقرأ نظراته فى عينيك ٠

***

« شـــــارع »

دومـــا – مـــواطن

المـــــــــواطن : كيف يمكن الحكم بالاعدام على كل هذا العدد من الابرياء بعد استجواب كهذا ؟

دومـــــــــــا : هذا فى الواقع شيء غير عادى ، ولكن رجال الثورة لديهم احساس لا يوجد عند غيرهم من الناس ، وهذا الاحساس لا يخدعهم أبدا ٠

المـــــــــــواطن : انه احساس النمر ٠٠ انت متزوج ؟

دومـــــــــــا : ساصبح عما قريب زوجا سابقا ٠

المـــــــــــواطن : اذن فالخبر صحيح ؟

دومـــــــــــا : ستقضى محكمة الثورة بطلاقنا وستفرق المقصلة بيننا على المائدة والفراش ٠

المـــــــــــواطن : أنت متوحش ٠٠

دومـــــــــــا : يا ابله ! هل أنت معجب ببروتوس ؟

المـــــــــــواطن : من كل قلبى ٠

دومـــــــــــا : هل يتحتم أن يكون المرء قنصلا رومانيا وان يغطى راسه بالتوجا(١) لكى يقدم حبيبه ضحية الى الوطن ؟ سوف أمسح عينى بكم بذلتى الرسمية الحمراء ، هذا هو كل الفرق ٠

المـــــــــــواطن : شيء مفزع !

دومـــــــــــا : اذهب انك لا تفهمنى !

(ينصرفان)

---

(١) رداء رومانى قديم ٠ (انظر التعليق السابق فى المشهد الخامس من الفصل الأول) ٠

« فى الكونسييرجرى »

(لاكروا وهيرو راقدين على سرير

دانتون وكاميل على سرير آخر)

لاكــــروا : طالت شعورنا واظافرنا الى حد مخجل .

هـــيرو : احترس قليلا . انك تعطس فى وجهى وتملؤه رملا !

لاكــــروا : وانت ايضا ياعزيزى ، لاتدس على قدمى ، فاصابعى متورمة !

هـــيرو : وانت تعانى كذلك من الحشرات .

لاكــــروا : آه لو استطعت ان اتخلص من الديدان !

هـــيرو : والآن . اتمنى لك نوما هادئا ! ان المكان ضيق وعلينا ان ننظر كيف يتسع لنا . لاتخدشنى باظافرك وانا نائم ! هكذا ! لاتشد الكفن هكذا، فالدنيا برد !

دانتــــون : اجل ياكاميل . غدا نصبح احذية بالية ، يقذفون بها فى حجر الأرض(٢) المتسولة .

كاميــــل : او جلد الثيران الذى تصنع منه الملائكة الشباشب التى تتخبط بها فوق الارض ، كما

---

(٢) لعلها اشارة الى ان الرجال يضنون انفسهم لتنعم النساء ، وهى شكوى ازلية !

يقول افلاطون • آه ياحبيبتى لوسيل ! هذا هو مصيرنا !

دانتــــــــون : اهدأ ياولدى !

كاميــــــــل : وهل اقدر ؟ اتعتقد يادانتون اننى اقدر على هذا ؟ لايمكنهم ان يضعوا ايديهم عليها ! ان نور الجمال الذى يتدفق من جسدها العذب لن ينطفىء • والارض لن تجرؤ ان تطمرها تحت التراب ، بل سوف تجعل من نفسها قبوا يحيط بها ، وبخار القبر سيلمع كالندى على رموشها والبلور سيتالق كالأزهار حول أعضــائها ، والينابيع الصافية ســتهمس فى أذنيها وهى نائمة •

دانتــــــــون : نم ياولدى ! نم !

كاميــــــــل : اسمع يادانتون • من التعاسة أن يفرض علينا الموت • ثم انه لايفيد فى شىء • لازالت لدى الرغبة فى أن أسرق النظرات الأخيرة من عينى الحياة الجميلتين ، أريد أن تظــل عينــاى مفتوحتين ••

دانتــــــــون : ستضطر أن تفتحهما على كل حال فان شمشون لا يغمض عينى أحد • النوم ارحم • نم ياولدى نم !

كاميــــــــل : لوسيل ! قبلاتك تداعب شفتى كالخيال • كل قبلة تصبح حلما تضمه عيناى بشدة •

دانتـــــــــــون : الا تريد الساعة أن تهدأ ؟ ان كل دقة تضيق الجدران على شيئا فشيئا حتى تصبح خانقة كالتابوت · عند ماكنت طفـــلا قرأت حكاية كهذه ، ووقف شعرى كالجبل ، نعم ! عندما كنت طفلا ! اكان شيئا يســـتحق العناء ان اتغذى واكبر واتدفا ·· كل هذا الجهد من اجل حفار القبور !! يخيل لى الآن كاننى اشم رائحتى · ياجسدى العزيز ! اريد أن اســد انفى واتصورك امراة رقصت كثيرا فتصبب منها العرق وصعدت رائحتها الكريهة ، وأريد ان اداعبك واهمس لك باشــياء عجيبة · كم تعودنا ان نقضى الوقت معا ونتسلى اكثر مما نفعل الآن · غدا ســتكون كمانا مكسورا ، ماتت الألحـــان عليه · غدا ستصبح زجاجة فارغة نفد مافيها من نبيذ غير اننى لم اســـكر منه ، وسأذهب الى فراشى وأنا يقظ الحواس – ما أسعد الذين لايزال فى قدرتهم ان ينتشوا بالخمر ! غدا ستكون سروالا باليا · يلقى به فى دولاب الملابس ، وتفترسك العثة ، وتنتن رائحتك كما تشاء !

آه ! كل هذا لاتنفع منه ! اجل ! من التعاسة ان يفرض الموت على الانسان · الموت · يهزأ بالميـــلاد · وعندما نموت نعود عرايا عاجزين كالولدان الصغار · صحيح انهم يلفوننا فى

الكفن • ولكن ما الفائدة ؟ ربما نتأوه في اللحد كما تأوهنا في المهد •

كاميـــــــل : لقد نام (وهو ينحنى عليه) الحـلم يداعب اجفانه • لا • لا أريد أن امسح حبات الندى الذهبية عن عينيه • (ينهض واقفا ويتجه الى النافذة) لن اذهب وحدي • اشكرك ياجولى ! ومع ذلك فقد كنت افضل أن أموت ميتة اخرى بلا جهد أو عناء ، كما يسقط النجم ، أو يخمد نغم أو يقتل انسان نفسه من القبل ، يدفن شعاع نفسه في المياه الصافية النجوم منثورة في الليل كأنها دموع متألقة ، لابد أن تكون العين التى تترقرق منها حزينة حزنا لا يوصف ••

كاميـــــــل : آه ! (يقف في فراشه ويتلمس السقف) ••

دانتـــــون : ماذا بك ياكاميل ؟

كاميـــــــل : آه ! آه !

دانتـــــون : (يهزه بشدة) أتريد أن تسقط السقف علينا ؟

كاميـــــــل : آه ! انت ! أنت ! امسكنى ! تكلم !

دانتـــــون : كل أعضـــائك تهتز •• العرق يتصـــب على جبينك •

كاميـــــــل : هذا أنت •• وهذا انا •• هذه يدى ! نعم نعم ! الآن تذكرت •• آه يا دانتون ! لقد كان شيئا مفزعا ••

دانتـــــون : وما هو اذن ؟

كاميــــــــــل : كنت أرقد بين الحــــلم واليقظة ٠٠ اختفى السقف ، وتدلى القمر ، وأقترب منى حتى أمسكت يدى به ٠ هبط سقف الســـماء بكل أضوائه ، اصطدمت به ، تحسست النجوم ، تخبطت كالغريق تحت السقف الثلجى ٠٠ كان شيئا مفزعا يادانتون !

دانتــــــــــون : ان المصباح يلقى ضوءه الدائرى على السقف ربما كان هذا هو الذى رأيته ٠

كاميــــــــــل : ليكن مايكون ! ان أهون شىء يمكن أن يفقدنا القليل من العقل الذى بقى لنا ٠ لقد شــدنى الجنون من شعرى ٠ (يقف) لا أريد أن أنام ٠ لا أريد أن أجن ٠

(يمد يده الى كتاب)

دانتــــــــــون : ما هذا ؟

كاميــــــــــل : خواطر الليل ٠

دانتــــــــــون : أتريد أن تموت قبل الموت ؟ أما أنا فسأقرأ فى العذراء الطاهرة(٣) لا أريد أن أغادر الحياة كما لو كنت أتسلل من كرسى الصلاة ، بل كما لو كنت أتســـلل من فراش راهبة رحيمة ٠ ان

---

(٣) (La Pucelle) ملحمة فولتير عن جان دارك التى لم تعالج الموضوع بما يستحقه من الاحترام ٠

الحياة عاهرة ، ترتكب الفحشـــاء مع العالم كله ..

* * *

« ميدان امام الكونســيرجيرى »

سجان ـ سائقان ومعهما العربات ـ نساء

السـجان : من الذى دعاك أن تسوق العربة الى هنا ؟

السـائق ١ : انا لا ادعي سوقيا (٤) . هذا اسم غريب .

السجـان : ياغبى ! من الذى عينك لهذا ؟

السـائق ١ : انا لم آخذ اى تعيين . اللهم الا عشـرة « سو »(٥) عن كل راس .

السـائق ٢ : يريد الوغد أن يقطع عيشى .

السـائق ١ : وهل تسمى هذا عيشا ؟ ؟ (مشيرا الى نوافذ المساجين) انه أكل الدود .

السـائق ٢ : اطفالى ايضا ديدان . وهم يريدون نصيبهم . آه ! ان صنعتنا ساءت مع اننا من احسـن السائقين .

---

(٤) هنا تلاعب بالالفاظ لايمكن نقله الا على وجه التقريب وهو يذكرنا ببعض مشاهد من « هاملت » وبخاصة مشهد المقبرة .

(٥) عملة فرنسية رخيصة من النحاس .

السائق ١ : وكيف هذا ؟

السائق ٢ : من هو احسن سائق ؟

السائق ١ : هو الذى يقطع ابعد مسافة ويسير باقصى سرعة ٠

السائق ٢ : والآن ياحمار : هل هناك من يقطع مسافة أبعد ممن يبعد بركابه عن العالم ، وهل هناك من يسير أسرع ممن يقطع المسافة فى ربع ساعة ؟ انها ربع ساعة بالضبط من هنا الى ميدان الثورة ٠

السجان : أسرعوا يا أوغاد ! اقتربوا من البوابة ٠ افسحن المكان يابنات !

السائق ١ : لاتغيرن أماكنكن ٠ لا يجب أن يلف الانسان ويدور حول البنت ، بل يجب أن يقتحمها ٠

السائق ٢ : أجل ، هذا رأيى انا أيضا يمكنك أن تنفذ بالعربة والخيول ، وستجد السكة معبدة ، ولكن اذا أردت أن تنفذ بجلدك ، فيجب أن تفرض الحجر الصحى (يتقدمان بعرباتهما)

السائق الثانى : (للنساء) فيم تبحلقن هكذا ؟

امرأة : ننتظر زبائن قديمة ٠

السائق الثانى : هل تحسبن عربتى ماخورا ؟ انها عربة نظيفة ، نقلت الملك وكل سادة باريس الكبار الى المائدة ٠

لوســـــــيل : (تظهر على المسرح وتجلس على حجر تحت نافذة المساجين) كاميل ! كاميل !

(يظهر كاميل فى النافذة) اسمع ياكاميل ! • أنت تضحكنى بهذا الرداء الطويل الضـــخم والقناع الحديدى على وجهك • الا تستطيع ان تنحنى اين ذراعاك ؟ اريد أن اصـــــيدك • ياعصفورى العزيز (تغنى)

نجمان فى السماء

ابهى من القمــر

فواحــــد يضىء

نافــذة الحبيب

وواحـــد ينـير

امــــــام بـابه

تعال، تعال ياصديقى ! اطلع على الســـلالم بهدوء ، فهم جميعا نائمون • القمر يساعدنى من مدة طويلة على الانتظار • ولكن لايمكنك أن تدخل من الباب ، فهذه الملابس فظيعة •• هذا مزاح سخيف ، لابد أن تضع له حدا ! ولكنك لا تتحرك • لماذا لا تتكلم ؟ انك تخيفنى •

اسمع • الناس يقولون • لابد ان تموت ، ويكشرون وجوههم • تموت ! يجب أن أضحك على هذه الوجوه • المـــوت ! ما معنى هذه الكلمة ؟ قل لى ما معناها ياكاميل ؟ الموت !

أريد أن أفكر • هاهو ! هاهو ! أريد أن اجرى وراءه • تعال ياصديقى الحبيب • ساعدنى على صيده ! تعال ! تعال ! (تجرى) ••

كاميـــــــــل : (ينادى) : لوسيل ! لوسيل !

« الكونســــيرجرى »

(دانتون يطل من نافذة تكشف الحجرة المجاورة)

(كاميل ـ فيليبو ـ لاكروا ، هيرو)

دانتـــــــون : انت الآن هادىء يافابر •

صـــــــوت : (من الداخل) فى النزع الأخير •

دانتـــــــون : هل تعلم ايضا ، ماذا ستفعل الآن ؟

الصـــــوت : ماذا ؟

دانتـــــــون : مافعلته الديدان(٦) طول حياتك ••

كاميـــــــــل : (لنفسه) كان الجنون يطل من عينيها • كثيرون جنوا من قبل • هذا حال العالم • هل نملك تغييره ؟ انا نغسل ايدينا ـ وهذا هو الأفضل ايضا •

دانتـــــــون : ساترك كل شىء فى اضطراب فظيع • لا احد يفهم شيئا عن الحكم • ربما ينفعهم أن اترك عاهراتى لروبسبيير ، وسيقانى لكوتون •

---

(٦) تلاعب بالكلمة الفرنسية (Vers) التى تفيد بيتا من الشعر كما تفيد الدولة (Ver)

لاكــــــــــــروا : كان ينبغى علينا أن نجعل من الحرية عاهرة !

دانتـــــــــــون : وماجدوى هذا ايضا ؟ ان الحرية والعاهرة هما أعم الأشياء تحت الشمس · وسوف تفجر الآن وتزنى فى فراش محامى أرا(٧) · ولكنى أعتقد أنها ســـــتلعب معه دور كليتامنيســترا(٨) · ساعطيه مهلة لن تزيد عن ستة أشهر ، وساشده معى ·

كاميــــــــــــل : (لنفسه) فلتوفقها السماء الى فكرة ثابتـــة مريحة · ان الأفـــكار الثابتة العامة التى يسمونها العقل السليم ، مملة الى حد فظيع · أسعد انسان هو ذلك الذى تصـــور أنه الأب والابن والروح القدس ·

لاكــــــــــــروا : سيهتف الحمير عندما نمر بهم قائلين : تحيا الجمهورية !

دانتـــــــــــون : وأى شىء فى هذا ؟ ليقذف طـــوفان الثورة جثثنا حيث يشاء ، فسوف يســـتطيع الناس دائما أن ينقبوا عن عظامنا ويقطعوا بها رقاب جميع الملوك ·

هـــــــــــــرو : نعم ، أن وجد شمشون يعرف كيف يستخدم فكوكنا ·

دانتـــــــــــون : انهم أشقاء قابيل ·

---

(٧) هو روبسيير كما تقدم ·

(٨) هى زوجة اجاممنون الذى قتلته بالاشتراك مع عشيقها ايجسترس ، مما جعل ابنها أورست ينتقم منها ويقتلها ·

لاكـــــــــروا : لا شيء يثبت أن روبسبيير كنيرون(٩) مثل انه لم يتلطف ابدا مع كاميل كما فعل قبل القبض عليه بيومين • اليس كذلك ياكاميل ؟

كاميـــــــــــل : وماذا يهمنى من هذا ؟ (لنفسه) ياله من طفل ساحر ولدته للجنون ! لماذا يتحتم على الآن أن اذهب الم يكن من الممكن أن نضحك معه ونهدهده ونقبله معا !

دانتـــــــــون : عندما يأتى اليوم الذى يفتح فيه التاريخ قبوره فسوف يختنق الاســتبداد دائما من رائحة جثثنا •

هـــــــــيرو : لقد صعدت روائحنا النتنة بما فيه الكفاية فى اثناء حياتنا ـ انها عبارات للاجيال المقبلة ، اليس كذلك يادانتون ، وهى فى الواقع لاتعنينا فى شيء •

كاميـــــــــــل : انه يضع تكشــيرة على وجهه ، كأنه يريد أن يتحجر ليكتشفه الأثريون فى العصور المقبلة ! أهو شيء يســـتحق العنـــــاء أن يتكلف الانســان الكلام ويصبغ وجهه باللون الأحمر ويتكلم بنبرة مهذبة ؟ علينا أن ننزع الأقنعة يوما عن وجوهنا ولن نرى عندئذ ـ كما لو كنا فى حجـــرة كل جدرانها مرايا ـ الا رؤوس الخراف(١٠) العتيقة العاطلة من الاسنان التى

---

(٩) قيصر رومانى (٥٤ ـ ٦٨) أمر بقتل شقيقه وأمه وزوجته ومربيه •
(١٠) كناية عن الغباء •

لا تتغير فى اى مكان لا اكثر من ذلك ولا اقل ٠ ان الفروق بيننا ليست كبيرة بقدر ما تتصور ، فنحن جميعا اوغاد وملائكة ، اغبياء وعباقرة، وكل هذا فى وقت واحد ٠ وهذه الأشـــياء الأربعة تجد مكانا يكفيها فى الجسد الواحد ، فهى ليست بالاتساع بقدر ما نتخيـــل ٠ ان الجميع ينامون ويهضمون وينجبون الأطفال ، وكل ماعدا ذلك فهو متنوعات على لحن واحد ٠ ما حاجتنا اذن ان نقف على أطراف أصابعنا ونضع سحنة ملفقة على وجوهنا ، ونتظـــاهر بأننا نستحى من بعضنا البعض ؟ لقد اكلنا جميعا على نفس المائدة حتى مرضنا واصبنا بالمغص ، فما الذى يدعوكم أن تضعوا الفوط امام وجوهكم ؟ اصرخوا وصيحوا كما ينبغى لكم ! لا تضعوا سـحنة الفضـيلة والظرف والبطـــولة والعبقرية على وجوهكم ، فنحن نعرف بعضنا حق المعرفة ، وفروا هذا الجهد على انفسكم !

هـــــــيرو : اجل يا كاميل ٠ نريد أن نجلس بجانب بعضنا البعض ونصرخ ٠ وليس هناك أغبى من أن يطبق الانسان شفتيه بينما يضنيه الألم ــ لقد صرخ الاغريق وصرخت الآلهة ، اما الرومان والرواقيون فقد تظاهروا بالبطولة ٠

دانتـــــــون : كان هؤلاء واولئك ابيقوريين على حد سواء ٠ لقد وجدوا راحتهم فى الشـــعور بالاعتداد بالنفس ٠ لاباس من أن يرتدى الانسان ثوبه

الفضفاض(١١) ويتلفت حوله ليرى ان كان يلقى خلفه ظلا طويلا · ماجدوى أن نتزين ؟ وما الفرق بين أن نضع على عورتنا أوراق الغار أو أكاليل الورد أو ورق العنب أو نكشف الشيء القبيح ونترك الكلاب تلعقه ؟

فيليبـــــــو : ياأصدقائى ! ليس من الضـــروري أن يرتفع الانسان فوق الأرض لكى لايرى شـــيئا من أضوائها المضطربة المرتعشـة ويملأ عينه من بعض الخطوط الالهية الرائعـــة · هناك آذان ينسكب فيها الصراخ والعويل الذى يصبـــم آذاننا كأنه لحن منسجم ·

دانتـــــــون : ولكننا نحن الموسيقيين المساكين وأجسامنا هى الآلات الم توجد الأنغام البشعة التى يخبطونها عليها الا لكى تصعد شيئا فشيئا الى الاذان السماوية لكى تخمد شيئا فشـــيئا ثم تموت هناك ؟

هـــــــيرو : هل نحن كالخنازير الصـــغيرة التى يجلدونها حتى الموت لكى يكون لحمها الذ طعما على موائد الملوك والأمراء ؟

دانتـــــــون : أم نحن كالأطفال الذين يشـــويهم هذا الجبار الرهيب(١٢) بين ذراعيه ويدغدغهم بأشـــعة الضوء لكى يسر الآلهة بضحكاتهم ؟

---

(١١) يستخدم المؤلف هنا كلمة « توجا » وهو الثوب الرومانى الطويل الذى سبقت الاشارة اليه ·

(١٢) يستخدم المؤلف هنا كلمة « ذراعى مولوخ » ومولوخ اله سام قديم أصبح علما على النهم الدائم ، الى كل أنواع الأضاحى والقرابين ·

كاميـــــــــل : وهل الأثير بعيونه الذهبية طبق مملوء بالشبوط الذهبى موضوع على مائدة الآلهة المباركين ، فيضحك الالهة المباركون الى الأبد ، وتموت الأسماك الى الأبد ، ويفرح الآلهة فرحا أبديا بهذا الصراع الدموى المتنوع الألوان ؟

دانتــــــــون : العالم هو العماء ، والعـــدم هو الاله الذى يناسب الكون ·

(يدخل السجان)

الســـــــجان : سادتى · العربات واقفة امام الباب · يمكنكم ان تمضوا الآن ·

فيليبـــــــــو : تصبحون على خير يا أصدقاء ! فلنســـحب اللحاف الكبير علينا ونحن مطمئنون ، اللحاف الذى تتـــوقف تحته كل القلوب وتغمض كل العيون ·

(يعانقون بعضهم)

هـــــــــيرو : (يتأبط ذراع كاميل) افرح ياكاميل فستكون ليلتنا جميلة· السحب معلقة على صفحة المساء كأنها الأوليمب الذى انطفأ بريقه فتراءت فيه خيالات الآلهة شاحبة محزونة ·

(يخرجـــــون)

« حجــــرة »

جــــــــولى : كان الشعب يجرى فى الأزقة · هدأ الآن كل شىء لا أريد منه أن ينتظرنى لحظة واحـدة

(تخرج زجاجة) تعال يا أحب الكهنة ، يامن يقول « آمين » فنذهب الى الفراش (تتجه الى النافذة) ما أجمل الوداع ! لم يبق الا أن أغلق الباب ورائى ..

(تشرب من الزجاجة)

ليتنى أقف هكذا الى الأبد ! ـ الشمس غابت. كان نورها يسقط على وجه الأرض فيجعل ملامحه حادة .. ولكن وجهها الآن هادىء وجاد كوجه انسان يحتضر . ما أجمل ضوء المساء وهو يعبث بجبهتها وخديها ! ان لونها يشحب شيئا فشيئا فتغوص كالجثة فى بحر الأثير . ألن تمتد اليها ذراع فتشدها من خصلات شعرها الذهبى وتخرجها من الماء وتواريها التراب ؟

أنا أمشى فى خطوات هادئة . لن أقبلها حتى لايوقظها من نعاسها نفس ولا تنهيدة . نامى ! نامى ! (تموت)

* * *

ميدان الثورة

(تصل العربات الى ميدان الثورة وتقف أمام المقصلة . رجال ونساء يغنون ويرقصون على

اغنية الثورة المساجين ينشدون النشيد الوطني « المرسيليز »)

(امرأة تحمل أطفالا على ذراعها وصدرها) :
افسحوا مكانا ! أفسحوا مكانا ! الأطفال يصرخون من الجوع(١٣) لابد ان يتفرجوا حتى يسكتوا ! افسحوا مكانا !

امـــــــــــــرأة : ها ! دانتون ! تستطيع الآن أن تفجر مع الديدان ·

امـــــــــــــرأة : وانت ياهيرو ! ساصنع من شعرك الجميل باروكة ··

هـــــــــــيرو : انا لا املك الأشجار التى تكفى لجبل فينوس الأجرد(١٤) ·

كاميـــــــــــل : أيتها العجائز الملاعين ! سوف تصرخن عن قريب : « أيتها الجبال ، اسقطن فوقنا ! »

امـــــــــــــرأة : ليسقط الجبل(١٥) فوقكم ! أنتم الذين سقطتم تحته ·

---

(١٣) اشارة عميقة الى ان الشعب الجائع لايشبع من الدماء المراقة ·

(١٤) اسم يطلق على عدة جبال فى مقاطعتى تورنجن وهسن بالمانيا ، تقول الخرافة ان ربة الحب فينوس تسكنها والمقصود هنا اشارة الى جزء من جسد هذه المرأة الفاسدة لا تكفى خصلات شعره لتغطيته ·

(١٥) الجبل هنا اشارة الى سلطة اليعاقبة التى راح ضحيتها هؤلاء المساجين ·

دانتــــــــــون : (لكاميل) اهدأ ياولدى ! لقد بح صوتك من الصياح ٠

كاميــــــــــل : (يعطى للســـــائق بعض النقـــود) : خذ ياخارون(١٦) العجوز أجـــرة عربتك ٠ طبق لابأس به ! ـ سادتى ! أحب أن اكون اول من يبدأ الوجبة ! هذه مأدبة كلاسيكية ، اننا نرقد فى أماكننا ونسكب بعض الدماء تكريماً للآلهة٠ الوداع يادانتون !

(يصعد الى المقصلة ٠ المســـاجين يتبعونه واحدا بعد الآخر ٠ دانتون آخرهم)

لاكــــــــــروا : (للشـــعب) لقد قتلتمونا يوم فقدتم عقلكم ، وسوف تقتلونهم يوم تستردونه ٠

أصــــــــــوات : سمعنا هذا من قبل ٠ ياللملل !

لاكــــــــــروا : ستكسر رقاب الطغاة فوق قبورنا ٠

هــــــــــيرو : (لدانتون) انه يحسب جثته مزبلة الثورة ٠

فيليبــــــــــو : (وهو على المقصلة) اننى أسامحكم وأرجو ألا تكون ساعة موتكم أمر من ساعتى ٠

هــــــــــيرو : كنت أتوقع هذا ! انه لايستطيع أن ينسى أن يمد يده فى صدره ليرى الناس ان ملابســـه الداخلية نظيفة ٠

---

(١٦) ملاح عجوز ، تقول الاساطير اليونانية انه يعبر بأرواح الموتى الى شاطىء العالم الاخر ؛

فـــــــابر : وداعا يادانتون ! اننى أموت مرتين ٠٠

دانتـــــــون : وداعا ياصديقى ! المقصلة خير طبيب ٠

هـــــــيرو : (يريد أن يعانق دانتون) : آه يادانتون ! لقد أصبحت عاجزا عن اخراج نكتة واحدة ! لقد آن الأوان ٠ (يدفعه أحد الجلادين بعنف)

دانتـــــــون : (للجلاد) أتريد أن تكون أقسى من الموت ؟ أتستطيع أن تمنع رؤوسنا من تقبيل بعضها فى قاع السلة ؟!

« شـــــارع »

لوســـــــيل : كان الأمر جد ٠٠ أريد أن أفكر ٠٠ بدأت أفهم شيئا كهذا ٠٠ الموت ! الموت ! كل شىء من حقه أن يعيش ٠٠ كل شىء ٠٠ البعوضة ٠٠ والعصفور ٠٠ ولماذا لا يعيش هو أيضا ؟ كان يجب أن يتوقف تيار الحياة ٠٠ لو انسكبت قطرة دم واحدة ٠٠ كان يجب أن تجرح الأرض من طعنة واحـدة ٠٠ كل شىء يتحـــرك : الساعات تدور ٠٠ النواقيس تدق ٠٠ الناس يمشون الماء يجرى ٠ وكل شىء يسير حتى يصل الى هناك ٠٠ الى هناك ٠٠ لا ٠٠ لايجب أن يحدث ذلك ٠٠ لا ٠٠ ساجلس على الأرض وأصرخ حتى يتوقف كل شىء من الرعب ٠٠ يتوقف كل شىء ٠٠ لا يتحرك شىء ٠

(تجلس على الأرض وتغطى عينيها وتصرخ

صـرخة مفجعة ٠٠ تنهض واقفة بعـد فترة صمت) ٠٠

لا فائدة ٠٠ كل شىء كما هو : البيوت ٠٠ الأزقة ٠٠ الريح تهب ٠ السحب تمر ٠٠ علينا أن نتحمل هذا العذاب ٠٠

(بعض النسوة يظهرن قادمات من الزقاق)

المـــرأة الأولى : هيرو ! ياله من رجل فتان ! ٠

المرأة الثـــانية : عندما رأيته فى عيد الدستور واقفاً تحت قوس النصر قلت لنفسى سيكون منظره تحت المقصلة عجيبا ٠٠ كانت مجرد فكرة خطرت على بالى ٠

المـــرأة الثالثة : نعم ٠ يجب أن نرى الناس فى كل الظروف ٠٠ رائع أن يصبح الموت شيئا علنيا ٠٠
(تخرجن)

لوســــــيل : ياحبيبى كاميل ٠٠ أين أجدك الآن ؟ ٠٠

ميدان الثورة ـ جلادان مشغولان بالعمل)

(فى تنظيف المقصلة)

الجـــلاد الأول : (يقف فوق المقصلة ويغنى) :
وحين أعود لبيتى
يبدو القمر جميلا

الجـــلاد الثانى : هيه ٠ ٠هل أوشكت أن تنتهى ؟

الجـــلاد الأول : حالا ٠ حالا ٠٠ (يغنى) :

ويضىء القمر لجدى

فيراني من نـــافذته

ويقول بصـــوت عال

ولدى هل عدت أخيرا

للبيت من المـــاخور ؟

هكذا ! • ناولنى سترتى ! •

(ينصرفان وهما يغنيان)

وحين أعـــود لبيتى

يبدو القمر جميلا •••

لوســــــــيل : (تظهر على المســـرح وتجلس على درجات المقصـــلة) : هانذا اجلس على حجرك ••

ياملاك الموت الرحيم •• (تغنى) :

الموت جـــلاد

وســـيفه ظامى

انت أيها المهد الجميل ، يامن هدهدت حبيبى كاميل لينام ، وخنقته تحت انفاس زهورك • انت ياناقوس الموت ، يامن غنيت له بلســانك العذب حتى دخل القبر •

(تغنى) :

ويحصد الآلاف

بالمنجل الدامى

(تظهر داورية من الحراس)

مــــــــواطن : هه ! من هناك ؟!

لوســــــيل : (تفكر قليلا وكأنها تصمم على قرار ثم تهتف فجأة) : عاش الملك !

مــــــــواطن : باسم الجمهورية ! (يحيط بها الحـــراس ويقتادونها) ..

(النهـــاية)

* * *

ليونس ولينـــا

تقـــــديم

الفيرى : والمجـد ؟
جوتزى : والجوع ؟ (١)

---

(١) يضع بشنر هذا الشعار لمسرحيته على لسان الشاعرين الايطاليين الشهيرين ألفييرى (١٧٤٩ ـ ١٨٠٣) الذى ألف مسرحيات تراجيدية تمجد البطولة المثالية والارادة مثل شائول وماريا ستيوارت وميـرا ، وجوتزى (١٧٢٠ ـ ١٨٠٦) الذى كان معاصرا ومنافسا لجولدونى الكاتب الكوميدى الشهير ، وألف مسرحيات تتميز بطابعها الشعبى وروحها المرحة وتمسكها بالجانب المادى من الحياة مثل توارندو (التى أعاد شـيلر كتابتها فيما بعد) وحب البرتقالات الثلاث (التى لحنها الموسيقى الروسى بروكوفييف) ولعل بشنر قد أراد بهذا الشعار أنه اذا كان الشعراء المثاليون الذين يبغضهم أشد البغض قد بحثوا عن المجد فان الشـعراء المـاديين ـ ان صح هذا التعبير ! ـ قد عرفوا أن جوع البطون يطرد المثل العليـا من الدمـاغ ! (انظر المقدمة ورأيه فى شيلر) .

ليونس ولينـــا

الشـــــــــخصيات :

الملك بيتر : من مملكة بوبو

الأمير ليونس : ابنه وخطيب لينا

لينــــا : من مملكة بيبى

فاليريو

المربيــــــة

رئيس التشريفات

رئيس الوزراء

واعظ البلاط

اعضاء مجلس الوزراء

المدرس

روزيتـــا

خدم ـ وزراء ـ فلاحون ٠٠ الخ ٠

الفصـــل الأول

ياليتنى كنت أحمق

فلست أطمع الا

فى سترة حمراء ··

(كما تهواه لشيكسبير)

● المشـــهد الأول :

« بستان · ليونس مستريحا على احدى الأرائك · المعلم » ·

ليـــــــونس : سيدى، ماذا تريد منى ؟ أتريد أن تعدنى لمهام وظيفتى ؟ ان يدى مزدحمتان بالعمـــل ، ولا أدرى كيف أتصرف ـ انظر ، ان على أولا أن أبصق على هذا الحجر ثلاثمائة وخمسا وستين مرة متتالية · ألم تجرب ذلك بعد ؟ حـــاول وسوف ترى انه يضمن لك تسلية فريدة · ثم ـ هل ترى هذه الحفنة من الرمال ؟

(يتناول حفنة من الرمل ويلقى بها فى الهواء ثم يتلقاها بظهر يده)

هأنذا ألقى بها فى الهـــواء · أتحب أن نتراهن ؟ كم حبة من الرمل على ظهـــر يدى الآن ؟ عدد زوجى أم فردى ؟ ماذا ؟ ألا تريد أن تدخـــل فى الرهان ؟ هل انت وثنى ؟ هل تؤمن بالله ؟ اننى فى العادة أتراهن مع نفسى وأستطيع أن أفعل ذلك طوال أيام عديدة · اذا استطعت أن تقنع انسانا يلمس فى نفسه الرغبة فى أن يدخل معى أحيانا فى رهان ، فستؤدى الى خدمة مشكورة · ثم ان على – أن أتفكر كيف يكون حالى لو أمكننى أن أرى نفسى واقفا على رأسى · آه ! لو استطاع الانسان أن يرى نفسه وهو واقف على رأسه ! هذا هو أحـــد المثل العليا التى إســـعى اليها · لو تم هذا لساعدنى كثيرا · ثم – ثم أحلام من هذا النوع لانهاية لها · – أترى أننى لا أجد ما أعمله ؟ أليس لدى الآن عمل أقوم به ؟ – نعم ، انه لشىء محزن ··

المعـــــــلم : محزن جدا ، ياصاحب السمو ·

ليـــــــونس : السحب تزحف منذ ثلاثة أسابيع من الغرب الى الشـــرق · هذا شىء يجعلنى فى منتهى الاكتئاب ·

المعـــــــلم : أكتئاب له مايبرره ياصاحب السمو ·

ليـــــــوتس : أف ! لماذا توافقنى دائما ؟ لماذا لا تعارض كلامى ؟ لديك أعمـــال ملحة ، أليس كذلك ؟ يؤسفنى أننى عطلتك كل هذا الوقت · (يبتعد المعلم بعد أن ينحنى انحناءة شديدة) سيدى ، أهنئك على القوس الجميل(٢) الذى تصـــنعه ركبتاك عندما تنحنى ·

ليـــــــوتس : (وحده ـ يتمدد على الأريكة) النحل يرقد فى كسل على الزهور ، وضوء الشمس يرقد فى خمول على الأرض ، وفراغ مفزع ينتشـــر حولى الفراغ هو اصل كل الرذائل ـ ما أكثر ما يفعله الناس بدافع الملل ! انهم يدرســون لاحساسهم بالملل ، ويصلون لشعورهم بالملل، والملل هو الذى يجعلهم يحبــون ويتزوجون ويتكاثرون ، وفى النهاية يموتون من الملل ، وهم يفعـــلون ذلك كله ـ وهذا هو مبعث الضحك فى الأمر كله ـ بنفس الوجوه الجادة الصارمة ، دون أن يعرفوا سببا لذلك ، والله وحده يعلم لماذا · كل هؤلاء الأبطال ، هؤلاء العبـــاقرة ، والأغبيــاء ، والقديســـون ، والمذنبون ، والآباء ليســـوا فى الحقيقـــة الا متبطلين فارغـــين · ولـــكن لمـــاذا كتب على أن أعرف ذلك ؟ لماذا لا أصبح مهما مثلهم

---

(٢) القوس هو العلامة التى توضع بينها الكلمات ، وهو نوع من التلاعب بالألفاظ الذى يسود المسرحية كلها ويعبر عن جو الملل والسأم الذى ينتشر فيها وتحاول الشخصيات أن تطرده عن نفسها ·

والبس الدمية المسـكينة سـترة السـهرة السوداء وأعطيها مظلة واقية من المطر تضعها فى يدها ، حتى تصـير متأنقة نافعة وطيبة الخلق ؟ ـ هذا الرجل الذى انصـرف الآن عنى ، كم أحسده ، وكم وددت لو استطعت أن أعبر عن حسدى بعلقة أعطيها له ! آه لو كان فى استطاعة الانسان ان يتحول شخصا آخر ، ولو لدقيقة واحدة ! ـ (يظهر فاليريو وهو سكران قليلا) . هذه المشـية التى يمشيها ! ليتنى أعرف شـيئا تحت الشمس يدفعنى انا ايضا على المشى !

فـاليريو : (يقف فى مواجهة الأمير ، ويضع أصبعه على أنفه ويبحلق فى وجهه) : نعم !

ليـونس : (فى مثل لهجته) صحيح !

فـاليريو : هل قصـدتنى ؟

ليـونس : بالضبط ..

فـاليريو : تريد اذن أن نتحدث عن شىء آخر (يرقد على العشب) سوف أستلقى فى هذه الأثناء على العشـب ، وأترك أنفى تزدهر بين رؤوس الأعشاب ، وأستمد منها احساسات رومانتيكية حين أجد النحل والفراشـات تهتز فوقها كما تهتز فوق زهرة .

ليـونس : ولكن لا تتنشق ياعزيزى بكل هذه القوة ، والا تضور النحل والفراش جـوعا لكثرة الروائح التى تشدها من الزهور .

فـــــــالبريو : آه ياسيدى ! ما اعجب هذا الاحساس الذى احمله للطبيعة ! لقد بلغ العشب من الجمال درجة يتمنى معها الانسان ان يكون ثورا لكى يستطيع أن يفترسه ، ثم يتمنى أن يعود فيتحول انسانا لكى ياكل الثور الذى افترس مثل هذا العشب ! •

ليـــــــونس : أيها الشقى ! يبدو انك تعذب نفسك أيضا بالمثل العليا •

فـــــــالبريو : انها عصبية فادحة ! فلا يستطيع الانسان ان يقفز من فوق برج كنيسة بغير ان تكسر رقبته • ولا يستطيع أن ياكل اربعة أرطال من الكرز بغير أن يصيبه المغص • انظر ياسيدى ، ان فى استطاعتى أن اجلس فى زاوية واغنى من المساء حتى مطلع الصبح : « هاى ، هناك ذبابة على الحائط ! ذبابة على الحـــائط ! ذبابة على الحائط » وهكذا الى آخر لحظة فى حياتى •

ليـــــــونس : كف عن أغنيتك السخيفة ، ان الانسان يكاد يجن عند سماعها •

فـــــــالبريو : اذن لأصبح الانسان شيئا • مجنون ! مجنون ! من ذا الذى يحب أن يأخذ منى عقلى ويعطينى جنونه ؟ ها ! أنا الاسكندر الأكبر ! الشمس تسطع فى شعرى كانها تاج من الذهب ، وما اجمل ما تلمع بذلتى العســـكرية ! أيتهـــا الجرادة ! انت القائد الأعلى ! دعى القوات

تتقدم ! ايها العنكبوت ! انت وزير المالية ! انا فى حاجة الى مال ! وانت ايتها الفراشة ! ياوصيفتى العزيزة ! كيف حال زوجتى العزيزة الفاصوليا ؟ وانت ايها الذباب الاسبانى ! ، ياطبيبى الخاص ذراح(٣) ! انا فى حاجة الى ولى للعهد ! ومع هذه الخيالات اللذيذة يحصل الانسان على شـربة ممتعة ، ولحم طيب ، وخبز لذيذ ، وفراش ناعم ، ويحلق شـعره مجانا – اعنى فى مستشفى المجانين – بينما انا بعقلى السليم لا اصلح الا لتسميد شجرة كرز ، لكى ؟ – لكى ؟ ..

ليـــــــوتس : لكى تجعل حبات الكرز تتسـاقط من ثقوب سروالك حمراء من الخجل ! ولكن ايها العزيز، ماذا عن صنعتك ، مهنتك ، حرفتك ، مركزك ، فنك ؟

فـــــــالبريو : (فى كبرياء) سيدى ، ان شغلى الأكبر هو الصعلكة ! وبراعتى التى لا نظير لها هى الا اعمل شيئا ، وعندى الصبر الهائل على الكسل .. مامن عمل اهان كفى بالشقوق ، ولا شربت الأرض قطرة عرق من جبهتى ، فمازلت عذريا من ناحية العمل ، ولولا أن الأمر يكلفنى من

---

(٣) نوع من الحشرات المغمدات الجناح من فصيلة الذراريح منتشر فى جنوب اوربا

الجهد فوق طاقتى ، لبذلت جهدى فى شرح هذه المآثر كلها لك[٤] ٠

ليــــــوتس : (فى حماس مضحك) تعال الى صدرى ! ألست واحدا من الالهيين الذين يجوبون طريق الحياة خلال العرق والتراب بغير عناء وبجبهة صافية، ويدخلون الى الأوليمب باقدام لامعة وأجساد زاهية كأنهم آلهة مباركون ؟ تعال ! تعال !

فــــــاليريو : (يغنى وهو ينصرف) هاى ! هناك ذبابة على الحائط : ذبابة على الحـــائط ! ذبابة على الحائط !

(ينصرفان وكلاهما ممسك بذراع الآخر)

***

● المشـــهد الثانى

غـــــــرفة

(الملك بيتر يساعده خادمان على ارتداء ملابسه)

بيـــــــتر : (والخادمان يلبسانه ثيابه) من الواجب على الانسان ان يفكر ، وواجبى ان افكر لرعيتى ،

---

(٤) يلاحظ أن المهرج فاليريو ـ فى هذا الموضع وفى سواه ـ يتلاعب بألفاظ اللغة كما يتلاعب بكل شىء وكل قيمة ٠وقد حاولت جهد الطاقة أن أبين هذا فى الترجمة ٠

لأنهم لا يفكرون ، لا يفكرون · الجوهر هو الموجود فى ذاته ، وهذا هو أنا(٥) · (يتجول فى الغرفة شبه عار) مفهوم ؟ فى ذاته هو فى ذاته ، أتفهمون ؟ الآن تأتى صفاتى ، وأحوالى وانفعالاتى ، وأعراضى : أين قميصى ، أين سروالى ؟ ـ قف ! الارادة الحرة مفتوحة تماما · أين الأخلاق : أين الأساور ؟ المقولات فى ارتباك مخجل : لقد أحكم زراران أكثر من اللازم ، العلبة فى الجيب الصحيح ، مذهبى كله انهار ـ ها !ما معنى هذا الزرار الموضوع فى المنديل ؟ أنت ياغلام ! مامعنى هذا الزرار، ما الذى أردت أن أذكر به نفسى ؟

الخـادم الأول : عندما شاءت ارادة جلالتكم أن تضعوا هذا الزرار فى منديلكم ، كنتم تريدون ··

الملك : ماذا كنت أريد ؟

الخـادم الأول : أن تتذكروا شيئا ·

بيـتر : جواب محير ! والآن ، ماذا تقصد ؟

الخـادم الثانى : أردتم جلالتكم أن تتذكروا شيئا ، عندما شاءت ارادة جلالتكم أن تضعوا الزرار فى منديلكم ·

بيـتر : (يذرع الغرفة جيئة وذهابا) : ماذا ! ماذا ؟

---

(٥) يلاحظ هنا وفى السطور التالية أن بشنر يسخر بفلسفة كانط وبخاصة من نظرية المعرفة لديه ونظريته عن الشىء فى ذاته الذى يرى انه موجود ولكن يستحيل التوصل اليه أو معرفته بالعقل ! ··

انهم يحيروننى · اننى فى أشد الارتباك ··
لست أدرى ماذا أفعل · (يظهر احد الخدم)

الخـــــادم : ياصـــاحب الجـــلالة ، لقد اجتمع مجلس الوزراء ·

بيـــــــتر : (فرحا) نعم ، هو ذاك ! هوذاك ! لقد أردت أن أتذكر شعبى · تعالوا يا سادتى ! اجعلوا خطواتكم متناسقة · أليس الجو شديد الحرارة؟ أخرجوا مناديلكم وامســحوا بها وجوهكم ! اننى أصاب دائماً بالارتباك حين أتحــدث فى اجتماع عام · (ينصــرف الخدم · الملك ـ الوزراء)

بيـــــــتر : يا أحبائى واعزائى ، اردت بهذا الاجتماع أن أخبركم وانهى الى علمكم ، أن أخبركم وانهى الى علمكم ـ ذلك انه اما أن يتزوج ابنى ، واما الا يتزوج ـ (يضع أصبعه على أنفه) : اما أو ـ انتم تفهموننى بطبيعة الحال ؟ وليس هناك امر ثالث · الواجب على الانســان أن يفكر (يقف لحظة متفكرا) : عندما اتحدث بصوت مرتفع لا أدرى عندئذ ان كنت انا الذى أتحدث أو شخص آخر سواى ، ان ذلك يفزعنى ·· (بعد فترة من التفكير الطويل) انا هو انا ـ ما رايك فى هذا ، ياسيادة الرئيس ؟

الـــــرئيس : (فى بطء وتثاقل) ياصاحب الجلالة ، ربما كان الأمر كذلك ، ولكن ربما لم يكن ايضـــا كذلك ·

الوزراءجميعا فى صوت واحد : نعم ، ربماكان الأمر كذلك ، ولكن ربما لم يكن ايضا كذلك •

بيـــــــتر : (فى تأثر) آه ياحكمـــائى ! فيم اذن كنت اتحدث ؟ عن أى شىء كنت أريد أن أتكلم ؟ ياسيادة الرئيس ، لم كانت ذاكرتك ضعيفة كل هذا الضعف فى مثل هذا الحفل العام ؟ رفعت الجلسة •

(يبتعد فى مظاهرة فخمة ووراءه الوزراء)

***

● المشـــــهد الثالث

(قاعة رائعة الزينة ـ شموع تحترق)

(ليونس مع بعض الخـــدم)

ليـــــــونس : هل أسدلت جميع الستائر ؟ أوقدوا الشموع ! ليذهب النهار الى غير رجعة ! أريد الليل • الليل الالهى ، المعطر ، العميق(٦) ضـــعوا المصـــابيح تحت الكئوس البلورية فى زهور

---

(٦) الكلمة الأصلية هى « الليل الامبروزى » ، نسبة الى دهان أو مسك الهى تتحدث عنه الأساطير الاغريقية ، وليلة أمبروزية اى ليلة معطرة بأريج المتعة واللذة •

الدفلى ، حتى تحلم مثل عيون العذارى تحت رموش الأوراق • قربوا الزهور ، حتى تفيض الخمر كقطرات الندى من الكئوس • موسيقى ! أين الكمنجات ! أين روزيتا ؟ - اذهـبوا - اخرجوا جميعا !

(ينصرف الخدم • ليونس يتمدد على سرير - تدخل روزيتا فى رداء رشيق • تسـمع موسيقى من بعيد)

روزيتــــا : (تقترب مداعبة) ليونس !

ليـــونس : روزيتا !

روزيتــــا : أوه !

ليـــونس : آه ياروزيتا • أمامى عمل فظيع ••

روزيتــــا : وماهو ؟

ليـــونس : ألا أعمل شيئا ••

روزيتــــا : سوى أن تحب ؟

ليـــونس : وياله من عمل !

روزيتــــا : (وقد أحست بالاهانة) ليونس !

ليـــونس : أو ياله من انشغال !

روزيتــــا : أو من فراغ •

ليـــونس : معك الحق كما تعودت دائما ، انت فتاة ذكية وانا أقدر فيك حدة الذكاء •

روزيتـــــا : وهكذا تحبنى لاحساسك بالملل ؟

ليــــونس : لا ، بل اننى احس بالملل لأننى احبك • ولكننى احب الملل الذى أشعر به تماما كما احبك • انتما عندى شىء واحد • ما احلى الا يعمل الانسان شيئا !(٧) اننى احلم بالنظر فى عينيك كما لو كانا نبعين عميقين حافلين بالأسرار والمعجزات ، تقبيل شفتيك يجلب لى النعاس مثل ما يفعل خرير الأمواج • (يعـانقها) تعال ، أيها السأم المحبوب • شفتاك تثاؤب شهى ، وخطاك ايقاع رتيب(٨) •

روزيتـــــا : هل تحبنى ياليونس ؟

ليــــونس : ولم لا ؟

روزيتـــــا : تحبنى دائما ؟

ليــــونس : دائما ؟ هذه كلمة طويلة ! ان احببتك خمسة آلاف سنة وسبعة شهور ، فهل يكفيك هذا ؟ انها تقل بكثير عن دائما ، ولكنها على كل حال مدة كافية ، وفى استطاعتنا ان ندخر الوقت الذى يكفى لنتبادل الحب معا •

روزيتـــــا : وربما سلبنا الوقت الحب •

---

(٧) فى الأصل بالايطالية •

(٨) الكلمة الأصلية لاتينية وهى Hiatus اى التثاؤب ويقصد بها فى علم اللغة تلاقى صوتين متحركين فى نهاية كلمة وبداية كلمة اخرى (مثل انا اخذ) ويشبه بها ليونس خطوات روزيتا •

ليـــــوتس : أو ربما ســــــلبنا الحب الوقت : ارقصى يا روزيتا ، ارقصى ، حتى يمضى الزمن على وقع قدميك الرقيقتين !

روزيتــــــا : تود قدماى لو خرجتـا عن الزمن ، (ترقص وتغنى) :

أواه يارجلى

رجلى المضنيين

لابد من رقصة

فى ذلك الحذاء

الأحمر اللون

ولو ملكتما

لغصتما فى الأرض

وغبتما هناك

فى جوفها العميق

فى جوفها العميق •

وآه ياعينى

عينى الحلوتين

لابد أن تلتمعا

فى وهج الشموع •

ولو ملكتما

أغفيتما طويلا
فى عتمة الظلام
من شدة الآلام ·
من شدة الآلام ·
وآه ياخدى
خدى الدافئين
لابد أن تحترقا
فى لهب العناق
فى حين تنشدان
لو ازدهرتما
كمثل زهرتين
فى ألق الربيع ·
فى ألق الربيع ·

ايـــــــونس : (حالما) آه ! ان حبا يموت خير من حب يولد·
أنا رومانى ، أجلس الى مائدة الطعام الشهى بينما تلعب الأســـماك الذهبية بألوانها وهى تموت ، كنوع من التحلية للوجبة اللذيذة ·· انظـــرى الى اللون الأحمـــر وهو يموت فى خدودها ، والأعين التى ينطفىء لهيبهـــا فى سكون ، واهتزازات أعضـــائها وهى ترتفع وتهبط فى هدوء · الوداع ، الوداع ، ياحبيبتى

أريد أن أحب جثتك • (روزيتا تعود فتقترب منه) هل تبكين ياروزيتا ؟ ان القدرة على البكاء طبع ابيقورى لطيف • اجلسى فى الشمس ، حتى تتحول القطرات الغالية الى حبات من البللور ، لابد أن تصبح قطعا بديعة من الماس • تستطيعين أن تصنعى منها عقدا •

روزيتا : تقول قطعا من الماس ، وهى تجرح عينى كالسكاكين • آه ياليونس ! (تريد أن تضمه الى صدرها) •

ليونس : احذرى ! راسى ! لقد دفنت حبنا فيه • انظرى فى نوافذ عينى ! الا ترين ان المخلوق المسكين قد مات وشبع موتا ؟ ألا ترين الزهرتين البيضاوين على وجنتيه ، والزهرتين الحمراوين على صدره ؟ لاتدفعينى ، حتى لا ينكسر له ذراع ، والا كانت خسارة • ان على أن احمل راسى فوق كتفى كما تحمل الندابة تابوت طفل صغير •

روزيتا : (مازحة) مجنون !

ليونس : روزيتا ! (روزيتا تقطب وجهها مداعبة) الحمد لله ! (يغمض عينيه) •

روزيتا : (مفزوعة) ليونس ! انظر الى !

ليونس : مستحيل !

روزيتا : نظرة واحدة !

ليـــــــــونس : ولا نظرة ! فما هى الاشعرة واحدة ويولد حبى العزيز من جديد • اننى سعيد لأننى دفنته فى التراب • أنا الآن احتفظ بطعمه •

روزيتـــــــــا : (تبتعد حــزينة بطيئة الخطى ، وتغنى وهى تنصرف) :

ما أنا الا طفلة يتيمة

تخاف من وحدتها الأليمة

أواه ! يالوعتى الرحيمة

ليتك ياصديقتى الحميمة

ترافقين رحلتى العقيمة

ورقدتى وأكلتى المسمومة(٩)

ليــــــــــونس : (وحده) ما أعجب أمر الحب ! يرقد الانسان فى فراشه عاما بأكمله بين اليقظة والمنام ، ثم اذا به يستيقظ ذات صباح جميل ، فيشرب كوب ماء ، ويرتدى ثيابه ، ويمر بيده على جبهته ، ويتفكر ، ويتفكر • ياالهى ! كم عدد النساء اللائى يحتاج اليهن الانسان لكى يغنى على سلم الحب صــعودا وهبوطا ! لا تكاد توجد امرأة تؤدى نغمة واحدة • لماذا يتجمع البخار

---

(٩) تصرفت قليلا فى الاغنية الأصلية التى تقول : أنا يتيمة مسكينة ، أخاف من الوحدة الشديدة ، آه يا أيها الحزن العزيز ، الا تريد ان تأتى معى الى البيت ؟

فوق ارضنا كأنه مخروط زجاجي يكسر شعاع الحب الأبيض المتوهج فى قوس قزح ؟ (يشرب) أين الخمر التي سأسكر بها اليوم ؟ فى أية زجاجة يختبىء ؟ هل فقدت القدرة حتى على السـكر ؟ هأنذا كما لو كنت أجلس أمام خرطوم ينفث الهواء · والهواء تلسعنى برودته ، حتى أكاد أتجمد ، وكان على أن ارتدى سـراويل « نانكنج »(١٠) لأتزحلق على الجليد ـ سادتى ، سادتى ، هل تعرفون كاليجولا ونيرون ؟ أنا اعرفهما · ـ تعـال يااليونس · اسمعنى حديثك الى نفسك ، فأنا أريد أن أنصت اليك ·

حياتى تتثاءب فى وجهى كأنها ورقة كبيرة بيضاء ، كتب على أن أملأ صفحتها ، غير اننى لا اقدر على كتابة حرف واحد · رأسى قاعة رقص خـالية ، زهرات ذابلة على الأرض واشرطة مثنية ملقاة ، كمنجات مهشـمة فى ركن بعيد ، ومن تخلف من الراقصـين نزعوا الأقنعة عن وجوههم وراحـوا يتطلعون الى بعضهم البعض بعيون منهكة من التعب · انا اتعثر حولى كل يوم اربعة وعشرين مرة كأننى قفاز يوضع فى اليد ·· آه ! أنا أعرف نفسى،

---

(١٠) سراويل من القطن كثيفة مصقولة تمتاز بألوانها الصفراء الضاربة الى الحمرة ، وتسمى بهذا الاسم نسبة الى مدينة نانكنج الصينية ·

انا اعلم فيم سافكر واحلم فى الربع ســاعة القادمة ، فى ثمانية ايام ، فى ســنة كاملة ·
الهى ! اى ذنب جنيت حتى تجعلنى اكرر درسى كالتلميذ الخــائب كل هذا الوقت ؟ برافو ياليونس ! برافو !(**يصفق بيديه**) اننى اشعر بمنتهى الفرح حين أنادى نفسى بهذا النداء ·
ها ! ليونس ! ليونس !

فـــــاليريو : (الذى يظهر من تحت مائدة) يبدو أن سموك فى طريقك الى أن تكون مغفلا حقيقيا ·

ليـــــونس : نعم · نفس الشىء يتضح لى أنا أيضا ·

فـــــاليريو : انتظر قليــلا · نريد أن نتحدث فى ذلك على النور ! لازالت امامى قطعة لحم مشوى اخذتها من المطبخ ، وقليل من الخمر ســرقته من مائدتك · سالتهمها حالا !

ليـــــونس : ياللمفترس ! الوغد يسبب لى احساسات خيالية لذيذة ، انى أتمنى الآن لو أعود فأبدأ من أبسط الأشياء ، فآكل الجبن ، وأشــرب الجعة ، وأدخن الطباق · هيا أسرع ، ولا تقبع هكذا بخرطومك ، ولا تصر هكذا بأنيابك !

فـــــاليريو : ياسيدى العزيز ادونيس(١١) ، هل تخاف على فخذيك ؟ لا تخش شيئا فلست صانع مكانس

---

(١١) ادونيس : تذكره الأساطير الفينيقية شابا رائع الجمال ، جرحه خنزير برى جرحا مميتا فحولته ربة الحب افروديته الى زهــرة شـقائق النعمان ·

ولا أنا معلم فى مدرسة ، لست فى حاجة الى أعواد لبلاب لأفتل منها سياطا ·

ليـــــــونس : لست مدينا بشىء لأحد ·

فـــــــاليريو : تمنيت لو كان هذا هو حال سيدى ·

ليـــــــونس : هل تقصد العلقة التى تستحقها ؟ أتهتم كل هذا الاهتمام بأمر تربيتك ؟

فـــــــاليريو : ياالهى ! أسهل على الانسان أن يولد من أن يربى · من المحزن أن يرى المرء فى أية ظروف يضعه غيره ممن تختلف ظروفهم عنه ! كم من أسبوع عشته منذ أن حملت بى أمى !(١٢) وكم من خير لقيته حتى أشكر اليوم الذى تلقتنى فيه القابلة ؟

ليـــــــونس : أما فيما يتعلق بحملك ، فليس هناك مايحملك على أن تحمل على أمك لأنها حملت بك · عبر عن نفسك تعبيرا أفضل · والا أصابك أسوأ انطباع من طبعى ·

فـــــــاليريو : عندما أبحرت سفينة أمى حول جبال الرجاء الصالح ···

ليـــــــونس : وتكسرت سفينة أبيك عند رأس القرن ··

فـــــــاليريو : صدقت ، فقد كان من حراس الليل · ومع ذلك

---

(١٢) يلجأ بشنر هنا أيضا الى التلاعب بالألفاظ واستخدام الجنـــاس والكناية ·

فلم يكن من عادته أن يضع القرون على الشفاه
كما يضعها آباء النبلاء على الجبين •

ليـــــــــونس : أيها الوغد ! انت تملك موهبة الوقاحة السماوية •• اننى اشعر بحاجة تدفعنى الى استغلالها عن قرب • كما أشعر بشوق عظيم لأن اضربك علقة •

فـــــــــاليريو : هذا جواب مفحم وبرهان قاطع •

ليـــــــــونس : (يهجم عليه) وأنت نفسك جواب مهزوم •• ذلك انك ستأخذ علقة عليه •

فـــــــــاليريو : (يفر منه • ليونس يتعثر ويسقط) وأنت برهان مازال ينتظر الاثبات ، ذلك لأنه يسقط على ركبتيه ، اللتين تحتـــــاجان فى الحقيقة الى الاثبات • انهما عبارة عن عضلات ساق على اقصى درجة من عدم الاحتمال ، وافخاذ تعد مشكلة عويصة •

(يدخل الوزراء • ليونس يظل جالســا على الأرض • فاليريو)

رئيس الـــــوزراء : هل تغفرون لى ياصاحب السمو ؟

ليـــــــــونس : كما اغفر لنفسى ! كما اغفر لنفسى ! اننى اغفر لها حسن النية الذى يجعلنى انصت اليك •• سادتى ، الا تحبون أن تجلســـوا ؟ – يالهذه الملامح التى تكسو وجوههم حين يسمعون كلمة « الجلوس » • اجلســـوا على الأرض ولا

تتحرجوا ! انها المكان الاخير الذى ستشغلونه في يوم من الأيام ، ولكنه مكان لا يكلف أحدا اى شىء ، اللهم الا حفار القبور !

رئيس الــوزراء : (الذى يمضى فى تحريك أصبعه نفس الحركة السريعة) :

هل تتعطفون سموكم ، بخصوص ...

ليـــــــونس : يا الهى ، اخف يديك فى جيوب سروالك ، أو اجلس عليهما . لقد خرج عن طوره تماما .. تماسك يارجل !

فـــــــاليريو : لا يصح أن يقاطع الانسان طفلا يتبول ، والا حصلت له حبسة ...

ليـــــــونس : يارجل ! امسك نفسك ! فكر فى أسرتك ، فى مهام الدولة ! لو وقفت خطبتك فى حلقك فربما تتعرض للاصابة بالشلل !

رئيس الــوزراء : (يسحب ورقة من جيبه) هل تســـمحون ياصاحب السمو ..

ليـــــــونس : ماذا ؟ وتستطيع ايضا أن تقرأ ؟ ؟ ماذا اذن ..

رئيس الــوزراء : ان صاحب الجلالة يحيط علم سموكم بأن غدا هو موعد وصول عروس ســموكم صــاحبة السمو والرفعة الأميرة لينا من مملكة بيبى ..

ليـــــــونس : اذا كانت عروسى تنتظرنى فسوف انفذ اردادتها واجعلها تنتظرنى . لقد رأيتها ليلة أمس فى المنام . كانت لها عينان واسعتان بحيث يصلح

حذاء الرقص الذح تلبسه روزيتا ليكون حاجبا لهما • اما على خديها فلم أر أخاديد غائرة بل حفرا تتسع لضحكاتها • انني أؤمن بالأحلام • هل تحلم أنت ايضا فى بعض الأحيان ياسيادة الرئيس ؟ هل يحدث لك ان ترى رؤيا أو الهاما ؟

فـــــــاليريو : بالطبع • كلما ســـمع أنه فى اليوم التالى سيشوى لحم أو يذبح ديك(١٣) أو أن سموكم الملكى سيصاب بمغص •

ليـــــــونس : على فكرة • ألم يبق شىء على طرف لسانك ؟ هات كل ما عندك •

رئيس الـــوزراء : لقد شاءت الارادة العليا لصـــاحب الجلالة الملكية أن يضـــع فى يوم الزواج كل مظاهر ارادته السامية بين يدى سموكم •

ليـــــــونس : بلغ مسامع صاحب الارادة الســامية أننى سأفعل كل شىء باستثناء ماسوف أبقيه على حاله ، وهو مالن يكون على كل حال أكثر مما لو كان كثيرا •• ـ سادتى ، اعذرونى فلن أستطيع مصـــاحبتكم ، وأنا فى هذه اللحظة متحمس للجلوس ، ولــكن رحمتى بلغت من الاتســـاع حدا أعجز معه عن قياس مداها برجلى (يفرج مابين رجليه) سيادة رئيس الوزراء ، تناول المقياس لكى تذكرنى به فيما بعد • فاليريو ، اصحب السادة الى الباب !

---

(١٣) الكلمة الأصلية تدل على نوع خاص من الديكة المخصية وهـى الكابوان •

فــــــــاليريو : جرس الباب ؟ هل أعلق على ســـيادة رئيس الوزراء جرسا ؟ هل أسوق السادة كما لو كانوا يسيرون على اربع ؟

ليـــــــــوتس : ايها الوغد ، ما أنت الا تلاعب سيىء بالألفاظ . ليس لك اب ولا أم ، فقد رقدت الحروف الخمسة مع بعضها فأنجبتك .

فــــــــاليريو : وانت أيها الأمير ، كتاب بلا حروف ، وليس فيه الا الشرط . تعالوا ايها السادة ! ان كلمات مثل « تعالى » و « ادخل » و « اخـــرج » و « اصعد » و « انزل » امرها محزن . فاذا اردت أن يكون لك دخل ، فلابد لك أن تسرق ، واذا اردت أن تصعد فليس أمامك الا أن تشنق نفسك ! أما المنزل فلا يعثر عليه الانسان الا اذا استقر فى قبره ، وأما المخرج فهو مضمون فى كل لحظة كلما لجأت الى النكتة ، ولم يكن لديك شىء تقوله كما افعل الآن على سبيل المثال ، وكما فعلتم انتم أيضـــا قبل ان تقولوا كلمة واحدة . لقد دخلتم فى اتفاق وانتم مطالبون الآن بالبحث عن طريقة للخروج .

(ينصرف الوزراء وفاليريو)

ليـــــــــوتس : ما احقر أن اجعل من نفسى فارسا على حساب هؤلاء المساكين ! ولكن ماذا افعل اذا كانت الحقارة لا تخلو من المتعة ؟ اتزوج ؟ معنى هذا أن أفرغ بئرا فى جوفى . آه ياشســاندى ،

ياشاندى العجوز !(*) . من ذا الذى أهدانى ساعتك ؟ (يعود فاليريو) آه يافاليريو ، هل سمعت ؟

فـــــــاليريو : يظهر أنك ستصبح ملكا . هذا شيء مضحك . فى استطاعة المرء عندئذ أن يخرج للنزهة طول النهار ، ويتلف قبعات الناس من كثرة ما يرفعونها لتحيته ، فى استطاعته أن يفصل من الناس المحترمين عساكر محترمين ، حتى يصبح كل شيء طبيعيا تماما ، ويستطيع كذلك أن يحول السترات الســـوداء وأربطة العنق البيضاء الى خدم مطيعين للدولة . وعندما يموت ، تسير كل الرؤوس الصلعاء حزينة فى جنـــازته ، وتتفتت حبال أجـراس الكنائس كالخيوط الدقيقة من كثرة الشد والجذب .. أليس هذا كله أمرا مسليا ؟

ليـــــــونس : فاليريو ، فاليريو ! لابد أن نعمـــل شيئا ! انصحنى !

فـــــــاليريو : آخ ! العلم ! العلم ! نريد أن نصبح علماء ! قبلى أو بعدى ؟

(*) اشارة لشخصية شاندى العجوز فى رواية « حياة وآراء ترسترام شاندى » للكاتب الساخر لورنس ستيرن (١٧١٣ ـ ١٧٦٨) الذى كان من عادته منذ أن بلغ الخمسين من عمره حتى الستين ان يملأ ساعة البيت ويقوم بواجباته الزوجية فى ليلة الأحد الأولى من كل شهر ، لكى « يطرح عبئهما عن رقبته » على حد قوله !

ليــــــــــوتس : القبلى يجب أن نتعلمه من أبى ، ولكن كل شىء يبدأ بالبعدى ، كما فى الحكايات القديمة : كان يا ما كان ...

فــــــــاليريو : اذن فلنكن أبطالا !

(يمشى هنا وهناك مشية عسكرية وهو يدق ويطبل) .

تروم ! تروم !

ليــــــــــوتس : ولكن البطولة تتحلل ، تسكر بأردأ الخمور ، وتصاب بالحمى التى تنتاب نزلاء مستشفيات الميدان ولا يمكنها أن تبقى بدون الضـــباط والأنفار . ارجع لعقلك وانس أحلام الاسكندر ونابليون !(*) .

فــــــــاليريو : فهل نصبح اذن عباقرة ؟!

ليــــــــــوتس : ان بلبل الشعر يتغنى طوال النهار فوق رؤوسنا . ولكن أرق مافيه يذهب للشـــيطان ، قبل أن نتمكن من انتزاع ريشه وغمسه فى الحبر أو فى الألوان .

فــــــــاليريو : اذن فلنصــبح أعضـــاء نافعين فى المجتمع البشرى ؟!

ليــــــــــوتس : أحب الى من هذا أن أتخلى عن صـــفتى كانسان .

(*) اشارة ساخرة الى أحلام الاسكندر الاكبر ونابليون الاول .

فـــــاليريو : لم يبق أمامنا الا أن نذهب للشيطان !

ليـــــونس : آخ ! ليس الشيطان سوى الوجه المضاد الذى نفهم منه أن هناك موجودا آخر يقـابله فى السـماء (قافزا) آه ! فاليريو ، فاليريو ، وجدتها ! الا تشعر بالأنسام تهب من الجنوب ؟ ألا تحس كيف يتموج الأثير الأزرق العميـق الملتهب صعودا وهبوطا ، وكيف يسطع النور من الأرض الذهبية المشمسة ، والبحر المالح المقدس، والأعمدة والأجســاد المرمرية ؟ ان « بان »(١٤) العظيم نائم ، والأبطال الشجعان يحلمون فى الظل وعلى خرير الأمواج العميقة بالساحر القديم فيرجيل ، وبانغام الطبـول ورقصـة التارنتللا(١٥) ، والليالى العميقـة المجنونة الزاخر بالأقنعة والمشـاعل والحان القيثار • فاليريو ، لنكن شحاذين فى نابولى ، لنذهب الى ايطاليا !

* * *

---

(١٤) هو فى الأساطير اليونانية القديمة اله الصيد والرعاة فى جزيرة أركاديا » ، وهى جزيرة السلام والبراءة والبساطة ، وقد جعل منه الرواقيون فى العصور المتأخرة رمزا يمثل الكل والحياة الشـاملة • وكان اليونـان يتصورونه بساقى جدى وشعره وقرنيه •

(١٥) رقصة ايطالية شعبية تتميز بالعنف •

المشـــهد الرابـــع

« حـــــديقة »

(الأميرة لينا فى زينة العروس ـ المربية)

لينــــــــا : نعم ، الآن ! هاهو كل شىء قديم • عشــت عمرى كله لا أفكر فى شىء مر دون أن أحس بشىء • وفجاة وقف اليوم أمامى منتصــب القـامة • هاهو ذا الاكليل فى شــعرى ، والأجراس ، الأجراس ! (تميل بجسدها الى الوراء وتغمض عينيها) • انظرى ، انى أتمنى الآن لو ان العشب ينمو فوقى ، والنحل يطن حولى ، انظرى الى • أنا الآن فى ثياب العرس، والأوراق الخضراء مشبوكة فى شــعرى • أليست هناك أغنية قديمة تقول :

أريد أن أنام
فى ساحة الكنيسة
كأننى الوليد
فى مهده السعيد •

المـــــربية : ياطفلتى المسكينة ، كم تبدين شــاحبة الوجه تحت بريق هذه الجواهر اللامعة !

لينــــــــا : ياالهى ! فى امكانى أن أحب ، ولم لا ؟ الانسان يســير وحيدا فى حياته ، يتحسس اليد التى تمسك يده ، الى أن تأتى المغسلة فتفرق بينهما

وتشبك يدى كل منهما على صدره · ولكن لم يحاولون أن يدقوا مسمارا فى يدين لم يبحثا عن بعضهما ؟ وماذا جنت يدى المسـكينة ؟ (تخلع خاتما من أصبعها) هذا الخاتم يلسعنى كالحية ·

المــــــــــربية : ولكن ـ يقال عنه انه « دون كارلوس »(١٦) حقيقى !

ليفــــــــــا : ولكن رجلا ···

المــــــــــربية : ماذا ؟

ليفــــــــــا : لا يحبه القلب · (تنهض واقفة) أف ! انى أخجل من نفسى · غدا يتبخر العطر وينطفىء البريق · هل أنا اذا كالنبع المسكين الوحيد الذى كتب عليه ان يعكس كل وجه يميل على سـطحه الساكن ؟ ان الزهور تفتح براعمها أو تغلقها كما تريد لشمس الصباح أو لريح المساء · أتكون ابنة الملك أقل من زهرة ؟

المــــــــــربية : (باكية) ياملاكى المحبوب · أنت فى الحقيقة كبش الفداء !

ليفــــــــــا : أجل ، والكاهن يرفع السكين فى يده ·· ـ ربى ! ربى ! هل صحيح أننا نخلص أنفسـنا

---

(١٦) اشارة الى مسرحية « شيلر » المعروفة « دون كارلوس » عن ولى عهد اسبانيا الذى أحب زوجة أبيه ، وقد عاش من سنة ١٥٤٥ الى سنة ١٥٦٨ وكتب شيلر مسرحيته عنه سنة ١٧٨٧ ·

بآلامنا ؟ هل صحيح أن العالم مسيح مصلوب ،
وأن الشمس هى تاج الشوك حول رأسه ،
والنجوم هى المسامير والسهام فى قدميه
وجنبيه ؟

المربية : ياطفلتى ! ياطفلتى ! لا يمكننى أن أراك على
هذه الحال • لايمكنك أن تستمرى على هذا ،
أنت تقتلين نفسك • – ربما – من يدرى ؟ ان
شيئا كهذا يدور فى رأسى • فلننتظر ••
تعالى !

(تصحب الأميرة خارجة)

الفصــل الثــانى

كيف رن صوت

فى اعمق اعماقى

وابتلع مرة واحدة

كل تذكرياتى ٠

« أدالبيرفون كاميسو »(١)

(١٧٨١ ـ ١٨٣٨)

---

(١) أديب وشاعر وباحث فى التاريخ الطبيعى من أصل فرنسى ، فقد ولد فى سنة ١٧٨١ فى قصر بونكور بمقاطعة شمبانى بفرنسا ولكنه هرب مع أبويه من الثورة الفرنسية الى المانيا حيث تعلم اللغة الالمانية وكتب بها وان لم يستطع أن يتقنها تمام الاتقان ٠ يضعه مؤرخو الادب بين الرومانسية المتأخرة وأوائل الواقعية وقد اشتهر بروايته الرمزية القصيرة « حكايـــة بيتر شليميل العجيبة » عن رجل فقد ظله بعد أن باعه للشيطان فكتب عليه الضياع ٠

● المشـــهد الأول :

(ســقل فسيح ـ نزل فى الجانب الخلفى)

(يظهر ليونس ومعه فاليريو الذى يحمل حملا على ظهره)

فـــــــاليريو : (لاهث الأنفاس) شرفا يا أمير ، العالم بناء هائل واسع الأرجاء ·

ليـــــــونس : لا تبالغ ! لا تبالغ ! اننى لا أجسر أن أمد ذراعى ، وكأننى حبيس غرفة ضيقة صـنعت جدرانها من المرايا ، خوفا من أن أصطدم بها فتتفتت التماثيل الجميلة وتتكسر على الأرض وأقف أمام الجدار العارى وجها لوجه ·

فـــــــاليريو : لقد ضـــعت ·

ليـــــــونس : لن يحس بالضياع الا من يجدك ·

فـــــــاليريو : عما قريب ساضع نفسى فى ظل ظلى ·

ليـــــــونس : سوف تذوب ذوبانا تاما فى الشمس ، هل ترى هذه السحابة الجميلة فى السماء ؟ انها على الأقل فى ربع حجمك · وتطل فى ارتياح تام على المواد الغليظة التى جبلت منها ·

فـــــــاليريو : لن تستطيع السحابة أن تمس راسك باذى ، لو أمكن التحكم فيها بحيث تســـقط فوقه قطرة فقطرة ـ خاطر بديع ! هانحن أولاء قد جبنا عدداً من الامارات يزيد على عدد أصـــابع اليدين ، ونصفه من الدوقيات وبعض الممالك ،

وكل هذا فى اقصى سرعة وفى نصف يوم ــ ولماذا ؟ لأنه فرض عليك ان تصبح ملكا وأن تتزوج أميرة حسناء ! ومازلت تعيش فى هذه الحال ؟ • اننى لا أفهم زهدك وصدودك • ولا أفهم لماذا لم تشرب زرنيخا ، ولا لماذا لم تقف على سلم برج الكنيسة وتصوب رصاصة الى راسك فلا تخطئها •

ليــــــــونس : ولكن المثل العليا يافاليريو ! اننى احمل فى روحى المثل الأعلى لامرأة ولابد لى أن أبحث عنها • انها جميلة جمالا لانهاية له ، كما انها غبية غباء لا حد له ! ان جمالها كسير ومؤثر كانها مولود جديد • ذلك هو التضاد الممتع : هذه العيون السماوية الغبية ، وهذا الفم الالهى الساذج ، وهذا المنظر الجانبى « الاغريقى » ذو الأنف التى تشـــبه انوف الأغنام ، وهذا الموت الروحانى فى هذا الجسد الخالى من الروح ••

فـــــاليريو : ياللشيطان ! هانحن مرة اخرى على الحدود ! هذه بلد تشبه البصلة : لاترى العين فيها الا القشور او علب الكبريت التى وضع بعضها فى بعض : العلب الكبيرة ليس فيها الا علب ، والصــــغيرة لا تحتوى على شىء • (يقذف بحمله على الأرض) هل قدر لهذا الحمل ان يصبح شاهد قبرى ؟ انظر ايها الأمير ــ وانا الآن اتفلسف ! ــ هذه الصورة التى رسمتها

للحياة الانســـانية : اننى اجر هذا الحمـل بقدمين داميتين خلال الصـــقيع وتحت لهيب الشـمس ، لأننى أريد فى المســـاء أن ألبس قميصا نظيفا وعندما يأتى المساء أخيرا ، تكون جبهتى قد ملأتها التجاعيد ، ووجنتى غارت ، وعينى أظلمت ، ولا يتبقى لدى من الوقت الا ما يكفى لكى ألبس قميص أو كفنى • ولو كنت حاذقا لرفعت حملى من مكانه وبعته فى أول حانة تصادفنى ، ولشـــربت بثمنه ونمت فى الظل ، حتى يحل المساء ، ولوفرت على نفسى العرق الذى تصبب منى ، والأورام(٢) التى أوجعت قدمى • والآن ، أيها الأمير ، يأتى دور العمـــل والتطبيق : نريد الآن بدافع الحياء الخالص ان نكسو الانسان من الداخل أيضا ونلبسه سترة وسروالا (يتجهان ناحية النزل) آه ، ياجرابى العزيز ، ماهذه الرائحة الشهية التى تفوح من النبيذ واللحم المشوى ؟! آه ! ياســـروالى العزيز ، ما أحلى أن تمد الآن جذورك فى الأرض وتخضـــر وتزدهر ! وأن تتدلى عناقيد العنب الطويلة الثقيلة فى فمى ، ويتخمر عصـــير العنب تحت العصـــارة (ينصرفان) •

(الأميرة لينا ومربيتها)

---

(٢) المقصود هو تورم الأصابع الذى يعرف « بالكاللو » •

المـــــــــربية : لابد أنه يوم ساحر الفتنة ، فالشمس لا تريد أن تغيب ، وقد مر زمن لا آخر له منذ أن هربنا معـــاً ٠

ليـنـــــــــا : لا تبالغى ياحبيبتى ، فلم يكد يذبل الورد الذى قطفته ســـاعة الوداع ، عندما خرجنا من الحديقة ٠

المـــــــــربية : وأين سنستريح ؟ اننا لم نعثر على اى شىء حتى الآن ٠ لا أرى ديرا ، ولا نساكا ، ولا رعاة اغنام ٠

ليـنـــــــــا : لقد سرحنا باحلامنا ونحن نقرا خلف اسوار الحديقة ، بين أشجار المر(٣) والدلفى ٠

المـــــــــربية : أف : العالم فظيع ! ولم نعثر حتى الآن على اى اثر لابن ملك تائه ٠

ليـنـــــــــا : العالم رائع الجمال ٠ ومتسع غاية الاتساع ! بودى لو ظللت اسير ليل نهار ٠ مامن شىء يتحرك ٠ ظل وردة حمراء يمرح فوق الأعشاب، والجبال البعيدة ترقد فوق الأرض كأنها سحب نائمة ٠

المـــــــــربية : سيدى يسوع ، ماذا عساى اقول ؟ ومع ذلك فهى فى غـــاية الرقة والأنوثة : لقد زهـــدت فى كل شىء ٠ وهربت كما هربت القديســـة

---

(٣) أشجار المر أو الصبر وهى أشجار دائمة الخضرة ٠

أوتيليا(٤) • ولكن لابد ان نبحث عن مأوى : فقد أوشك المساء أن يحل علينا !

ليـنـــــــا : نعم • ان النباتات تضم أوراقها لتنام ، واشعة الشمس تسـترخى فوق أطراف الأعشـاب كالفراشات المتعبة •

***

● المشـهد الثـانى :

(النزل فوق مرتفع من الأرض يطل على نهر •

منظر شاسع • حديقة امام النزل • فاليريو وليونس)

فـــــاليريو : والآن يا أميرى ، ما رأيك فى الشراب اللذيذ الذى ينضح من سروالك ؟ الا تبتلع حذائك فى غاية السهولة ؟

ليـــــونس : هل ترى الأشـجار القديمة ، والسـياج والزهور ؟ لكل شىء منها حكاية ، حـكاية جميلة ، غنية بالأسـرار • هل ترى الوجوه

---

(٤) تقول خرافة من منطقة « الالزاس » انها هربت من والدها الدوق اتيخو الاول وذلك لرغبتها فى الزواج من « عريس السماء » •

العجـــوز الودودة فى ظل تكعيبة العنب أمام الباب ؟ وكيف يجلسون هناك وأيديهم متشابكة وفى قلوبهم خوف من أنهم قد شاخوا ، والعالم مازال شـــابا ؟ آه يافاليريو ، وأنا فى هذا الشباب والعالم بهذه الشـــيخوخة ! فى بعض الأحيان يتملكنى الذعر فأتمنى لو أجلس فى ركن بعيد لأرثى نفسى وأذرف دموعا ساخنة ٠

فـــــاليريو : (يناوله كأســــا) خذ هذه الكاس ، كأس الغواص ، وغص فى بحر الخمر ، حتى تطفو اللآلىء فوقك ٠ انظر كيف ترف الجنيات حول كئوس زهرات النبيذ ، وفى أقدامها احـــذية ذهبية ، وكيف تضرب الصناجات(٥) ٠

ليـــــونس : (قافزا) تعال يافاليريو ، يجب أن نعمل شيئا، نعمل شيئا ! نريد ان نفكر فى مسائل عميقة ، نريد أن نبحث كيف يحدث للكرسى أن يقف على ثلاث أرجـــل بدلا من اثنتين ٠ تعال ، نريد أن نشرح نملا ، ونحصى ذرات الرماد ! سوف أجعل من ذلك هواية الأمراء وسوف أبتهج كالأطفال الذين يلعبون بالشـــخاشيخ ولن اهدأ الا اذا جمعت الريش وضربته على الســـقف ٠ مازالت عندى جرعة حماس لم أســـتهلكها بعد ، ولكننى بعد أن أســـوى

---

(٥) آلة موسيقية عبارة عن صفائح نحاسية نصف كروية يضرب بهـا على اخرى ٠

الطعام ســـأحتاج الى زمن لانهاية له حتى أعثر على ملعقة آكله بها، وعلى هذه الملعقة يتوقف كل شيء •

فـــــــاليريو : ارجوبيبا موس !(٦) اذن فلنشـــرب ! هذه الزجاجة ليست حبيبة ولا فكرة ، انها لاتعرف آلام الوضع ، ولا تصبح مملة ، ولا تخون ، بل تظل هي نفسها لا تتغير من أول قطرة الى آخر قطرة • ما عليك الا أن تفض غطاءها ، وستفور في وجهك كل الأحلام الناعســــــة فيها •

ليــــــــونس : يا الهي ! أعدك أن أجعل نصف حياتي صلاة لك لو أنني وهبت عودا واحــــدا من القش اركب عليه كما اركب على ظهر جواد رائع، حتى أرقد أنا نفسي فوق القش • ـ يالهذا المساء الفظيع ! كل شيء ساكن على الأرض ، وفي السماء تركض السحب وتغير اشكالها ، وضـــوء الشمس يظهر ثم يغيب • انظر الى هذه الأشكال الغريبة التي تطارد بعضـــها في السماء ! انظر الظلال الطويلة البيضاء ذات الأقدام النحيلة المفـــزعة وهي ترف رفيف الوطاويط ! وكل شيء هناك يلهث ويضطرب ، وهنا لا تتحـــرك ورقة ولا عود • الأرض تكومت على نفســـها كطفل ، وعلى مهدها تخطو الأشباح •

---

(٦) باللاتينية : اذا فلنشرب •

فـــــــاليريو : لا أدرى ماذا تريد ، فأنا أحس بالبهجـــة تغمرنى . ان الشمس تبدو كأنها درع معلق على باب فندق ، والســحب المتوهجة التى تغطيها كأنها اللافتة المكتوبة فوقه : « فندق الشـــمس الذهبية » . والأرض والماء الذى يســـيل عليها كأنهما مائدة اندلقت الخمر فوقها ونحن نرقد عليها كأوراق اللعب ، التى يلعب بها الله مع الشيطان ليذودا الســـأم عنهما . انت الملك ، وأنا الولد ، ولا ينقص الا البنت ، البنت الجميلة ذات القلب الناعم على الصدر ، والســنابل الرائعة ، يتدلى أنفها الطويل على نحو يثير العواطف (تظهر المربية والأميرة) و ... يا الهى ! هاهى ذى بنفسها ! ولكنها ليست سنبلة بل تنشــيقة دخـــان ، وأنفها ليس أنفا ، بل خـــرطوم (للمربية) : لماذا تسيرين ، ياسيدتى المبجلة بهذه السرعة كلها ، حتى يكاد الانسان يرى عضلات ساقك لغاية شرائط جوربك المحترم ؟!

المـــــــــربية : (تظل واقفة وقد ظهرت عليها امارات الغضب الشديد)

ولماذا ياسيدى المحترم تفتح فاك على آخره فلا يرى الانسان أمامه الا فوهة واسعة ؟

فـــــــاليريو : لكى لا يصدم الأفق أنف سيدتى المبجلة فينزف دما . فمثل هذا الأنف يشبه برج لبنان المائل فى اتجاه دمشق .

لينـــــــــا : (للمربية) حبيبتي ، هل مازال الطريق أمامنا طويلا ؟

ليـــــــونس : (حالما) آه كل الطرق طويلة · دقات ســـاعة الموتى فى صدورنا بطيئة ، وكل قطرة دم تقيس الزمن ، وحياتنا حمى تزحف فى أعضائنا ·· الأقدام المتعبة تجد كل طريق طويلا ··

لينـــــــــا : (التي تصغى اليه متفكرة) والأعين المتعبة تجد كل شعاع قاسيا ، والشـــفاه المتعبة كل نسمة ثقيلة (مبتسمة) والآذان المتعبة كل كلمة مملة (تدخل مع المربية الى النزل) ·

ليـــــــونس : آه يافاليريو العزيز ! الم يكن فى استطاعتى أيضا أن أقول : الم يكن لهذا كله ولغابة من ادغـــال الـــريش والأزهـــار المكومة فـــوق حذائى ·· (؟)(٧) · أعتقد أننى قلت ماقلته أنا فى منتهى الحـــزن · الحمد لله ، أننى أوشكت أن أضع(٨) حزنى ! الهواء لم يعد ناصعا وباردا ، والســـماء تنحنى متوهجة فوقى ، وقطرات ثقيلة تتساقط على ··· آه من هذا الصوت : الم يزل الطريق طويلا ؟ · « أصوات كثيرة تتحدث فوق الأرض ، ويخيل للانســـان أنها تتحدث عن أشـــياء اخرى ، ولكننى فهمت صوتها · انه يرف فوقى رفيف

---

(٧) هذه العبارة ناقصة فى الأصل ··

(٨) الوضع هنا بمعنى الولادة ·

الروح فوق الماء ، قبل ان يكون النـــور ٠٠ ياللتخمر فى أعماق ذاتى ، ياللوجود الذى يولد فى نفسى ، وما أعذب هذا الصوت الذى ينســـاب فى المكان ! ــ ألم يزل الطــريق طويلا ؟ » (يخرج) ٠٠

فـــــــالريو : لا ، ان الطريق الى مسـتشفى المجانين ليس طويلا ، من السهل العثور عليه ، انا أعرف كل الدروب المؤدية اليه ، وكل الطرق المجاورة له والشــوارع المحيطة به ٠ اننى أراه الآن أمامى يسير على الطريق العريض الموصـل اليه ، فى يوم من أيام الشتاء الباردة ، حاملا قبعته تحت ابطه ، وأراه أمامى واقفـــا فى الظلال الطويلة تحت الأشجار العارية يروح عن نفسه بمنديله ٠ انه مجنون ! (يتبعه) ٠

* * *

● المشـــــهد الثـــالث :

(حجـــــرة)

(ليفـــا ــ المربيـــة)

المـــــــــربية : لا تشغلى نفسك بهذا الرجل !

ليفـــــــــا : كان يبدو عجوزا بين خصلات شعره الشقراء٠ الربيع على الخدين ، والشتاء فى القلب ! هذا

شيء محزن · ان الجسد المتعب يجد الفراش الذى ينام فيه فى كل مكان ، أما الروح المتعب فاين يجد المكان الذى يستريح فيه ؟ فكرة فظيعة تخطر على بالى : يخيل الى أن هناك نوعا من الناس يحسون بالشقاء ، بالتعاسة التى لا شفاء منها ، لمجرد احساسهم بانهم موجودون · (تنهض واقفة) ·

المربية : الى اين يا ابنتى ؟

لينا : اريد أن انزل الى الحديقة ··

المربية : ولكن ··

لينا : ولكن ماذا يا أمى ؟ تعرفين آنه كان ينبغى أن يضعونى داخل قفص من الزجاج المكسور ·· اننى أحتاج الى الندى ونسيم الليل كما يحتاج الورد اليهما · هل تسمعين أنغام السماء المنسجمة ؟ هل تسمعين الجنادب تغنى للنهار وبنفسجات الليل يهدهدنه بعطرهن لينام ؟! لا استطيع ان أبقى فى الحجرة · أحس أن الجدران ستنطبق على ·

* * *

● المشـــهد الـــرابع :

ـ الحديقة ـ ليل وضوء القمر ـ

(ترى لينا جالسة على العشب)

فـــــــالتريو : (منبعيد) الطبيعة جميلة ، وكانت تكون اجمل لو لم يوجد بعوض ولو كانت الأسرة انظف مما هى عليه ولم تدق ســـاعات الموت على الجدران(٩) . فى الداخـــل يغط الناس فى النوم ، وفى الخارج تنقنق الضـــفادع ، فى الداخل تصفر الصراصير ، وفى الخارج تطن صراصير الحقل . أيها العشب النضير ، هذا قرار خطير !(١٠) (يرقد على العشب)

ليـــــــوتس : (يظهر) ايها الليل الشافى البلسم ، كمثل اول ليلة هبطت على الفردوس !

(يلاحظ الأميرة ويقترب منها فى هدوء) .

لينـــــــــا : (تكلم نفسها) بعوضة العشب وشــوشت فى الحلم ـ

الليل ينام نوما عميقا ، خده يزداد شحوبا ، ونفسه تزداد سكونا . القمر يشبه طفلا ناعسا،

---

(٩) تعبير شعبى عن ديدان الخشب .

(١٠) يتلاعب المؤلف هنا بكلمتى عشب Rasen وغاضب Rasend وقد ترجمنا العبارة بتصرف .

تساقطت خصلات شـــعره ذهبية فوق وجهه
الحبيب · ـ آه ! أن نومه موت · ما أجمل
الملاك الميت الذى يرقد على مخـــدته المظلمة
والنجوم تشتعل من حوله كالشموع ! الطفل
المسكين ! انه حزين ، ميت ووحيد ·

ليـــــــــونس : انهضى فى ثوبك الأبيض وتجـــولى فى الليل
خلف جثته وغنى له أغنية الموت !

ليـنـــــــــا : من الذى يتكلم ؟

ليـــــــــونس : حـــلم ·

ليـنـــــــــا : الأحلام سعيدة ·

ليـــــــــونس : اذن فاحلمى انك ســــعيدة واجعلينى حلمك
السعيد ·

ليـنـــــــــا : الموت أسعد الأحلام ··

ليـــــــــونس : اذن فاجعلينى ملاك موتك ! دعى شفتى تهبطان
على عينيك كأنهما رفيف جناحيه · (يقبلها)
أيتها الجثة الجميلة · أنت ترقدين فاتنة على
كفن الليل الأســود ، فتجعلين الطبيعة تكره
الحياة وتعشق الموت ·

ليـنـــــــــا : لا ، اتركنى (تقفز واقفة وتبتعد بسرعة)

ليـــــــــونس : هذا كثير ! هذا كثير ! وجودى كله تجمع فى
هذه اللحظة الوحيدة · الآن مت ! مستحيل أن
تطمع فى أكثر من هذا · ما أبدع الخليقة التى
تطالعنى خارجة من ظلمة العماء ، منتعشــة

الأنفاس ، رائعة الحسن والبهاء ! الأرض وعاء
من الذهب المعتم : كم يزيد النور فيها ويفور
على حوافيها ، ويلمع سنى النجوم المتلألئة

فوقها • هذه القطرة من السعادة تحيلنى الى وعاء شهى • أسقط هنا أيها الكأس المقدس ! (يريد أن يلقى بنفسه فى النهر)

فـــــــالبريو : (يقفز ويمسك به) قف ياصـــاحب الســـمو والصفاء[11] !

ليــــــوتس : دعنى !

فـــــــالبريو : بمجرد أن تعود الى اتزانك وتعدنى بأن تدع الماء !

ليــــــوتس : أيها الغبى

فـــــــالبريو : ألم تتخلص بعد ياصـــاحب الســـمو من رومانتيكيتك فتحـاول أن تقذف بالكأس التى شربت منها على صحة حبيبتك ؟

ليــــــوتس : يبدو أن الحق معك !

فـــــــالبريو : عز نفسك ! ان لم تنم اليوم تحت العشب فحاول على الأقل أن تنام فوقه • أن الســـعى الى الفراش شبيه بمحاولة الاقدام على الانتحار • الانسان يرقد فوق القش كالموتى وتلســـعه البراغيث كالأحياء ••

---

(١١) التعبير يفيد هذا المعنى Serenssime ولكنه كان لقبا يطلق فى الأصل على أمراء الدويلات الألمانية الصغيرة •

ليـــــــــونس : على رايك (يرقد على العشب) لقد افســدت على اجمل انتحار ! لن اجد فى حياتى لحظة انسب من هذه اللحظة ، ولا جوا ابدع من هذا الجو • الآن تعكر مزاجى • افسدت كل شىء بسترتك الصفراء وسراويلك السماوية الزرقاء – فلتمنحنى السماء نوما صحيا عميقا !

فـــــــاليريو : آمين ! – اما انا فقد انقذت حياة بشرية من الموت ، وسوف يساعدنى ضميرى المرتاح على أن ادفىء الليلة جسدى •

ليـــــــــونس : نوما هنيئا يافاليريو !

الفصــل الثــالث

● المشــهد الأول :

ليونس - فاليريو

فــــــاليريو : تتزوج ؟ متى صممتم ياصاحب الســمو على الدخول فى التقويم الأبدى ؟

ليــــــونس : هل تعلم أيضا يافاليريو ان أقل للناس شأنا يبلغ من العظمة حدا يجعل الحياة أقصر بكثير من أن أن تتمكن من حبه ؟ ومن ذلك ففى وسعى أن أغبط صنفا من الناس يتوهمون أنه مامن شيءجميل أو مقدس الا وهم ملزمون بأنيزيدوا، جمالا وقداسة • أن فى مثل هذا الغــرور المحبوب نوعا من المتعة ، فلماذا أحرمهم منه ؟

فــــــاليريو : شعور انسانى جدا ووحشى جدا !(١) ولكن هل تعرف هى أيضا من انت ؟

---

(١) الكلمة الأصلية مركبة من كلمة يونانية ولاتينية ومعناهـــا محب للوحوش •

ليـــــــونس : انها لا تعرف الا انها تحبنى ··

فـــــــاليريو : وهل تعرفون سموكم من هى ؟

ليـــــــونس : أحمق غبى ! اسأل القرنفلة اذن او اسأل لؤلؤة الندى عن اسمها ·

فـــــــاليريو : معنى هذا انها شىء له وجود على كل حال ، ان لم يكن هذا التعبير خـــاليا من الذوق او يوحى بطعم البطاقات الشـــخصية(٢) : ولكن كيف يتم هذا ؟ ــ هه ــ يا أمير ، هل أصبح وزيرا لو لجمته اليوم بلجام الزواج المبارك امام ابيك مع تلك التى لا اسم لها ولا سبيل الى وصفها ؟ هل تعدنى ؟

ليـــــــونس : أعدك !

فـــــــاليريو : الشيطان المســكين فاليريو يحيى صـــاحب الســعادة الســيد الوزير فاليريو من وادى الفالير ! ــ ماذا يريد الغلام ؟ اننى لا أعرفه · أغرب عن وجهى ، أيها الوقح ! (ينصـــرف مسرعا يتبعه ليونس)

***

---

(٢) الكلمة الأصلية تفيد معنى الوصف الدقيق للافراد على نحو مايحدث فى السجلات المدنية والبطاقات الشخصية (الهويات) ·

● المشـــــهد الثـــــانى :

« ساحة واسعة أمام قصر الملك بيتر »

(رئيس مجلس المدينة ـ المعلم ـ فلاحون

فى ثياب يوم الأحد ، فى أيديهم فروع من شجر التنوب)

رئيس مجلس المدينة : أيها المعلم العزيز ، كيف حال رجالك ؟

المعـــــــــلم : هم صابرون على الرغم من ســـوء الحال ، متماسكون منذ عهد بعيد على هذه الحال ، يصـبون الخمر فى جوفهم ، ولولا ذلك لكان تماسكهم فى هذا الحر الشديد من المحال .. تشـجعوا أيها الناس مدوا أيديكم بفروع من أشجار التنوب ، حتى يظن من يراكم أنكم غابة من أشجار التنوب وأن أنوفكم المحمرة حبات من الفراولة وقبعاتكم لحم مشوى وضوء القمر يختفى بين سراويلكم المصنوعة من جلد الغزال. واعلموا أن على من يقف منكم فى المؤخـــرة أن يجرى باستمرار ليضع نفسه أمام من يقف فى المقدمة ، حتى يبدو كأن عددكم قد تضاعف بكثير(٣) ..

رئيس مجلس المدينة : أيها المعلم ، الظاهر أنك أوشكت أن تفيق من سكرتك .

المعـــــــــلم : بالطبع ، فأنا من الفرقان لا أكاد أستطيع الوقوف على قدمى .

---

(٣) حرفيا : كأنه ضرب فى جذر التربيع ..

رئيس مجلس المدينة : لاحظوا أيها الناس أنه قد نص فى البرنامج على مايلى : على جميع أفراد الرعية أن يرتدوا ثيابا نظيفة ، ويقفوا على طول الطريق الزراعى بوجوه راضية وبطون شبعانة . لاحظوا هذا ولا تجلبوا علينا العار !

المعلم : تمسكوا بالصبر والفضيلة ! لا تهرشوا خلف آذانكم ولا تضعوا أصابعكم فى أنوفكم عند مرور موكب صاحبى السمو العروسين ، وأظهروا التأثر بالمناسبة السعيدة والا استعملت معكم الوسائل المؤثرة ! اعترفوا بما فعلته السلطات من أجلكم : لقد وضعوكم فى صفوف مستقيمة حتى تهب الرياح عليكم من المطبخ وتشموا مرة واحدة فى حياتكم رائحة اللحم المشوى . هل تذكرون الدرس الذى علمتكم أياه ؟ هه ؟ يا ...

الفلاحون : يا ...

المعلم : عيش !

الفلاحون : عيش !

المعلم : يعيش !

الفلاحون : يعيش ![٤]

المعلم : هكذا ترى ياسيادة الرئيس أن مستوى الذكاء فى صعود . سنقوم الليلة أيضا باعداد رقصة

---

(٤) فى الأصل باللاتينية .

شفافة مستعينين بالثقوب التى تملأ ستراتنا وسراويلنا ، وسنتلاكم وننطح بعضنا البعض بالأشرطة التى تزين قبعاتنا ٠

***

● المشـــــهد الثـــــالث :

(قاعة كبيرة ٠ رجال وسيدات فى أحسن زينة ،

فى صفوف مرتبة بعناية ٠)

(يظهر رئيس التشريفات مع بعض الخدم فى مقدمة المسرح)

رئيس التشريفات : انها مصيبة ! كل شىء ضاع ٠ اللحم المشوى انكمش ٠ التهانى بالزفاف لم تصـــل بعد ٠ الياقات المدببة تقتل نفسها(٥) كآذان الخنازير الحزينة الفـــلاحون نمت أظافرهم ولحاهم من جديد العساكر طالت شـــعورهم ٠ ومن اثنتى عشرة عذراء لاتوجد واحدة لا تفضل الوضع الأفقى على الوضع العمودى ٠

الخـــــادم الأول : انهم يبدون فى ثيابهم البيضاء كالأرانب المتعبة، وشاعر البلاط يزوم حولهم كأنه خنزير بحرى

---

(٥) الكلمة الأصلية هى « قتلة الآباء » وكانت تدل قديما على ياقـــات القمصان الحادة المدببة ٠

مهموم · السادة الضابط فقدوا اتزانهم وسيدات البلاط يقفن هناك كأنهن الغرابيل أو المناخل ، يتبلور الملح فى عقودهن(٦) ·

الخادم الثانى : لقد أرحن نفوسهن على الأقل ، فلا يستطيع أحد أن يقول انهن يحملن شيئا على أكتافهن · واذا لم يكن صريحات القلوب فهن على الأقل مفتوحات حتى أعماق القلوب(٧) ·

رئيس التشريفات : نعم ، انهن أوراق جيدة من دولة الترك : ترى خلالها الدردنيل وبحر المرمر(٨) اذهبوا ، أيها أيها الأوغاد ! الى النوافذ ! هاهو صاحب الجلالة قد حضر ! (يدخل الملك بيتر والوزراء) ·

بيتر : أذن فقد اختفت الأميرة أيضا · ألم يعثر أحد على أى أثر لولى عهدنا المحبوب ؟ هل نفذت أوامرى ؟ هل الحدود مراقبة ؟

رئيس التشريفات : أجل ياصاحب الجلالة · أن التطلع من هذه القاعة يتيح لنا أن نراقبها مراقبة شديدة ·· (للخادم الأول) ماذا رأيت ؟

---

(٦) الكلمة الأصلية تدل على نوع من الغربال أو المنخل الآلى لتصفية الملح ·

(٧) يتلاعب المؤلف هنا بكلمتى Offen bis öum Herzen أى صريح و Offen herzig أى مفتوح الى القلب ، مما يصعب نقله نقلا يحفظ الاشارة الكامنة وراءه ، وهى اشارة جنسية كما لا يخفى على القارىء ·

(٨) أى ترى صورهن وأثداؤهن ·

الخـــادم الأول : كلبا يبحث عن سـيده ، وقد دخل الآن حدود المملكة ٠

رئيس التشريفات : (للخادم الثانى) وانت ؟

الخـــادم الثانى : ارى شخصا يتنزه على الحدود الشمالية ، ولكن ليس هو الأمير ، والا لكنت تعرفت عليه ٠

رئيس التشريفات : وانت ؟

الخـــادم الثالث : معذرة ـ لا شىء ٠

رئيس التشريفات : هذا قليل جدا ٠ وانت ؟

الخـــادم الرابع : لا شىء كذلك ٠

رئيس التشريفات : هذا ايضا قليل جدا ٠

بيـــــــتر : ولكن الم اصدر ايها الوزراء قرارى بان تفرح جلالتى الملكية فى هذا اليوم وان يحتفل فيه بالزفاف ؟ الم يكن هذا هو قرارى الاكيد ؟

رئيس التشريفات : اجل ياصاحب الجلالة ، هذا هو ما اثبت فى المحاضر الرسمية ، واعلن على الرعية ٠

بيـــــــتر : الن تكون هذه اهـــانة لى ، لو اننى لم انفذ قرارى ؟

رئيس التشريفات : لو كانت هناك طريقة اخرى تهينون بها جلالتكم، ففى استطاعتكم فى هذه الحالة ان تهينوها ٠

بيـــــــتر : الم اعد وعدى الملكى ؟ ـ نعم ، سـوف انفذ القرار الذى صممت عليه فى الحال ، سوف

أدخل الفرح على نفسى • (يفرك يديه) آه !
أنا فى منتهى الفرح !

رئيس الـــوزراء : نحن جميعا نشارك جلالتكم فى مشاعركم ، بقدر ماتستطيع الرعية وما يليق بها •

بيـــــــــتر : أوه ! لست أدرى ماذا أفعل من الفرح ! سوف آمر بصنع معاطف حمراء لوصفائى ، سوف أرقى بعض الجنود الى ضباط ، سوف أسمح لرعيتى •• ـ ولكن ، ولكن ، الزفاف ؟ الم ينص الجزء الأخير من القرار على الاحتفال بالزفاف ؟

رئيس الـــوزراء : نعم ياصاحب الجلالة •

بيـــــــــتر : واذا لم يحضر الأمير ولم تحضـــر الأميرة كذلك ؟

رئيس الـــوزراء : نعم ، اذا لم يحضر الأمير ولم تحضر الأميرة كذلك ، اذن •• اذن ••

بيـــــــــتر : اذن ، اذن ؟

رئيس الـــوزراء : اذن لايستطيعان أن يتزوجا •

بيـــــــــتر : قف عندك ! هل النتيجة منطقية ؟ اذا ـ اذا ـ صحيح ! ولكن وعدى ، وعدى الملكى !

رئيس الـــوزراء : عز نفسك ياصاحب الجلالة بجلالات أخرى ! ان الوعد الملكى شىء ـ شىء ـ شىء ـ لايدل على أى شىء •

بيـــــــــتر : (للخدم) الا تبصرون شيئا ؟

الخـــــــــادم : لا شيء ياصاحب الجلالة ، لا شيء

بيـــــــــتر : وانا الذى قررت أن ادخل السرور على نفسى ! أردت أن ابدأ مع دقة الساعة الثانية عشرة ، وافرح اثنتى عشرة ســاعة كاملة ـ ساكتئب الآن اكتئابا شديدا ٠

رئيس الــوزراء : ستصدر الأوامر الى الرعية كلها بأن تشارك جلالتكم فى شعوركم ٠

رئيس التشريفات : ومن لا يحمل منهم منديلا سيمنع من البكاء ، وذلك للمحافظة على الفضيلة ٠

الخـــادم الأول : انتباه ! اننى ألمح شيئا ! انه يشبه أن يكون الصدر ، أو الأنف ، أما الباقى فلم يعبر الحدود بعد ، وهاأنذا ارى رجلا ، ثم شــخصين من الجنسين ٠

رئيس التشريفات : فى أى اتجاه يسيرون ؟

الخـــادم الأول : انهم يقتربون ٠ يتجهون ناحية القصر ٠ هاهم؟ (يظهر فاليريو وليونس والمــربية والأميرة يحملون اقنعة على وجوههم)

بيــــــــتر : من انتم ؟

فـــــــاليريو : ومن اين لى أن أعرف ؟ (ينزع عن وجهه قناعا بعد قناع) هل انا هذا ؟ او هذا ؟ او هذا ؟ حقا ، لقد بدأت أخاف من أن انزع القشــور والأوراق عن نفسى قشرة قشرة وورقة ورقة ٠

بيــــــــتر : (مرتبكا) ولكن ـ لابد ان تكونوا شيئا على كل حال !

فـــــــــاليريو : مادمت قد أصدرت أوامرك ياصاحب الجلالة !
ولكن ، ايها السادة ، علقوا المرايا حولكم ، واخفوا أزراركم اللامعة قليلا ، ولاتنظرو الى هكذا حتى لاتنعكس صورتى فى عيونكم ، والا فلن أعرف فى الحقيقة من أنا ٠

بيـــــــــتو : هذا الرجل يربكنى ويحيرنى ويتعسنى ! أنا فى فى غاية الاضطراب !

فـــــــــاليريو : الحقيقة أننى أردت أن أعلن على الجمع الراقى المحترم حضور الآلتين المشهورتين فى العالم كله ، واننى ربما كنت ثالثهما واعجبهمـــا ، لو اننى استطعت فى الحقيقة أن أعرف من انا، الأمر الذى لايصح لأحد ان يتعجب منه ، اذ اننى لا أعرف شيئا مما اقول ، بل لا أعرف حتى اننى لا أعرف ، بحيث ان من المحتمل غاية الاحتمال أن هناك من يجرى على لسانى هذا الكلام ، وان الذى يخطب فيكم الآن ليس سوى مجموعة من الاسطوانات والأنابيب التى تصفر فيها الرياح ٠ (فى لهجة خطابية) ٠ سيداتى وسادتى ! انظروا هنا تروا شـــخصين من الجنسين ، ذكرا وانثى ، سيدا وسيدة ! لاشىء سوى الفن والميكانيكا ، لاشىء الا أوراق من الكرتون وعقارب ســـاعة ! لكل واحد منهما ريشة رقيقة رقيقة من العقيق تحت أظفر الأصبع الصغير فى القدم اليمنى ، يكفى أن تضـــغط عليه بلطف لكى تدور الآلة خمســـين عاما

كاملة • لقد صنع هذان الشـــخصان بدقة متناهية ، بحيث لن يستطيع المرء ان يميز بينهما وبين البشر الحقيقيين ، اذا لم يعرف انهما مجـــرد ورق مقوى ، بل ان فى الامكان أن ندخلهما أعضاء فى المجتمع البشرى • انهما فى غاية النبل ، فهما يتكلمان بلغة فصيحة • وأخلاقهما عالية جدا ، فهما يستيقظان على دقات الساعة ويتناولان طعام الغداء على دقات الســـاعة ، ويذهبان الى الفراش على دقات الساعة • وهضمهما كذلك يسير بانتظام تام ، مما يثبت ان ضمائرهما حية(٩) • واحساسهما بالذوق واللياقة احساس رفيع ، فالمدام ليس لديها اية فكرة عن البنطلونات ، والســـيد يستحيل عليه تماماً أن يصعد الســلالم خلف احدى الســيدات ، أو ينزل على الســــلالم فيتقدمها خطوة واحدة • وهما مثقفان الى اقصى حد ، فالسيدة تغنى أحدث الأوبرات ، والسيد يلبس مانشتات(١٠) سيداتى سادتى !

انتبهوا ! لقد دخلا الآن فى مرحلة هامة : ان ميكانيكا الحب قد بدات بالفعل ، فالسيد

---

(٩) عبارة تذكرنا بعبارة مشابهة فى مسرحية يوليوس قيصر لشيكسبير وتأثر بشنر به فى ترتيب المشاهد السريعة العديدة والولع بشخصية المهرج والتلاعب بالالفاظ أوضح من أن أشير اليه ••

(١٠) اى اساور منشاة ، وقد ابقيت على اللفظ الاصلى لحسن موقعه فى هذا السياق •

قد حمل شال السيدة عدة مرات ، والسيدة قد قلبت عينيها عدة مرات وتطلعت الى السماء ·· وكلاهما قد همس أكثر من مرة بالايمان والحب والأمل ! ان علامات الانسجام تبدو عليهما ، ولا ينقص الا الكلمة الصـــغيرة : آمين ·

بيـــــــــــتر : (واضعا أصبعه على أنفه) صور ! رموز ! اســـمع يارئيس الوزراء ، حين نأمر غيابيا بشنق انسان هارب من وجه العدالة ، ألا يكون هذا مساويا لشنقه فى الحقيقة والواقع ؟

رئيس الـــوزراء : معذرة ياصاحب الجلالة بل ان ذلك يكون أفضل بكثير ، ذلك أنه لن يشعر بأى ألم ، وان كان سيشنق مع ذلك ·

بيـــــــــــتر : الآن فهمت سنحتفل بالزفاف غيابيا (مشيرا الى لينا وليونس) هذه هى الأميرة ـ وهذا هو الأمير · ـ سأنفذ الآن القرار الذى صممت عليه ، سأدخل الســـرور على نفسى · دعوا الأجراس تدق ! تبادلوا التهانى ! وأنت ياواعظ البلاط ! أسرع !

(يتقدم واعظ البلاط ، ويتنحنح ، ويتطلع الى السماء عدة مرات)

فـــــــــاليريو : ابتدىء ! دعك من حـــركات وجهك اللعينة وابتدىء ! هيا !

واعظ البـــلاط : (فى شدة الارتباك) لو أننا ـ أو ـ ولكن ـ

فـــــاليريو : لما ـ الآن ـ

واعظ البـــلاط : ذلك أن ـ

فـــــاليريو : فى البدء قبل أن يخلق الله العالم ـ

واعظ البـــلاط : حدث أن ـ

فـــــاليريو : أحس الله بالسأم ـ

بيــــــتر : اختصر ياعزيزى ·

واعظ البـــلاط : (متمالكا نفسه) اذا سمحت ياصاحب السمو الأمير ليونس من مملكة بوبو ، وســـمحت ياصاحبة السمو الأميرة لينا من مملكة بيبى ، وسمحتما معا ياصاحبى السمو كل من جانبه بأن يقبل كل منكما الآخر زوجا ، فقولا بصوت مرتفع مسموع : نعم ·

لينا وليونس معا : نعم !

واعظ البـــلاط : مادام الأمر كذلك فانا اقول آمين ·

فـــــاليريو : احســـنت ، هذا هو ما قل ودل ، بهذا يكون الرجل والمرأة قد تم خلقهما وجميع حيوانات الفردوس تحيط بهما · (ليونس ينزع القناع عن وجهه)

الجميـــــع : الأمير !

بيــــــتر : الأمير ! ابنى ! لقد ضعت ، خدعت ! (يهرول نحو الأميرة) ومن هذا ؟ ساعلن أن كل ماحدث لاغ !

المـــــــــربية : (تنزع القناع عن وجه الأميرة ، وتصــيح منتصرة) الأميرة !

ليـــــــونس : لينا ؟

لينـــــــــا : ليونس ؟

ليـــــــونس : لينا ، أعتقد أننا هربنا الى الجنة ٠

لينـــــــــا ! لقد خدعت !

ليـــــــونس : خدعت !

لينـــــــــا : ياللمصادفة !

ليـــــــونس : ياللعناية الالهية !

فــــــاليريو : لابد ان أضحك ! لابد ان أضحك ! فقد تصادف لقاؤكما ياصاحبى السمو بمحض المصادفة ٠ اتعشم لأجل خاطر المصادفة أن يهنأ خاطركما ٠

المـــــــــربية : من كان يصدق أن عينى العجوزين ســتريان هذا ! ابن ملك تائه ! الآن أستطيع أن أموت وأنا مرتاحة البال ٠

بيـــــــــتر : يا أبنائى ، أنا متأثر ، لا أدرى ماذا أفعل من شدة التأثر ٠ أنا أسعد انسان ! هانذا ياولدى أعلن على الملأ أننى أضع الحكم بين يديك ، وأننى سأنصــرف الآن الى التفكير دون أن يزعجنى شىء ٠ أما هؤلاء الحكماء (يشير الى الوزراء) فاتركهم لى ياولدى ، لــكى يساعدونى فى الجهود التى سأبذلها ٠ تعالوا أيها السادة ٠ يجب أن نفكر ، يجب أن نفكر

بغير أن يزعجنا شيء • (ينصرف مع الوزراء) أريكنى هذا البنى الآدم لابد أن أحاول الآن أن أستعيد نفسى •

ليـــــــونس : (للحاضرين) سادتى ! باسم زوجتى وباسمى أعلن عن أسفى لأننا أرهقناكم اليوم بخدمتنا • ان وضعكم مؤسف الى حد أننا لن نضع صبركم موضع الاختبار أكثر من هذا : اذهبوا الآن الى بيوتكم ، ولكن لا تنسوا ان تأخذوا خطبكم ومواعظكم ، وقصائدكم ، لأننا سنبدأ اللعبة مرة أخرى من أولها غدا • الى اللقاء !

(ينصرف الجميع ، باستثناء ليونس ولينا وفاليريو)

ليـــــــونس : هل ترين يالينا كيف امتلأت جيوبنا بالدمى واللعب ؟ ماذا نفعل الآن بها ؟ هل نضع لها شوارب ونعلق فى أيديها سيوفا ؟ أم نكسوها سترات سوداء ونعلمها احتراف السياسة ، والدبلوماسية ونجلس أمام الميكروسكوب لنراقبها ؟ أم تشتاقين لصندوق غناء ، تجرى عليه الفيران الجمالية[11] البيضاء كالحليب ؟ هل نبنى مسرحا ؟ (لينا تميل عليه وتهز رأسها) • ولكننى أعرف ما تريدينه خيرا منك : سنأمر بتحطيم جميع الساعات ونحرم حيازة النتائج السنوية ، ولا نقيس الساعات

---

(١١) أى ترضى ذوى الشعور المرهف الاحساس بالجمال •

والأقمار الا بتوقيت الوردة ، والزهرة والثمرة
•• ثم نحيط البلد بالمرايا المشـــتعلة ، حتى
لاياتى الشتاء بعد اليوم ونحيا فى الصيف فى
جو ايشيا وكابرى(١٢) ، ونمضى السنة كلها
بين ازهار البنفسج ، وثمار البرتقال واكاليل
الغار •

فـــــــــاليريو : واما انا فســـوف أصـــبح وزيرا ، وساصدر
مرسوما يقضى بأن كل من تتشقق كفاه من
العمل يوضع تحت الوصاية ، وكل من يمرض
نتيجة الارهاق فى العمل يضع نفسه من الناحية
الجنائية موضع العقاب ، وكل من يفتخر بأنه
ياكل عيشه من عرق جبينه يعلن على الملأ انه
مجنون وانه خطر على المجتمع البشرى ، ثم
نرقد فى الظل وندعو الله أن يرزقنا ماكارونه ،
وليمونا أصفر ، وتينا ، كما نتوسل اليه أن
يهبنا حناجر موسيقية ، واجساما كلاسيكية ،
وديانة مريحة !!(*) •

---

(١٢) جزيرتان فى جنوب ايطاليا مشهورتان بجوهما الجميل الملائـــم للسياحة والتصييف •
(*) الكلمة الأصلية بالفرنسية •

فهرس

فويســـك

الأشـــخاص :

فويسك • مارى

ضابط ـ طبيب ـ ضابط الطبول

صف ضابط ـ أندريس ـ مرجريت

صاحب حانة : مناد فى السوق

الصبى الأول (عامل يدوى) الصبى الثانى

كيته ـ كارل العبيط ـ الجدة ـ ثلاثة أطفال

الأول والثانى ـ مفتش البوليس

جنود ـ طلاب ـ فتية وفتيات ـ أطفال ـ جمهور

عند الضـــــابط

الضابط على كرسي ـ فويسك يحلق له شعره

الضـــــــــابط : على مهلك يافويسك ! ! واحدة ! واحدة ! يكاد يغمى على ماذا أصنع بالدقائق العشر التى تتبقى لى أن فرغت من الحلاقة قبل الميعاد ؟ فويسك · فكر معى : مازال أمامى ثلاثون عاما أعيشها · ثلاثون عاما حلوة · أى ثلاثمائة وستون شهرا ! ويوما ! وساعة ! ودقيقة ! ماذا عســـاه أن يفعل بهذا الزمن الهائل · يقسمها يافويسك[1] ؟

فويســـــــــك : تمام ياحضرة الضابط ·

الضــــــــــابط : الرعب يتملكنى كلما فكرت فى الأبدية · شغلة يافويسك ، شغلة ! أبدى · هذا أبدى ، هذا أبدى · شيء واضح كما ترى ، لكن الواقع انه ليس أبديا وانما هى لحظة ، نعم لحظة واحدة

---

(١) يلاحظ أن الضابط يتكلم عن نفسه بضمير الغائب وكأنه شخص آخر ، كما يفعل هذا أيضا مع المخاطب ·

ـ فويسك ، اننى أرتعد خوفا كلما فكرت أن الدنيا تدور حول نفسها كل يوم · ياله من زمن ضائع ! الى أين ينتهى بنا هذا ؟ فويسك انى لا أرى طاحونة الا استبد بى الحزن ·

فويســــــــك : تمام ياحضرة الضابط ·

الضــــــــابط : فويسك أنت دائما مستعجل ! دائما ملهوف ! الرجل الطيب لا يفعل هذا · الرجل الطيب ذو الضمير الطيب ـ تكلم يافويسك ، قل شيئا ! ما حال الجو اليوم ؟

فويســــــــك : سيىء ياحضرة الضابط سيىء · ريح !

الضــــــــابط : اننى أحس به فعلا · شىء كالعاصفة يدور فى الخارج · مثل هذه الرياح تذكرنى بالفيران · (فى خبث) أعتقد أن شيئا كهذا يأتينا من الجنوب الشمالى ؟

فويســــــــك : تمام ياحضرة الضابط ·

الضــــــــابط : ها ! ها : ها الجنوب الشمالى ! ها ! ها ! ها ! آه اننى غبى ! غبى الى حد شنيع (يتأثر) فويسك انه انسان طيب · ولكن (باستعلاء) فويسك !

انه بلا أخلاق ! أخـــلاق ! ذلك مايكونه الانسان عندما يكون على خلق هل يفهم ؟ انها كلمة طيبة · لديه طفل من غير بركة الكنيسة ، كما يقول واعظ القشلاق المبجل · بغير بركة الكنيسة · لست أنا الذى أقول هذا ·

فويســـــــك : سيدى الضابط · ان الله لا يحاسب الدودة المسكينة ان كانت بركة آمين قد هبطت عليها قبل أن تخرج الى الوجود · الرب قال اتركوا الصغار يأتون الى ·

الضـــــــابط : ماذا يقـول ؟ ماهذا الجـواب العجيب ؟ انه يربكنى بجـــوابه · كلما قلت هو فانما أعنى أنت ·

فويســـــــك : نحن المساكين ـ انظر ياسيدى الضابط · المال ·· المال · من لامال معه ، فماذا تنفعه الأخلاق فى هذه الدنيا ؟ نحن ايضا من لحم ودم ·· أمثالنا أشقياء فى الدنيا وفى الآخرة · لو ان أبواب السماء فتحت لنا لكان علينا ان نساعد فى قصف الرعود ·

الضـــــــابط : فويسك · انه عديم الفضيلة ! انه انسان غير فاضل ! لحم ودم ! عندما أقف فى نافذتى ، وقد تساقط المطر ، اتابع ببصـــرى الجوارب البيضاء وهى تخطر عابرة الأزقة ـ الويل ! فويسك ، عندئذ يراودنى الحب ! أنا أيضا من لحم ودم · ولكن الفضـــيلة ، يافويســـك ! الفضيلة ! كيف اذن كنت أصرف وقتى ! اننى اقول لنفسى دائما : انت رجل طيب (متأثرا) رجل طيب · رجل طيب ·

فويســـــــك : نعم ياسيدى الضابط ، الفضيلة لم اذق طعمها بعد · انظر · ان عامة الناس من أمثـــالنا لايعرفون ماهى الفضيلة · الطبيعة هى التى تتحكم فيهم · لو كنت سيدا واضع على راسى

قبعة وفى يدى ساعة وسلسلة واستطيع التحدث بلباقة لاشتهيت ان اكون فاضـــلا • لابد ان الفضيلة شيء جميل ، ياسيدى الضـــابط ، ولكننى فتى مسكين •

الضـــــــابط : طيب يافويسك • انت رجل طيب ، رجل طيب • ولـــكنك تفكر أكثر من اللازم • وهذا يقضى عليك، وانت دائما ملهوف ومستعجل ـ الحديث معك ضعضعنى • اذهب الآن ، ولا تجر كعادتك على مهلك ، انزل الشارع على مهلك !

« فضـــاء • المدينة تبدو من بعيد »

« فويسك واندريس يقطفان اعوادا فى حرش »

انـــــــدريس : (يصفر)

فويســـــــك : أجل يا أندريس ، المـــكان ملعون • هل ترى الخط المضيء المنشور هناك فوق العشـــب ، حيث تنمو الاســـفنج ؟ هناك يتدحرج الرأس ليلا ، مرة التقطه واحد من مكانه ، يقول انه قنفد ، ثلاثة أيام وثلاث ليال ، رقد فيها على الواح الخشب • (همسا) : أندريس ، انهم الماسونيون ! الماسونيون ! لقد عرفت السر !

انـــــــدريس : (يغنى) :

بدا على البعد أرنبان(٢)

---

(٢) حرفيا : هناك جلس ارنبان ، العشب الاخضر ، العشب الاخضر •

كانا على العشب يجلسان

ومن ندى العشب ياكلان

فويســـــــك : سكوت ! هل تسمع يا أندريس ؟ هل تسمع ؟ شيء يتحرك هناك !

أنـــــــدريس : (يغنى) :

حتى التهما العشب الأخضر

ماتركا منه شيئة يذكر(٣)

فويســـــــك : انه يتبعني ، يتحرك تحت قدمى . (يدق الأرض بقدميه) أجوف ، هل تسمع ؟! كل شيء أجوف تحتنا ! الماسونيون !

أنـــــــدريس : انا خائف ..

فويســـــــك : هذا السكون الغريب . يود الانسان أن يحبس أنفاسه ! أندريس !

أنـــــــدريس : ماذا ؟

فويســـــــك : تكلم ! (يحملق جامدا فيما حوله) أندريس ! هذا النور ! فوق المدينة هالة من اللهب ! نار تتصاعد في الأفق وصخب أبواق تنحدر الى الأرض شيء يقتلعنى . شيء يجـــذبنى الى أعلى . كأنها الأشـــباح ! لنبتعد ! لا تتلفت وراءك ! (يجذبه الى الدغل)

---

(٣) حرفيا : التهما العشب الاخضر ، العشب الاخضر ، حتى الحشائش .

أنــــــــدريس : (بعد برهة) فويسك ، هل مازلت تسمع ؟

فويســــــــك : سكون · كل شيء ساكن · كأن العالم مات ·

انــــــــدريس : هل سمعت ؟ انهم يقرعون الطبول · لابد أن نذهب !

المدينـــــــة

(أمام النافذة ماريا تحمل طفلها بين ذراعيها ـ مرجريت)

(يمر طابور عسكرى في مقدمته ضابط الطبول)

مــــــــاريا : (تهدهد الطفل بين ذراعيها) هه ، سارا را را! هل تسمع ؟ هاهم قادمون ·

مــــــرجريت : ياله من رجل ، كأنه شجرة !

مــــــــاريا : واقف على رجليه وقفة السبع ! (ضابط الطبول يحيى)

مــــــرجريت : وهذه النظرات الودودة · ياست الجارة ! لم تعودينا على رؤيتها ·

مــــــــاريا : (تغنى) كتائب العسكر : أولئك الفتيان ·

مــــــرجريت : مازالت عيناك تلمعان ·

مــــــــاريا : ولو ! اذهبى بعينيك الى اليهودى ودعيـــه يمسحهما ، فقد تلمعان ايضا وتبيعينهما مقابل زرارين ·

مــــــرجريت : ماذا ؟ أنت ياعانس ! أنا شريفة ، أما انت فكل

واحد يعرف من أنت ! كل واحد يكشفك ولو لبست سبعة سراويل من الجلد فوق بعض !

مـــــــاريا : يافاجرة ! (تغلق النافذة) تعال ياصـــغيرى نبتعد عن عيون الناس · ما أنت الا ابن حرام مسكين ، تفرح أمك بوجهك المنحوس · ها ! ها ! (تغنى) :

يافتاتى ·····

ضاقت الدنيا فماذا تصنعين ؟

ويل أم مالها الدهر قرين

لى وليد ليس يدرى من أبوه

أمه يعرفها أما أبوه ؟

لو قضيت الليل أشدو وأغنى

ما حنا قلب عليه أو عليا

لا ولا امتدت يد تعطيه شيا

(طرق على الباب)

مـــــــاريا : من ؟ فرانز ؟ ادخل !

فويســــــك : لا أستطيع · لابد أن أذهب للقشلاق ·

مـــــــاريا : هل قطعت الأعواد للضابط ؟

فويســــــك : نعم ياماريا ·

مـــــــاريا : مالك يافرانز ؟ الارتباك يبدو عليك ·

فويســــــك : (ماخوذا كأنه يهمس بشيء) ماريا ، لقد عاد الى الظهور من جديد • شيء رهيب لا اســم له • فجأة تصاعد دخان من المراعى ، كالدخان الذى يتصاعد من فرن ؟

مـــــــاريا : يارجل !

فويســــــك : ظل يتبعنى الى مشارف المدينة • شيء لا ندركه •• لانستطيع تصوره • شيء يسلبنا العقل • ترى ماذا يكون ؟ الى اين يسوقنى ؟

مـــــــاريا : فرانز !

فويســــــك : لابد أن اذهب للسجن اليوم مساء فى القداس ! لقد ادخرت شيئا • (ينصرف) •

مـــــــاريا : الرجل مسته الأرواح • لم ينظر الى طفله ! مازال غارقا فى افـــكاره ! لماذا ســكت ياصغيرى ؟ هل انت خائف ؟ الظلام يزحف ، يكاد الانسان يحسب نفسه أعمى وكان الصباح يرسل نوره هنا • لا أستطيع ان احتمل هذا الظلام ، اننى ارتعد ! (تنصرف)

(اكشاك ـ اضواء ـ جمهور)

(عجوز يغنى وطفل يرقص على انغام صندوق مما يحمله المغنون الجوالون فى الشوارع)

هذه الدنيا زوال وفتون

كل ما كان وماسوف يكون

كتب الموت علينا أجمعين

ذاك مانعلمه علم اليقين

فويسك : هاى ! عجوز مسكين ! طفل مسكين ، طفل صغير ! هموم واعياد !

ماريا : عجبا . ان كان الحمقى قد فقدوا عقولهم ، فكلانا أحمق – عالم مضحك ! عالم جميل !

(يتجهان نحو الصائح فى السوق)

الصائح فى السوق : (على احد الأكشاك ومعه زوجته وقرد فى ثياب مزوقة) سيداتى ، سيداتى ! انظروا الى الخليقة كما ابدعها الله . لاشىء . لا شىء بالمرة تأملوا الآن الفن ، يسير منتصب القامة ، عليه سترة وسروال ، وفى يده سيف ! القرد عسكرى ، ليس هذا هو كل شىء .. أدنى درجات النوع الانسانى ! هوه ! انحنى للسادة ، هكذا – أنت بارون قبلة للزبائن (يطبل) الصعلوك موسيقار موهوب !

سيداتى ! سيداتى ! أمامكم الحصان الفلكى وعصفور الكنارى الصغير . كل ملوك أوربا تحبهما .

يكشفان كل الأسرار : العمر ، عدد الأطفال ، نوع المرض ، العرض بدأ ! بداية البداية فى الحال !

فويسك : لك مزاج ؟

مـــــــــاريا : كما تحب • لابد أنها حـــاجة حـــلوة • هذا الطرطور على رأس الرجـــل ! والمرأة تلبس سراويل !! (يدخلان الكشك) •

ضـــابط الطبول : قف ! هاها ! هل تراها ؟ يالها من حرمة !

الصـف ضـابط : يا ابليس ! كأنها خلقت لتهجـــين فصـــائل الفرسان !

ضـــابط الطبول : وتوليف ضباط الطبول !

الصـف ضـابط : انظر كيف تحمل رأســـها بين كتفيها ! يخيل للانسان أن الشعر الأسود لابد أن يشدها الى الوراء كأنه حمل ثقيل – والعيون –

ضـــابط الطبول : كما لو كان الانسان يطل فى ينبوع أو ينظر فى مدخنة • هيا بنا ، وراءها !

(الكشـــك المنور من الداخـــل)

مـــــــــاريا : هذا النور كله !

فويســـــــك : نعم ، يا ماريا • قطط سوداء عيونها من نار • آه : يالها من ليلة !

صاحب الكشـك : (يستعرض حصانا أمام الجمهور) : أظهر مواهبك ! بين مفهوميتك الحيوانية ! اخجـــل المجتمع البشرى ! سادتى ! هذا الحيوان الذى ترونه أمامكم ، بذيله وحوافره الأربعة ، عضو فى كافة الجمعيات العلمية •

بروفســـور فى جامعتنا ، على يديه يتعلم الطلبة ركوب الخيل والمبارزة • ذلك هو العقل

البسـيط • فكر الآن بالعقل المزدوج ! ماذا تفعل عندما تفكر بالعقـل المزدوج ؟ هل بين اعضاء الجمعية العلمية التى نراها حمار ؟ (البغل يهز رأسـه) هل رايتم الآن العقـل المزدوج ؟ هذه فزيونوميا حيوانية(٤) • أجل ليس هذا بهيما غبيا ، انه شخص ، انسان ، انسان حيوانى ، ومع ذلك فهو بهيم ، حيوان متوحش (البغل يعرض نفسه فى خيلاء) هكذا اخجـل الجميع • انظروا ، ان البهيم طبيعة بحتة ، طبيعة غير مثالية تعلموا منه ! اسالوا الطبيب ، والا أصابكم ضرر بليغ • كان يقال : أيها الانسان ، كن على طبيعتك ! لقد خلقت من طين ، ورمل ، ووسخ • هل تطمع أن تكون أكثر من طين ورمل ووسخ ؟ انظروا ما بلغه من العقل • ان فى امكانه أن يحسب بدون أن يعد على أصابعه • لماذا ؟ لأنه لايستطيع أن يعبر عن نفسه ، أن يشرح خواطره ، انه انسان ممسوخ • قل للسادة كم الساعة الآن ! من من السادة والسيدات لديه ساعة ؟ ساعة ؟ •

الصف ضابط : ساعة ؟ (يخرج فى زهو ساعة من جيبه) هاك هى ياسيدى !

مـاريا : لابد أن أرى هذا (تشق طريقها الى الصفوف الأمامية ، الصف ضابط يساعدها)

---

(٤) أى فراسة ، وهى علم الاستدلال على الطباع من ملامح الوجـه وتكوين الخلقة •

ضــــابط الطبول : أما حرمة !

(غــــرفة مــــاريا)

مــــــــــــاريا : (جالسة طفلها على حجرها ومرآة صغيرة في يدها) والرجل الآخر أمره فاضـــطر أن يذهب ! (تنظر في المرآة) : كم تلمع الأحجار ! من أي نوع ياترى ؟ ما الذى قـــاله ؟ نم ياصغيرى ! اقفل عينيك · اقفلهما جيدا (الطفل يخفى عينيه بيديه)

هل تغلقها جيدا ؟ ابق هكذا ـ حذار أن تبكى ، والا جاء وخطفك (تغنى) :

يا فتاة ·······

أغلقى الشباك حتى لا يراك

أسمر العينين من أرض الفجر

فارس لو أبصـــرته مقلتاك

لحظة أو قبلته شــــفتاك

ربما يطويك فى لمح البصر

فى ذراعيه الى أرض الفجر ! ،

(تعيد التطلع فى المرآة ، ··نك أنه من ذهب ! هل يا ترى سيليق ·ى فى الرقص ؟ آه من بختنا نحن المســـاكين كتب للواحدة منا ركن

---

(٥) تصرفت فى هذه الأغنية قليلا ، ولكننى حافظت على المعنى الأصلى ·

صغير فى هذا العالم ، ومرآة صـــغيرة فى اليد • مع ان لى شفة حمراء كنساء الذوات بمراياهن الكبيرة من شـــعرهن الى القدم ، ورجالهن المرفهين الذين يقبلون أيديهن • ما أنا الا امرأة مسكينة !

(الطفل يصحو من نومه) نم • نم ياصغيرى ! اقفل عينيك ! عفريت الليل • هاهو يمشى على الحائط وينظر بعينين من زجاج • نم ، والا يحلق فيك وخطف عينيك !

(فويسك يدخل ويقف وراءها بحيث لاتراه • ماريا تتحسس الحلق بيدها)

فويســــــك : ما هذا ؟

مـــــــاريا : لاشىء •

فويســــــك : والذى يلمع تحت أصابعك ؟

مـــــــاريا : حلق عثرت عليه •

فويســــــك : شىء كهذا لم أره فى حيـــاتى ، اثنين مرة واحدة !

مـــــــاريا : ألست مثل كل الناس ؟

فويســــــك : لابأس ياماريا • الطفل ينام ! اجذبيه من تحت ذراعيه فالكرسى يضغط عليه • قطرات تلمع فوق جبهته ، تعب كل ماتحت الشمس ، حتى فى نومه يتصبـــب الانســـان عرقا • نحن

المساكين ! خذى ياماريا ، المرتب وشىء من الضابط ·

مـــــــاريا : ربنا يجازيك بالخير يافرانز ·

فويســـــك : لابد أن أذهب الليلة ياماري ! الوداع !

مـــــــاريا : (وحدها ، بعد برهة) ما أنا فى الحقيقة الا انسان سيىء · انى أكاد أقتل نفسى ·

آه من هذا العالم ! ليذهب الجميع الى الشيطان رجالا ونساء !

(عند الطبيب)

(فويســـــك ـ الدكتور)

الدكتـــــــور : ماذا اسمع يافويسك ؟ هل هذه كلمة رجل ؟

فويســـــك : ماذا حصل ياسيدى الدكتور ؟

الدكتـــــــور : رأيت بعينى ، بعينى يافويسك وأنت تبول فى الشارع ، وأنت تبول على الحائط كما يفعل الكلب ـ وكل يوم ثلاثة قـــروش والزاد ! فويسك ، هذا شىء بطال ، العالم يسوء كل يوم ، يسوء للغاية !

فويســـــك : ولكن ياسيدى الدكتور ، عندما تتحكم الطبيعة فى الانسان ·

الدكتـــــــور : الطبيعة ! الطبيعة ! الم اثبت بما لا يقبل الشك أن العضـــلة القابضة موسكولوس كونستركتور

فيسكاى(٦) خاضعة لارادة الانسان ؟ الطبيعة ! فويسك ! ان الانسان كائن حر · ف الانسان تسمو الفردية الى الحرية · وانت لا تستطيع أن تتحكم فى البول ؟ (يهز رأسه) (يعقد يديه خلف ظهره ويمشى فى الحجرة ذهابا وايابا)

هل اكلت البسلة يافويسك ؟ لاشىء غير البسلة ، كروسيفراى(٧) ، لاحظ هذا ! ستكون ثورة فى العلم · سافجره فى الهواء · بول عشرة فى المائة امونيوم ، هيروكسيدول ، حامض هيدوكلوريك فويسك · هل تحس انك مزنوق ؟ ادخل وجرب ·

فويسك : لا أستطيع يادكتور ·

الدكتور : (منفعلا) أما على الحانة فنعم ! عندى الدليل المكتوب ، والعقد فى يدى ! رأيت كل شىء ، بعينى هاتين ، كنت اخرج انفى من النافذة لتسقط عليها اشعة الشمس وأراقب العطس (يتجه نحوه) لا يا فويسك ، لست غاضبا · ان الغضب غير صحى ، غير علمى · اننى هادىء ، كل الهدوء ، كالمعتاد ، واقول لك هذا بمنتهى البرود · ياحفيظ ، ومن يغضب نفسه من أجل انسان ، من أجل انسان ! حتى لو

---

(٦) باللاتينية لتتم الحذلقة العلمية ! ومعناها عضلة المثانة القابضة ·

(٧) باللاتينية ايضا ومعناها الهول أو الويل لك ·

كان بروتيوس(٨) ويموت أمامه ! ولكن يافويسك لم يكن يصح أن تبول على الحائط ٠

فويســــــــك : انظر ياسيدى الدكتور، فى بعض الأحيان يكون للواحد منا اخلاق ، يكون له طبع ــ أما مع الطبيعة فالأمر يختلف ، انظر ، مع الطبيعة (يطقطق أصابعه) ماذا أقول ياترى ، على سبيل المثال ٠٠٠

الدكتــــــــور : فويسك ٠ رجعت للفلسفة ٠

فويســــــــك : (فى ود) سيدى الدكتور هل سمعت مرة عن الطبيعة المزدوجة ؟

عندما تظهر الشـمس فى عز الظهر ، ويبدو العالم كأنه يحترق ، اسمع صوتا مخيفا ينادى على ٠

الدكــــــــور : فويسك عندك خلل ، أبيرراتسيو(٩) !

فويســــــــك : (يضع اصبعه على أنفه) الاسفنج ، ياسيدى الدكتور ، هناك ، هناك تختبىء ٠ هل لاحظت مرة أشكال الاسفنج التى تثبت على الأرض ؟ أين من يفهم هذا ؟

الدكتــــــــور : فويسك ! عندك أجمل حالة اختلال عقلى جزئى أبيرراتســيو منتاليس بارتياليس(١٠) ، النوع

---

(٨) نوع من السحالى ٠
(٩) باللاتينية : علل ذهنى ٠
(١٠) نفس العبارة باللاتينية أيضا ٠

الثانى ، واضح تمام الوضوح · فويسك · ستأخذ علاوة · النوع الثانى · فكرة ثابتة مع حالة طبيعية بوجه عام · هل تؤدى أعمالك كالمعتاد ؟ هل تحلق للضابط ؟

فويسك : نعم ·

الدكتور : وتأكل البسلة ؟

فويسك : بانتظام ياسيدى الدكتور · ومصاريف المعاش تأخذها زوجتى ·

الدكتور : وتخدم فى القشلاق ؟

فويسك : نعم ·

الدكتور : حالة مدهشة يانفر فويسك ، ستأخذ علاوة اثبت · هات النبض · تمام ··

(حجرة ماريا)

(ماريا : ضابط الطبول)

ضابط الطبول : ماريا !

ماريا : (وهى تنظر اليه بصوت معبر) تمشى قدامى ! الصدر صدر ثور والذقن ذقن سبع · وماله نظير ·· انا افتخر بك امام كل النسوان !

الضابط : عندما أعلق الريشة الكبيرة يوم الأحد والبس القفاز الأبيض ، رعدك باسما ! الأمير يقول دائما : رجل ولا كل الرجال !

ماريا : (بتهكم) أوه ! (تقترب منه) رجل !

الضـــــــابط : وانت المرأة ! ياشـــياطين ! تعالى نرمى بذرة ضابط الطبول ! هوه ؟ (يعانقها)

مــــــــاريا : (فى ضيق) اتركنى !

الضـــــــابط : ياوحش !

مــــــــاريا : (بحرارة) لا تلمسنى !

الضـــــــابط : هل يندلع الشيطان من عينيك ؟

مــــــــاريا : على رأيك ! كله واحد !

(ـ شـــــارع ـ)

(الضابط ـ الدكتور يهبط الشـارع مسرعا

يقف ينحنى ، ثم يتلفت حوله)

الضـــــــابط : يادكتور ، لا تجر هكذا ! لا تطوح بعصـــاك هكذا فى الهواء ! انت تجرى وراء الموت ٠٠ الرجل الطيب صاحب الضمير الطيب لا يمشى بهذه السرعة ٠ الرجل الطيب (يمسك بسترة الدكتور) سيدى الدكتور ، اسمح لى أن أنقذ حياة بنى آدم !

الدكتـــــــور : مستعجل ، ياحضرة الضابط ، مستعجل !

الضـــــــابط : سيدى الدكتور ، أنا دائما مغموم ، عندى ميل للغم ، كلما رأيت سـترتى معلقة على الحائط بكيت غصبا عنى ٠

الدكتـــــــور : هـ ٠٠ م ! أبخرة ، سمنة ، رقبة وارمة ، تكوين أبو بلكتى(١١) ٠ نعم ياسيدى الضابط ، ربما

---

(١١) أى لديه الاستعداد للاصابة بالنقطة أو السكتة أو الصرع ٠

تصـاب بالنقطة ابويلكسياسيريبيرى فى جنب واحد ، وفى الجنب الثانى تصاب بالشلل ، او على احسن الفروض تصاب بالشـلل العقلى وتعيش لتاكل فقط ·

هذه تقريبا هى حالتك المنتظـرة فى الأربعة اسابيع المقبلة ! على فكرة استطيع ان اؤكد لك ان حالتك من امتع الحالات ، واذا شاء الله وشل لسانك شللا جزئيا ، فستكون هذه فرصة لعمل تجارب خالدة ·

الضـــــابط : ياسيدى الدكتور · لا تدخل الرعب فى قلبى ! ياما ناس ماتت من الرعب ، من الرعب وحده · أنا أرى النـــاس فى أيديهم ليمون ولـكنهم سـيقولون كان رجلا طيبا ، رجلا طيبا ـ شيطان ! مسمار نعش !

الدكتــــــور : (ينزع قبعته من على راسه) ما هذا ، ياحضرة الضابط ـ هذه راس خاوية ياحضرة السـيد النفر المحترم !

الضـــــابط : (مقطبا) ياحضرة الدكتور ؟ هذا عبط ، هذه سذاجة ، ياعزيزى السيد مسـمار النعش ! ها ها ها ! لكن لاباس ! أنا رجل طيب ولكنى استطيع ايضا ، اذا اردت يادكتور ، ها ها ها اذا اردت (يظهر فويسك ويريد أن يمر مسرعا) هيه ! فويسك ، ماذا يجعلك تمرق من جنبنا بهذه السرعة ؟ انتظر يا فويسك ! انه يمشى فى الدنيا كموس الحـلاقة · كل من يقابله

يجرحه وكان وراءه فرقة مخصـــيين تحتاج الحلاقة ، أو كأنهم سيشنقونه لو ترك شعرهم من غير حلاقة · لكن الذقون الطويلة ـ ماذا كنت أريد أن أقول ؟ فويسك ، الذقون الطويلة ·

الدكتـــــــــور : ذقن طويلة تحت الفك · بلينيوس(١٢) تكلم عنها ومن رأيه أن نعلم العساكر كيف يقلعون عن هذه العادة ·

الضـــــــابط : (يستمر فى حديثه) ها ؟ على الذقون الطويلة! قل لى يا فويسك ! ألم تجد شـــعرة ذقن فى طبقك ، هه ، أنت طبعا فاهم ؟ شـــعرة ذقن رجالى ؟ صاحبها نفر ضابط طبول · هيه ، ولكن زوجتك شريفة ـ بخلاف الناس كلهم ·

فويســـــــك : نعم · ماذا تريد أن تقول ياحضرة الضابط ؟

الضـــــــابط : ولم هذه التكشيرة ؟ ربما لم تجدها فى الشربة ولكن لو استعجلت ورحت على الناصية ربما تجد شعرة عالقة بشــفتين ·· شـــفتين ·· يافويسك ! أنا أيضا شعرت بالحب ، يافويسك ولد ! أنت أصبحت فى لون الطباشير !

فويســـــــك : سيدى الضابط · أنا شيطان مسكين ـ لا أملك من الدنيا أى شىء ، سيدى الضابط · أن كنت تمزح ··

---

(١٢) بلينيوس الاكبر ، كاتب رومانى ولد سنة ٢٣ ومات على اثر انفجار بركان فيزوف سنة ٧٩ بعد الميلاد ، ومن أهم مؤلفاته كتاب عن التاريـــخ الطبيعى يقع فى عدة أجزاء ·

الضـــــــابط : أمزح · أنا أمزح معك ياولد ؟

الدكتـــــــور : النبض ، يافويسك ، النبض ! بسيط ، قوى ، منتفض ، غير منتظم ·

فويســــــك : ياسيدى الضابط · الأرض مثل جهنم الحمراء وأنا جســـمى ثلج ، ثلج ـ جهنم برد ـ هل تراهن ؟ مســـتحيل ـ ياعـــالم ! ياناس ! مستحيل !

الضـــــــابط : ولد ! يعنى أخبطك رصاصتين فى نافوخك ؟! تســـلط عينيك تطعنى كالســـكاكين ـ وأنا قصدى طيب معك ـ لانك رجل طيب ، يافويسك رجل طيب ·

الدكتـــــــور : عضلات الوجه متحجرة ، متوترة ، تنتقض · الحالة متهيجة ، ومتوترة ·

فويســــــك : أنا ماشى · كل شىء جائز · الانسان ، كل شىء جائز ـ الجو جميل اليوم ياســـيدى الضابط ، انظر ، مثل هذه السماء الجميلة ، الثابتة ، الداكنة يكاد الانسان ـ يجد متعة فى أن يدق فيها لوح خشب ويشنق نفسه منه ، لولا الفكرة التى تفصل بين نعم ونعم وبين لا ولا · سيدى الضـــابط ، نعم ولا ؟ هل اللامذنبة فى حق النعم أم النعم فى حق اللا ؟ اريد ان افكر فى هذا ·

(ينصرف بخطوات واسعة بطيئة فى أول الأمر ثم تزداد سرعة بالتدريج)

الدكتــــــور : (يندفع وراءه) ظاهرة ! فويسك ! لك علاوة !

الضــــــابط : سادوخ من منظر هذا البنى آدم · ما أسرعه ! اللئيم المكار ·

رجله الطويلة تهرول كما لو كان ظل رجـــل عنكبوت ، والرجل الصغيرة ترتعش · الطويلة هى البرق والقصيرة الرعد · ها ها ! مسخرة ! مسخرة !

(حجـــرة مـــاريا)

(مـــاريا ـ فويســـك)

فويســـــك : (ينظر اليها فى جمود ويهز رأسه) هم ! لا ارى شيئا ، لا ارى شيئا آه · لابد للانسان ان يراه ، أن يتمكن من القبض عليه بكلتا يديه !

مـــــاريا : (خائفة) مالك يافرانز ؟ انت تهذى يافرانز ·

فويســـــك : خطيئة ، بهذا السمك وبهذا العرض ـ رائحتها العفنة تفوح منها ، بحيث يستطيع الانسان ان يخر الملائكة على رائحتها الى السماء ! فمك احمر ياماريا · أليس عليه اثر رمل ؟ ماذا ياماريا ؟ انت حلوة كالخطيئة ـ هل تستطيع الفاحشة ان تكون بهذا الجمال ؟

مـــــاريا : فرانز ، انت تتكلم كالمحموم !

فويســـــك : يا ابليس ! هل كان يقف هناك ؟ هكذا ؟ هكذا ؟

مـــــــــاريا : لما كان النهار طويلا والعالم قديما ، ففى امكان الكثيرين أن يقفوا فى مكان واحد ، واحدا بعد الآخر ٠

فويســـــــك : لقد رأيته ٠

مـــــــــاريا : فى استطاعة الانسان أن يرى الكثير مادامت له عينان وليس أعمى والشمس طالعة ٠

فويســـــــك : ياعالم ! (يتقدم نحوها)

مـــــــــاريا : لا تلمسنى يافرانز ! طعنة السكين فى جسدى أحب الى من لمسة يديك ٠

ان أبى لم يجسر فى حياته على ضربى وعندى من العمر عشـــر سنوات ، عندما كنت أنظر اليه ٠

فويســـــــك : يا امرأة ! لا ! لابد أن فيك شيئا ! كل انسان هاوية سحيقة ٠ يصـــيبنا الدوار حين نتطلع اليها ٠ ليكن ! انها تسير كما لو كانت هى البراءة نفسها ٠ ولكن لك ، أيتها البراءة ، علامة تدل عليك ٠٠ هل أعرفها ؟ هل أعرفها ؟ من الذى يعرفها ؟! (ينصرف)

(غـــرفة الحراســـة)

(فويســـــك ـ أندريس)

انـــــــدريس : (يغنى)

ســت البيت الجارة

عندها خدامة شاطرة

قـــاعدة فى الجنينة

ليلهـــا ويا نهـــارها

قاعدة فى الجنينة(١٣)

فويســـــــك : أندريس

انـــــــدريس : هه ؟

فويســـــــك : الجو جميل ٠

انـــــــدريس : جو يوم الأحد ـ الموسيقى على باب البلد ٠ من مدة خرجت النســـوان ٠ الناس طالع منها البخار ، شيء عظيم !

فويســـــــك : رقص يا اندريس ، أنهم يرقصون !

انـــــــدريس : فى الوحل وفى النجوم ٠

فويســـــــك : رقص ! رقص ٠

انـــــــدريس : على كيفهم (يغنى)

قـــاعة فى الجنينة

لغاية لما الســـاعة

تدق تناشـــر دقة

---

(١٣) صاحبة البيت عندها خادمة شاطرة ، تجلس فى البستان ليـل نهار ، تجلس في بستانها ٠

تتفرج عالعساكر(١٤)

فويســـــــك : أندريس ، أعصابى فى دوامة ٠

انـــــــدريس : مغفل ٠

فويســـــــك : لابد أن أخرج ، الدنيا تلف أمام عينى ٠ رقص، رقص ، هل ستصبح يداها دافئتين ؟ أندريس ! لعنة الله عليها !

انـــــــدريس : ماذا تريد ؟

فويســـــــك : لابد أن أذهب ، لابد أن أراها ٠

انـــــــدريس : يا مهووس ! كل هذا من أجل هذا المخلوق ؟

فويســـــــك : لابد أن أخرج ٠٠ الحر يخنقنى هنا ٠

(ملهى)

(النوافذ مفتوحة ـ أرائك أمام الملهى ٠ صبية

من عمال الحرف اليدوية)

الصـــــبى الأول : (يغنى) :

شايل قميص على جتتى

بس القميص مش من نصيبى

---

(١٤) تجلس فى بستانها ، الى أن تدق الساعة الثانية عشرة وتأخذ بالها من العساكر ٠٠٠

نفسى أدوق طعم النبيت

وأشرب كاسين من ايد حبيبى(١٥)

الصـــبى الثانى : أخى ، هل تحب أن أشق لك خرما فى الطبيعة ، لأجل خاطر صداقتنا ؟ الى الأمام ! أريد أن أخرم خرما فى الطبيعة ! أنا أيضا شهم كما نعـــرف ! أريد أن أفعص كل البراغيث على جسدك !

الصـــبى الأول : روحى ، روحى تفوح برائحة الخمر ، حتى المال يفسد ! ياوردة لا تنسنى ، ما أجمل هذا العالم ! أريد أن أملأ برميلا لآخـــره بالكآبة والنواح حتى يطفح تمنيت لو كان أنفســانا زجاجتين ، واستطعنا أن يصب كل واحد منا فى رقبة الآخر ·

(آخرون يغنون غناء الجوقة) :

صياد دن أرض الفالس

راح يصطاد جوه الغابة

والغابة كانت خضرة

هاللو ؟ هاللو ؟ ياما أحلى الصيد

ما أحلاه ، عالمرعى الخضرا(١٦)

---

(١٥) ارتدى قميصا ، والقميص لا أملكه روحى تفوح برائحة الخمر ··

(١٦) صياد من الفالس ، دخل مرة فى غابـــة خضـــراء ، هاللى ، هاللو ، ما أحلى الصيد هنا على المراعى الخضراء ، الصيد هو فرحتى ·

ما أحلاه ما أحلاه ! فرحتى وهنايه !

(فويسك يقف أمام النافذة ـ ماريا وضابط الطبول يمران عليه وهما يرقصان متعانقين ، دون أن يلحظاه) .

ماريا (وهى تعبر راقصة) ضمنى بشدة ـ بشدة ـ

فويسك : (يختنق) بشدة ـ بشدة ! (ينهض فى هياج ثم يسقط على الأريكة) بشدة ـ بشدة ! (يشبك يديه) لفوا ! دوروا ! لماذا لا ينفخ الله فى الشمس فيطفئها حتى يتمرغ الجميع فى الفاحشة ، رجالا ونساء ، آدميين وبهائم .. افعلوها فى وضح النهار ، الدغوا الناس فى أيديهم كما تفعل البعوض ! ـ النسوان ! النسوان ساخنة ، ساخنة ! بشدة ، بشدة ! (فى هياج) الجدع ، منظره وهو يطوقها ، يضم جسدها ! انها الآن ملكه ، كما كانت ملكى فى البداية (ينهار فاقد الوعى) .

الصبى الأول : (يلقى عظة من فوق المائدة) ومع ذلك ، فعندما يقف عابر متجول ويستند الى نهر الزمان أو يستنجد بالحكمة الالهية ويخاطب نفسه قائلا : لم كان الانسان ؟ لم وجد الانسان ؟ الحق أقول لكم : من أى شىء كان يحيا الفلاح والنقاش والطبيب لو لم يخلق الله الانسان ؟ من أى شىء كان يحيا الترزى ، لو لم يفطر الله الانسان على الخجل والحياء ، ومن أى شىء

كان يحيا الجندى لو لم يزوده بالحاجة الى قتل نفسه ؟ من أجل هذا لا ترتابوا ـ أجل ، أجل ، انه لشيء جميل ورائع ، ولكن كل ما على الأرض شر ، حتى المال يفسد ويزول ٠ وفى الختام ، يامستمعى الأعزاء دعونا نتبول على الطبيب ، لكى يموت يهودى ٠

(يستيقظ فويسك على أصوات الهتاف ويسرع بالانصراف)

(حقــل فى الخــلاء)

فويســـــك : بشدة ! بشدة ! هش ، هاش ، تلك أصوات الكمنجات والصفافير ٠ بشدة ! بشـــدة ! ســكوت ! موســيقى ! ما الذى يتكلم تحت الأرض ؟ (يتمدد على الأرض) هآ ! ماذا ، ماذا تقولين ؟ ارفعوا أصـــواتكم ! ارفعوا أصواتكم ! اقتل ! اقتل ! المعزة ! اقتل ! اقتل ! المعزة ! هل ينبغى على ؟ هل يجب على ؟ هل أسمع الصــوت هناك أيضا ؟ أتقولها الريح كذلك ؟ هل اسمعها تقول بشدة ، بشدة ، اقتل اقتل !

(حجــرة القشــلاق

(ليل ـ فويسك واندريس فى سرير واحد)

فويســـــك : (هامسا) : أندريس !

انـــــدريس : (يكلم نفسه وهو نائم)

فويســــــــك : (يهز أندريس) ما ، أندريس ! أندريس !

أنــــــــدريس : هه ؟ ماذا ؟

فويســــــــك : لا أستطيع أن أنام ! كلما أغمضت عيني ، رأيت كل شيء يلف أمامي وسمعت أصوات الكمان ، بشدة ثم أسمع صوتا يتكلم من الحائط ٠

الا تسمع شيئا ؟

أنــــــــدريس : نعم ـ دعهم يرقصون ٠ أنا تعبان ٠ ليحفظنا الله ، آمين ٠

فويســــــــك : الصوت لايزال يقول : اقتل ! اقتل ! ويندس بين عيني كالسكين)

أنــــــــدريس : نم يامغفل : (يعود للنوم)

فويســــــــك : بشده ! بشدة !

(فناء في بيت الطبيب)

(طلبة مع فويسك في الفناء ـ الطبيب يطل عليهم من

نافذة في أعلى الســطح)

الدكتـــــــور : سادتي ، أنا أقف على الســطح مثل داود ، عندما رأى باتسيبا(١٧) ٠ ولكني لا أرى غير

---

(١٧) هي زوجة القائد الحيثي أوريا ، أغراها داود وتزوج منها عقب اغتيال أورا ، ونصب ابنها سليمان بايعاز منها بدلا من الابن الأكبر دونيا خليفة له على العرش ٠ انظر العهد القديم ، سفر الملوك ١ ، ١.

كيلوتات فرنسية منشورة فى بنسيون البنات تجففها الشمس في الحديقة · سادتى ، لقد وصلنا الى المسألة الهامة عن علاقة الذات بالموضوع · لو أننا أخذنا شيئا من بين الأشياء التى يتجلى فيها التأكيد الذاتى العضوى للألوهية على مثل هذا المستوى الرفيع ، وبحثنا عن العلاقات التى تربطها بالمكان ، والأرض ، والافلاك ، سادتى ، لو قذفت بهذه القطة من النافذة ، فكيف يكون سلوك هذا الكائن بالنسبة لمركز الجاذبية ، سنتروم جرافيتاسيونس ، تبعا لغريزتها الخاصة بها ؟ هه ، فويسك (يزعق) فويسك !

فويسك : (يلتقط القطة) سيدى الدكتور ، القطة تعض !

الدكتور : ولد ، أنت تمسك الحيوان بحنان كما لو كان ستك الكبيرة (ينزل الى الفناء)

فويسك : سيدى الدكتور ، عندى رعشة ·

الدكتور : (بفرح عظيم) آى ، آى ! عظيم ، يافويسك ! عظيم !) يمسح يديه فى بعضهما ويتناول القطة) : ماذا أرى ، سادتى ، النوع الجديد من قمل الارانب ، نوع جميل ·· (يخرج زجاجة من جيبه ، تفلت القطة منه) سادتى ، ليست لدى القطة أى غريزة علمية · نستطيع أن نرى شيئا آخر · انظروا · هذا البنى آدم ، من ربع سنة وهو لا يأكل الا البسلة ، لاحظوا

تأثيرها عليه ، تحسسوا بأنفســـكم النبض المضطرب ! النبض والعينين !

فويســـــك : سيدى الدكتور ، الدنيا تســـود فى عينى (يجلس)

الدكتـــــور : تشجع يافويسك · كلها يومان ثم ينتهى كل شىء ·· تحسسوا ياســـادة ، تحسسوا ! (يتحسسون سوالفه ونبضه وصدره) بالمناسبة يافويسك ، حرك أذنيك أمام حضرات السادة ! كان فى نيتى أن أفرجكم عليها ، فعندء عضلتان تتحركان · هيا(١٨) ! الى العمل !

فويســـــك : آخ ياسيدى الدكتور ·

الدكتـــــور : ياحيوان ، هل على أن احرك اذنيك بنفسى ، هل تريد أن تتشبه بالقطة ، هكذا ياحضرات السادة ! هذه مرحلة انتقال للحمار، وهى فى الغالب نتيجة التربية الأنثوية ولغة الأم · كم شعرة جذبتها أمك من رأسك للذكرى وبدافع الحنان ؟ لقد خف شـــعرك كثيرا فى الأيام الأخيرة · حضرات السادة ، كل هذا بتأثير البســـلة !

(ســـاحة فى القشـــلاق)

فويســـــك : ألم تسمع شيئا ؟

انـــــدريس : انه هناك مع أحد زملائه ·

فويســـــك : هل قال شيئا ؟

---

(١٨) فى الأصل بالفرنسية ! allons

اندريس : وكيف عرفت ؟ ماذا أقول ؟ طيب · لقد ضحك، ثم قال : امرأة لذيذة لها افخاذ دافئة وكل شيء فيها دافيء !

فويسك : (ببرود شديد) هل قال هذا ؟ ماذا رأيت الليلة في المنام ؟ الم احلم بسكين ؟ يالها من احلام حمقاء !

اندريس : الى اين ياصاحبي ؟

فويسك : احضر خمرة لحضرة الضابط : ولكن ، يا أندريس ، كانت مع ذلك فتاة لا نظير لها ·

اندريس : من ؟

فويسك : لا شيء · الى اللقاء ، (ينصرف)

(ضابط الطبول ـ فويسك ـ ناس)

ضابط الطبول : انا رجل (يضرب بيديه على صدره) انا قلتها كلمة ، رجل ! هل فتح أحد فمه ؟ هل يحب أن يتعرض لي ؟ من لا يشرب شرب الآلهة ، فليبتعد عن سكتي والا حشرت أنفه في خرمه ! أريد (لفويسك) انت ياجدع ، اشرب ! نفسي العالم كله يصبح خمرة ، خمرة ! الرجل لابد أن يشرب ! (فويسك يصفر) ولد ، هل اشد لسانك من رقبتك والفه حول جثتك ؟ (يتصارعان ـ فويسك يخسر) هل اكتم على نفسك حتى تصبح مثل نساء العجوز ؟ اعملها ؟ (فويسك يلقى بجسده في اعياء على احدى الأرائك وهو يرتعد)

كان لازم الولد يشرب طينة ويصفر !! (يغني)
الخمرة هى حياتى
الخمرة تدى القوة !(١٩)

واحـــــدة : سمنته فيه !

اخـــــرى : دمه ينزف !

فويســــك : واحد بعد الثانى ·

(دكـــان)

(فويســك ـ اليهودى)

فويســــك : المسدس غالى جدا ·

اليهــــودى : ستشترى أولا ؟ ماهى الحكاية ؟

فويســــك : وثمن السكين ؟

اليهــــودى : السكين مسنونة تماما · هل تحب حضرتك ان تقطع بها رقبة حضـرتك ؟ هه ، مارايك انا أعطيها لحضـرتك بثمن مرتاح ، مثلك مثل غيرك · من حقك أن تموت ميتة مرتاحة ، لكن ليس من حقك أن تموت مجانا · مارايك ؟ انا ساخدمك لتموت ميتة اقتصادية ·

فويســــك : تقطع اكثر من العيش ؟

اليهــــودى : قرشـين

فويســــك : خذ ! (ينصرف)

---

(١٩) الخمر حياتى ، الخمر تمنح الشجاعة !

اليهـــــــودى : خذ ! كأن الفلوس تراب ! مع انها فلوس ! اما كلب صحيح !

(حجـــرة مـــاريا)

(العبيط راقدا يحكى حـكاية على أطـــراف أصابعه)

العبيـــــــــط : على رأسه تاج ذهبى ، الملك العظيم ٠٠ فى الصباح أحضر للست الملكة طفلها ٠ سـجق الدم يقول : تعال ياسجق الكبد ٠٠

مـــــــــــاريا : (تتصفح الكتاب المقدس) : «ولم يخرج الغش من فمه » الهى ، الهى ! لاتنظر الى (تقلب فى صفحات الكتاب المقدس) ولكن الفريسيين(٢٠) أحضـــروا اليه امرأة زانية ووضـــعوها فى الوسط ٠ اما يســـوع فقال : أنت أيضا لا ألعنك ٠ اذهبى ولا ترتكبى الخطيئة بعد الآن (تعض يديها) الهى ! الهى ! لا أستطيع ! الهى ــ أعطنى أن اقدر على الصلاة ٠ الطفل (يقترب منها) الطفـــــل يطعننى فى قلبى (للعبيط) كارل ! انه يتمطع فى الشـــمس (العبيط يتناول الطفل من يديها ويسـكت) فرانز لم يحضر ، لا أمس ، ولا اليوم ٠ الحر يزداد هنا (تغلق النافذة وتواصل القراءة) وركعت عند قدميه وبكت ، وشـــرعت تبلل

---

(٢٠) فرقة دينية وسياسية من بنى اسرائيل كانوا يتباهون بتشددهم فى الالتزام بنصوص الدين ٠

قدميه بالدموع وبشعر رأسها تجففهما ، وقبلت قدميه ودهنتهما بالمسك (تضرب صـــدرها بكفها) كل شيء ميت ! أيها المخلص ! أيها المخلص ! أريد أن أدهن قدميك بالمسك •

(فشـــلاق)

(اندريس ـ فويسك يقلب في اشـــيائه)

فويســــــك : اندريس ، الصـــديرى يحتاج للتصليح • ربما تحتاج اليه يا اندريس •

انـــــدريس : (في جمود يوافق على كل ما يقول) : نعم

فويســــــك : الصليب لأختى والخاتم الصغير •

انـــــدريس : نعم ••

فويســــــك : معى كذلك صورة قديس ، قلبان وذهب جميل • كان في انجيل أمي ، مكتوب عليه :

مولاى ! يا أيها المخلص الشهيد •

واسمح لقلبى أن يكون مثل جسمك الجريح •

أمي لا تشعر الآن بأى شيء ، الا اذا لمعت الشمس على يديها ـ لا بأس •

انـــــدريس : نعم ••

فويســــــك : (يبرز ورقة) فريدريش يوهان فرانز فويسك، عسكرى نفر ببندقية في الكتيبة الثانية ، السرية

الثانية ، الفصيلة الرابعة ، مولود فى عشرين يولية ، الموافق بشـارة مريم – عمرى اليوم ثلاثون ، وسبعة أشهر واثنا عشر يوما ٠

اندريس : فرانز ! أحسن لك تدخل المستشفى يامسكين ، لابد أن تشرب كونياك مخلوط بمسحوق البارود ليقتل الحمى ٠

فويسك : نعم ، يا أندريس ، لما النجار يجر الفارة على خشب التابوت ، لايدرى أحد من الذى سيسند راسه عليه ٠

(شـارع)

(ماريا ومعها بنات صغيرات أمام باب الدار ، بعد فترة)

(يحضر فويسك)

البنات : الشمس تبدو كاللهب

والقمح يزهو كالذهب

فى يوم تتويج المسيح

ذهبوا للمرعى

اثنين اثنين ٠٠٠٠

الناى أمامـا

فى الخلف كمنجة

ما أحلى السير

بحذاء أحمـر !

الطفـــــل الأول : ســـخيفة !

الطفـــــل الثاني : أنت دائما طماع !

الطفـــــل الأول : غنى لنا أنت !

مـــــــــاريا : لا أستطيع ٠

الطفـــــل الأول : لماذا ؟

مـــــــــاريا : لأنى لا اعرف ٠

الطفـــــل الأول : ولماذا لا تعرفين ؟

الطفـــــل الثالث : ستى احكى لنا حكاية !

الجـــــــــدة : تعالوا يابراغيث ٠ كان يا ما كان طفل مسكين غلبان ، لا له اب ولا أم ، كان كل شيء ميت ، ولا كان فيه على وجه الأرض انسان كل شيء كان ميت ، وراح الطفل يبحث ليل مع نهار ٠ ما كان فيه أحـــد على الأرض ، احب يطلع للسماء ، والقمر نظر اليه نظرة حنان ، ولما وصل القمر وجده قطعة خشب فسدان ، تركه وراح للشمس ، ولما وصل للشمس لقاها عباد شمس دبلان ، ولما راح للنجوم ، لقاها ناموس صفير مذهب ، كانت كمثل الخناق[21] المنور ولما احب يرجع للارض ، كانت الأرض ميتـا مهدمة مقلوبة ؛ وكان وحيد وحيد فى الدنيا كلها ٠ قعد على الأرض وبكى ، ومازال قاعد لليوم ٠ قاعد وحده يبكى ٠

---

(٢١) الخناق ، نوع من الطيور المفترسة يقتل فريسته خنقا ٠

فويســـــــك : ماريا !

مــــــــــاريا : (مفزوعة) هيه !؟

فويســـــــك : هيا نذهب • آن الأوان •

مــــــــــاريا : الى اين ؟

فويســـــــك : وهل أعرف ؟

(طرف الغابة ـ عند المستنقع ـ)

(ماريا وفويســـك)

مــــــــــاريا : اذن فهناك تقع المدينة • الدنيا عتمة •

فويســـــــك : ابقى لحظة • تعالى ، اجلسى !

مــــــــــاريا : ولكن لابد أن أذهب •

فويســـــــك : لن تجرحى قدميك من المشى •

مــــــــــاريا : ما أغرب حالك !

فويســـــــك : ماريا • هل تعرفين كم مضى على زواجنا ؟

مــــــــــاريا : فى عيد الفصح سنتان •

فويســـــــك : وهل تعرفين ايضا ، كم بقى لنا ؟

مــــــــــاريا : لابد أن أذهب ، لأحضر العشاء •

فويســـــــك : هل تشعرين بالبرد ، ياماريا ؟ ومع ذلك فانت دافئة • ما ادفا شفتك ! دافئة ، انفاسك دافئة

كانفاس البغايا ! ومع ذلك اتمنى من السماء
ان اقبلها مرة واحدة ـ هل تشعرين بالبرد ؟
حين يكون الانسان باردا ، لايتاثر بالبرد ..
لن تبردى من ندى الصباح .

مـــــاريا : ماذا تقول ؟

فويســـك : لاشيء .. (صمت)

مـــــاريا : ما اشد احمرار القمر وهو يبزغ !

فويســـك : مثل حديدة ملطخة بالدم .

مـــــاريا : ماذا تريد ؟ فرانز ، وجهك شاحب ـ (يرفع يده بالسكين) فرانز ، قف ! بحق السماء ، النجدة ! النجدة ! فويسك ! (يطعنها) خذى هذه ، وهذه ! الا يمكنك أن تموتى ؟ هـــكذا هكذا ـ ها ! مازالت تنتفض ، لم تموتى بعد ؟ لم تمـــوتى بعد ؟ مازالت فيك بقية (يوالى طعناته) هل مت الآن ؟ ماتت ! ماتت ! (تسقط السكين من يده وينصرف مسرعا) .

« الملهى »

فويســـك : ارقصوا جميعا ، بشدة ! بشدة ! تصببوا عرقا، لتفح منكم الروائح العفنة ! ســـوف ياخذكم جميعا ، فى يوم من الأيام ! (يغنى)

ياحبيبتى يابنتى ،

ناوية على ايه

حبيتى العريجية

وعشقتى السواقين(٢٢)

(يرقص) كيته ! اقعدى ! انا حران ، حران !

(يخلع سترته) هذا حال الدنيا · واحدة يأخذها عزرائيل والثانية يتركها على رجليها · كيته ! انت دافئة : لماذا اذا ؟ كيته ، انت أيضا ستصبحين باردة · كونى عاقلة · الا تستطعين أن تغنى ؟

كيتـــــــــه : (تغنى)

الهدمة ان طالت

أنا مالبسهاشى

وبلاد شقاين

أنا ما اروحهاشى

والجزمة السودة

انا ما اقبلهاشى

دى حاجات ما تليقشى

بالخدامين !

فويســـــــك : لا ! من غير حذاء ، الانسان يقدر يروح جهنم حافى القدمين !

---

(٢٢) آه يا ابنتى ، ياحبيبتى يابنتى ، علام نويت ، حتى تعشقى الحوذية ، وتميلى للسائقين ؟

كيتــــــــــه : (تغنى)

ياحبيبى ده عيب

مايصحش منك

لأ خلى فلوسك

ونام لوحدك !(٢٣)

فويســــــــك : نعم ، صحيح لا أريد أن أوسخ نفسى بالدم ٠

كيتــــــــــه : لكن ماهذه البقع على يدك ؟!

فويســــــــك : أنا ؟ أنا ؟

كيتــــــــــه : أحمر ! دم ! (يتجمع الناس حولها)

فويســــــــك : دم ؟ دم ؟

صــاحب الملهى : آخ ! دم ٠

فويســــــــك : يظهر اننى قطعت اصــبعى ، هنا فى اليد اليمنى ٠

صــاحب الملهى : ولكن كيف وصل الدم الى كوعك ؟

فويســــــــك : كنت امسحه من عليها

صــاحب الملهى : ماذا ؟ تمســح كوعك الأيمن بيدك اليمنى ؟ شاطر !

العبيــــــط : عند ذلك قال العملاق : انا اشم ، انا اشم رائحة لحم بشر اف ! الرائحة فاحت !

---

(٢٣) آه ياحبيبى ، ماكان هذا يصح منك احتفظ بنقودك ، ونم وحدك !

فويســــــك : ياجن يا ابالسة ! اللعنة عليكم ! ماذا تريدون ؟ ماذا يهمكم ! افسحوا الطريق والا فان أول واحــد فيكم ٠ اللعنـــة عليكم ! اتريدون أن تتهمونى بالقتل ؟ هل انا قاتل ؟ لماذا تبحلقون فى ؟ انظروا الى أنفسكم ؟ أفسحوا المكان ! (يفر)

(عند المســـتنقع)

(فويســـــك وحـــده)

السكين ؟ أين السكين ؟ تركتها هنا ٠ سوف تفضحنى ! اقترب ! اقترب ! أى مكان هذا ؟ ماذا أسمع ؟ شىء يتحرك ٠ فى هذه الناحية ٠ ماريا ؟ ها ماريا ! سكون ٠ كل شىء ساكن !

ما هذا الشحوب على وجهك ؟ ماريا ! ما هذا الربـاط الأحمر حول رقبتك ؟ من الذى اخذت منه العقد ثمنا لخطاياك ؟ اسود وجهك منها ، اسود وجهك ! هل انا السبب فى هذا الشحوب؟ لماذا تناثر شعرك ؟ الم تضـــفرى خصـلاتك اليوم ؟ السكين ، السكين ! هل عثرت عليها ؟ هاهى ! (ينحنى الى الماء) هكذا ، اسقطى فى القاع ! (يلقى بالسكين فى الماء) انها تغوص كالحجر فى الماء العكر ٠ (يغوص فى المستنقع ويقذف السكين بعيدا) هكذا ٠ الآن٠ ولكن فى الصيف حين يغطســـون بحثا عن القواقع ؟ آه ، سوف نصدأ ٠ واين من يستطيع التعرف عليها ؟ لو كنت كسرتها ! هل مازال

الدم على ؟ لابد أن أغتسل · هذه بقعة ، وهذه بقعة أخرى · (تأتى جماعة من الناس) ·

الأول : قف عندك !

الثـــــانى : هل تسمع ؟ سكوت ! هناك !

الأول : آه هناك ! ما هذا الصوت !

الثـــــانى : هو صوت الماء ، انه ينادى : من مدة طويلة لم يغرق أحد · فلنذهب ! خير لنا الا نسمعه ·

الأول : آه ! عاد الصوت ! كما لو كان صوت انسان يموت !

الثـــــانى : فظيع ! قاتم ، معتم بلون الضـــباب وازيز الخنافس مثل صـــوت الاجراس المحطمة · لنهرب بأنفسنا ··

الأول : لا ، انه صوت واضح مرتفع ! هناك · تعال معى ! ····

(ينصرفان)

الفهـرس

صفحة

تقديم	٥
موت دانتون	٢٠
تمهيـــد	٢١
موت دانتون	٤٨
الاشخاص	٤٩
الفصل الأول	٥١
الفصل الثانى	٩٧
الفصل الثالث	١٢٧
الفصل الرابع	١٦١

صفحة

ليونس ولينا ١٨٦

تقديم ١٨٨

ليونس ولينا ١٩٠

الفصل الأول ١٩١

الفصل الثانى ٢٢١

الفصل الثالث ٢٣٧

فويسك ٢٥٤

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنـى : حسـن كـامـل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة

چورچ بشنر

چورج بشنر كاتب وثائر وطبيب، عبَّر عن صرخة الخليقة المعذبة من عبث الوجود وفنائه، هذه الصرخة التى لا نزال نسمع صداها فى الأدب العالمى حتى اليوم.

يعد بشنر المناهض الأول لمثالية الشاعر الكبير شيلر. إن صورة البطل المنتصر الذى يصارع عالم المادة من أجل تمجيد الفكرة المثالية لا أثر لها عنده، فأبطاله يعانون مأساتهم، وينحدرون إلى هوة من الع
تحركهم كالدمى الذبيحة أو كخيالات الظل يد خ
باطشة ويسحقهم قدر قاس مجهول.

Bibliotheca Alexandrina
0750767

تصميم الغلاف: محمود الهندى